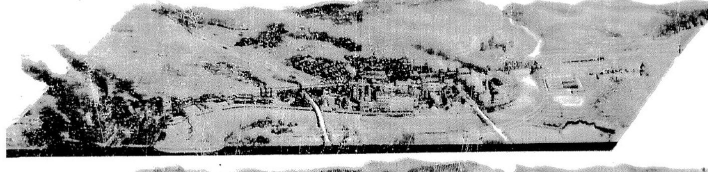
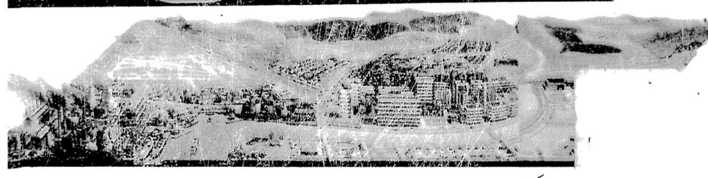
إستخدام الأرض

دراسة جغرافية





دكتور

ح الدين الشامي

ستاذ الجغرافيا

الآداب - جامعة بنها

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية

جلال حزي وشركاه

استخدام الأرض

دراسة جغرافية

دكتور
صلاح الدين الشامي
أستاذ الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة بنها

١٩٩٠

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى كل أولئك الذين يطلبون تجاوز العمـل الجغرافى النظرى ، ويلتمسون مباشرة العمـل الجغرافى التطبيقى ، والى كل أولئك الذين يبحثون عن المكان الصحيح الشـاغر الذى يجب أن يشغله الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، فى صف النخبة العاملة فى ميادين استخدام الأرض ، والى كل أولئك الذين يلتمسون القدر المناسب من التوازن بين أوجه التعامل مع الأرض ، تسخيرها والانتفـاع بها ، والمحافظة عليهـا وتجديد حيويتها • اليهم جميعا أقدم بكل التواضع العلمى هذه الدراسة الموضوعية عن استخدام الأرض •

تصـــدير

ولد الاهتمام البشرى بالمدركات الجغرافيـــة فى المـكان على صـــعيد الأرض ، مع مولد الانسان ومباشرة الحياة وتأمين الحضـــور على الأرض ٠ وقل أن متابعة ورصد هذة المدركات الجغرافية فى المـكان والزمان ، قـــد فجرت الاستفسارات والأسئلة الكثيرة ، التى كانت تدعو الى شىء من التمعن والتفكير الهادىء فى كنه انتشار ووجود وتوزيع هذه المدركات الطبيعيـــة المتنوعة ، التى كان يعاينها وتلفت نظره وتشد انتباهه ويتعامل معها ٠ بل قل أن الانسان كان فى أمس الحاجة الى مباشرة هذا التمعن والتفكير ، لكى يبدع الوسيلة الأنسب ، أو يطور الوسيلة ، للتعامل مع هـــذه المدركات الجغرافية ، فى المكان والزمان ٠ ولقد وضع هذا التفكير الانسان فى مقـام خاص غير مقام الحيوان الذى يعاين المدركات الجغرافية ويتعامل معها بأسلوب واحد لا يتغير أبدا ٠

وعلينا أن ندرك هذا الفرق الكبير بين وضع الحيوان الذى يتعامل مع الأرض ، فى المـاضى والحاضر والمستقبل بأسلوب واحـــد لا يتغـير أبدا ، ووضع الانسان الذى يتعامل مع الأرض على المدى الزمنى الطويل بأساليب تتغير من عصر الى عصر آخر ٠ وقل تعود الانسان على التفكير فى المدركات الجغرافية ، لكى يلتمس الفعل أو تطوير هذا الفعل ، لـــكى يواجـه الفعل الذى تعلن عنه خواص ومواصفات المدركات الجغرافية ، على صعيد الآرض ٠ وكان خواص ومواصـــفات الأرض ، هى التى بصرت أو رشـــدت التمعن والتفكير ، ومسألة ابداع الفعل البشرى المناسب ، الذى ينتصر به الانسان فى مواجهة الفعل الطبيعى الواقعى ، المهيمن على صعيد الأرض ، فى المكان والزمان ٠

وعلى المدى الطويل ، كانت معاينة المدركات الجغرافية الطبيعية ، تشد الانتباه الى صورة الأرض ، أكثر من أى شيء آخر فى المكان · ومع هـذا الانتباه المستمر ، كان التمادى فى التمعن والتفكير فى كنه وماهية هـذه المدركات الجغرافية · وبصرف النظر عن مبلغ الصدق أو عـدم الصدق فى حصيلة هذا التمعن ، أو هذا التفكير ، ينبغى أن نستشعر جدوى هـذا التفكير فى التعامل مع الأرض والانتفاع بها ·

وفى مرحلة قديمة ، وقت أن عاش الانسـان التفرد فى اطار الأسرة الصغيرة ، وهو لا يعرف السبيل الى الانتاج الاقتصـادى ، وانهمك فى التعامل مع الأرض ، والانتفاع بالانتاج الطبيعى ، فى المكان والزمان ، كان الاهتمام بصورة الأرض وطبيعة الأرض ، مستغرقا فى الخصوصية الفردية الضيقة · وأفرزت هذه الخصوصية الضيقة ، شيئا من التفـكير الجغرافى العفوى ، الذى ابتنى على المعرفة الجغرافية بصـورة الأرض ، التى تعـود الانسان على التعامل معهـا فيعايشها وهى تعطيه ، ويهجرهـا وهى تخذله ولا تعطيه · وعاش حصاد هذا التفكير فى الصدور ، لأن الانسان لم يكن يمتلك الوسيلة لتسجيل هذا الرصيد من المعرفة عن صورة الأرض أو عن طبيعة الأرض ·

وفى مرحلة تالية ، وقت أن أفلح الانسان فى التعامل مع الأرض ، وسخرها فى الانتاج الاقتصادى ، عاش التوحد فى اطار المجتمع (القبيلة أو الشعب) دون تفريط فى روابط الأسرة ، أصبح الاهتمام بصورة الأرض فى خصوصية الانتماء للمدنية التى ابتدعها المجتمـع · وسجلت أو دونت خصوصية هذا الانتماء ، الشيء المناسب من المعرفة الجغرافية عن صـورة الأرض ، التى تعود الانسان على التعامل معهـا ، وتحرى استمرار هـذا التعامل والمحافظة على استجابة الأرض · واحتوت مدونات المدنية فى المكان والزمان ، حصاد هذا التفكير الجغرافى ، لأن الانسـان امتلك الوسـيلة المناسبة لتسجيل هذا الرصيد من المعرفة عن صورة الأرض ، أو عن طبيعة الأرض ·

وفى مرحلة ثالثة ، قادت فيه مدنية مصر منطق وروح الانفتاح ، واستشعار وحدة الأرض ، أخذت مدرسة الاسكندرية بزمام الانتقال والتحول من خصوصية الانتماء للمدنية الى عمومية الارتباط بوجود الانسان وانتشار مدنياته على الصعيد العالمى • ووضع هذا التحول ، الاهتمام الجغرافى بصورة الأرض ، فى مواجهة استشعر بموجبها التباين والاختلاف بين صورة الأرض من مكان الى مكان آخر • وسجلت عمومية هذا الاهتمام بالمعرفة الجغرافية ، الشىء المناسب عن صور الأرض المتباينة ، التى تعود الانسان على التعامل معها ، وتحرى استمرار معايشتها • واحتوت مدونات المدنيات المنتشرة على الصعيد العالمى ، حصاد هذا التفكير الجغرافى ، لأن الانسان استشعر جدوى توسيع دائرة رؤيته لصور الأرض ، وجدوى التمعن فى اختلاف طبيعة الأرض من مكان الى مكان آخر •

وصحيح أن الاحاطة والتمعن فى صورة الأرض ، والتعرف على طبيعة الأرض وخواص الأرض ، قد أسعف التوجه للتعامل مع الأرض وتسخيرها• ولكن الصحيح أيضا أن الانسان افتقد معرفة الشىء المناسب عن نفسه ، وعن القدرات التى تأهل بها لمباشرة هذا التعامل • بمعنى أن عاشت تجارب الاهتمام الجغرافى وهى تهتم بصورة الأرض ، ولا تهتم بصورة حركة الحياة على الأرض • ثم كان التوازن الذى سوى بين الاهتمام بهاتين الصورتين ، مع صيحات الاسلام التى أعلنت الاهتمام بالانسان وأوضاع الانسان ، وألزمت الاجتهاد الجغرافى العربى الاسلامى بالاهتمام بصورة الأرض ، والاهتمام بصورة حركة الحياة على الأرض • وقل أن هذه بداية مبكرة جدا ، لنظرة جغرافية متوازنة للعلاقة بين الانسان والأرض ، وهو يتعامل معها •

وفى زحمة الاجتهاد الجغرافى العلمى ، افتقدت دراسة العلاقة بين الانسان والأرض ، النظرة الجغرافية المتوازنة • وضاع هذا التوازن بين من انحاز الى صف الطبيعة واستخف بالانسان فى جانب، ومن انحاز الى صف الانسان واستخف بالطبيعة فى جانب آخر• بل قل ضاعت مع ضياع هذا الانحياز فرصة الدراسة الجغرافية الجادةالتى تتجرد فى تقصى حقيقة العلاقة بين

الانسان والأرض ، وهو يتعامل معها ؛ وجاء هذا التجرد لكى تبدأ العناية الجغرافية بهذه العلاقة ، حتى ولد موضوع استخدام الأرض وهو فرع من فروع علم الجغرافية ٠

ويسعدنى أن أسجل هذا العرض عن موضوع استخدام الأرض ، وأن أتحرى هذه العلاقة بين الانسان والأرض ٠ ولا شىء أهم من تحرى التوازن ، واستشعار جدوى الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان وهو يملك قوة الفعل ، والأرض وهى تملك قوة التأثير ، وتحت مظلة هذا الضبط والانضباط المتبادل ، يتأتى الاتفاق على المستوى الذى تستسلم به الأرض للانسان ٠ وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا الميدان ٠

وعلى الله وحده قصد السبيل ٠

صلاح الدين على الشامى

القاهرة فى أغسطس ١٩٩٠

بــداية واقــتراب
علم الجغرافية وموضوع اســتخدام الأرضــــ

- تمهيـــــد ٠
- التوجه الصحيح الى دراسة استخدام الأرض ٠
- لمـاذا الاقدام الجغرافى على دراسة استخدام الأرض ؟ وكيف ؟ ٠
- مدخل التدقيق الجغرافى فى أنماط استخدام الأرض ٠

بداية واقتراب

علم الجغرافية وموضوع استخدام الأرض

تمهيد موضوعى :

تعود الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على دراسة الأرض ، وعلى دراسة الانسان ، دراسة موضوعية · وتقدم أو تمهد هذه الدراسة الجغرافية الموضوعية ، للدراسة الأهم التى تتقصى العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض · وفى اطار هذه العلاقة الحميمة ، يكون التمييز الموضوعى بين هذه العلاقة والانسان يحيا على الأرض على اعتبار انها المسرح الذى يحتوى هذا الحضور الانسانى فى جانب ، وهذه العلاقة والانسان يقدم على التعامل مع الأرض ، ويلتمس توظيفها واستخدامها والانتفاع بها ·

وفى حالة حضور حركة الحياة على الأرض ، وهى المسرح الذى يحتويها ، تبادر خواص الأرض المبادرة المناسبة وتستجيب حركة الحياة · وتكون الاستجابة على المستوى الذى يتأهل به الانسان ، فى المكان وفى الزمان · وتفاوت مستوى الاستجابة ، يسقط عن حركة الحياة الجمود ، وينفى عنها الوقوع فى قبضة الحتمية · وهناك فرق بين حركة الحياة وهى تطاوع وتستمع لتأثير خواص الأرض أحيانا ، وحركة الحياة وهى تطوع الأرض وتروض قوة فعل وتأثير خواصها أحيانا أخرى ·

وفى حالة حضور حركة الحياة على الأرض ، وهى ميدان للتعامل بين الانسان والأرض ، تبادر مهارات الانسان المبادرة المناسبة ، وتستجيب الأرض · وتكون الاستجابة ، على المستوى الذى يتعامل به الانسان ، فى المكان والزمان · وتفاوت مستوى الاستجابة ، يسقط عن حركة الحياة الجمود ، وينفى عنها الوقوع فى قبضة التبعية أو الحتمية · وهناك فرق كبير بين مستوى الالتزام بخواص الأرض ، ومستوى التحايل على خواص

عنصر أو مجموعة عناصر على صعيد الأرض ، ومستوى التحرر وابطال مفعول بعض خواص الأرض •

وموضوع استخدام الأرض ، يجسد أهم ما يصور أو يعبر عن التعامل بين الانسان والأرض • وكان من شأن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن يتحرى معنى أن يبادر الانسان ويسأل الأرض ، ومعنى أن تجاوب الأرض فتعطى أو تمتنع • ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن يلتمس دواعى ومبررات هذه الاستجابة ، والأرض تجزل العطاء ، أو أن يلتمس دواعى ومبررات هذا التمنع والأرض تعرض عن العطاء •

وفى اطار المهارات الجغرافية ، التى يتحلى بها الجغرافى بالقدرة على التحليل والتركيب ، أو التى يتعمد فيها شيئا مناسبا من المرونة الموضوعية ، كان من شأن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن يلتمس تعامل الانسان مع الأرض ، وخواص الأرض ، وهو يقدم على استخدامها • ولقد التزم هذا الاجتهاد أشد الالتزام الموضوعى ، بالمنهج الجغرافى الأنسب ، الذى لا يفرط فى التوزيع والتعليل والربط ، وجدوى تجسيد الرؤية الجغرافية ، لمحصلة التعامل بين الانسان والأرض ، فى المكان والزمان • ولم يكن فى وسع هذا الاجتهاد الجغرافى ، أن يفعل أكثر من ذلك ، أو أن يضيف شيئا مثيرا تعليقا على هذه الرؤية الجغرافية ، وهو مستغرق فى الانحياز الى صف الطبيعة أحيانا ، أو الى صف الانسان أحيانا أخرى •

وحقق الاجتهاد الجغرافى فى الماضى ، ما كان يبتغيه الهدف الجغرافى ، فى شأن التعامل بين الانسان والأرض أحيانا ، وهو منحاز الى صف الطبيعة • ويبدو فى التصور الجغرافى المتحيز أن الطبيعة هى الأقوى • ويكون هذا التصور وكأنه يستخف كثيرا ، بمهارات وقدرات ومكتسبات وتكنولوجيا الانسان • وأفضى هذا الانحياز الجغرافى ، الى تجسيد رؤية جغرافية ، كانت تجسد تعامل الانسان مع الأرض ، تعاملا يطاوعها ، وكأنها توجهه بالغصب ، الى سبل الانتفاع بها ، فى المكان والزمان •

وقل تجسد هذه الرؤية الجغرافية ، تعامل الانسان مع الأرض ، والجغرافى مستغرق تماما ، فى أسر تبعية الامتثال لما تمليه خواص الأرض ، والسنن والقواعد الحاكمة ، من وراء هـذه الخواص • وأهم ما كان يهم الاجتهاد الجغرافى المنحاز الى صف الطبيعة ، هو النجاح فى وضع تعامل الانسان والأرض ، فى اطار علمى جغرافى علمى تحليلى ، يحدد أبعاد هذه الرؤية الجغرافية ، لمحصلة هذا التعامل ، فى المكان والزمان •

وحقق الاجتهاد الجغرافى فى الماضى أيضا ما كان يبتغيه الهدف الجغرافى ، فى شأن التعامل بين الانسان والأرض أحيانا أخرى ، وهو منحاز الى صف الانسان • ويبدو فى التصور الجغرافى المتحيز ، أن الانسان هو الأكثر فاعلية • ويكون هذا التصور ، وكأنه يعتز بقدرات ومهارات وتكنولوجيات الانسان ويستخف بضغوط وضوابط خواص الأرض • وأفضى هذا الانحياز الجغرافى ، الى تجسيد الرؤية الجغرافية التى كانت تجسد تعامل الانسان مع الأرض ، تعاملا يطوعها ، وكأنه يكرهها ، ويملك زمام التوجه القادر على مباشرة الانتفاع بها على هواه •

وقل تجسد هـذه الرؤية الجغرافية ، تعامل الانسان مع الأرض ، والجغرافى متأكد أن الانسان لا يستسلم لما تمليه خواص الأرض • بل قل يتصور الجغرافى أن الانسان يملك الوسيلة الحضارية المتطورة ، والتكنولوجيا المناسبة دائما لتطويع الأرض ، لحساب حركة الحياة • وأهم ما كان يهم الاجتهاد الجغرافى العلمى المنحاز ، هو النجاح ، فى وضع تعامل الانسان والأرض ، فى اطار علمى جغرافى تحليلى ، يحدد أبعاد هذه الرؤية الجغرافية ، لمحصلة هذا التعامل ، فى المكان والزمان •

وبصرف النظر عن مبلغ خطيئة منطق الانحياز الذى يفضى الى التبعية ، التى تجعل من الانسان تابعا للأرض ، أو التى تجعل من الأرض تابعا للانسان ، وبصرف النظر عن موقف الحتمية ، وعن موقف الامكانية والاستغراق فى التحيز ، ينبغى أن نتحرر من هذه الخطيئة ، وأن نتحرى

الموضوعية والنظرة المتوازنة الى طرفى التعامل على صعيد الأرض • بمعنى أن يستشعر الاجتهاد الجغرافى جدوى النظرة المتوازنة فى مجال تحـــديد وضع الانسان وهـــو يطلب من الأرض ، ووضــع الأرض وهى ترد عـلى طلب الانسان • كما نستشعر جدواها أيضا ، فى مجال تحديد أبعـــاد الرؤية الجغرافية لمحصلة التعامل بين الانسان والأرض •

والأخذ بمبدأ التحرر من دواعى الانحياز الى صف الطبيعة ، أو الى صف الانسان ، والخروج السليم من دواعى ومنطق التبعية وعدم التوازن بين التابع والمتبوع ، من أجل رؤية جغرافية صحيحة ، لمحصلة التعامل بين الانسان والأرض ، يجسد الخطـوة السليمة من خطوات الإقـدام الجغرافى الصريح ، على دراسة استخدام الأرض ، دراسة موضوعية جغرافية علمية• وهذا هو عين ما يعنى التجرد الجغرافى من دواعى الانحياز ، الذى تحلى به الجغرافى دادلى ستامب وفريقه العلمى ، قبل الاقدام الرشـــيد عـلى أول دراسة عن استخدام الأرض على الصعيد البريطانى • ولم يقف طلب هـــذا الاقدام الجغرافى على دراسة استخدام الأرض ، عنـد حـد التماس الرؤية الجغرافية وتحليلها والتغلغل فيهـــا ، بل قل أنه تمـادى فى طلب الرأى الجغرافى ، وهو محصلة تقويم مناسب لأطراف التعامل على صعيد الأرض ، او وهو تعليق مفيد على ما تعلن عنه الرؤية الجغرافية ، وجدواها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا •

التوجه الصحيح الى دراسة استخدام الأرض :

مطلوب بالفعل ، أن تكون البداية الجغرافية المنطقية الرشيدة ، التى تلتمس دواعى الاقدام الجغرافى الجرىء ، على مباشرة الاهتمـــام الجغرافى الموضوعى المتوازن ، بموضوع اســـتخدام الأرض • وعـــودة الى المـاضى القريب ، توفر لنا دواعى هذا الاقدام الجغرافى ، ومتابعـة موضـــوعية استخدام الأرض ، وهو أمانة ومسئولية فى عنق الاجتهاد الجغرافى • ذلك أنه يصطنع القاعدة ، ويضع الأساس الذى تبتنى عليه أى محاولة جادة ،

تلتمس معرفة سبل استخدام الأرض ، لكى يتأتى التغيير والتحسين فى مستوى وأسلوب استخدام الأرض ، فى المكان والزمان • بمعنى أن أى تحسين فى استخدام الأرض ، لا يبدأ ولا ينبغى أن يبدأ أبدا من فراغ •

وعلى صعيد بريطانيا ، كانت أول محاولة جادة لدراسة جغرافية ، تحرت موضوع استخدام الأرض • وما من شك فى أن الموقف البريطانى الاقتصادى الصعب ، الذى فرضته الأوضاع الاقتصادية الاستثنائية أثناء الحرب العالمية الأولى ، هو الذى استوجب أن يعيد الشعب البريطانى حساباته فى مجال التعامل مع الأرض واستخدامها • بل قل أن هذا الموقف الحرج اقتصاديا ، ومحصلة استخدامات الأرض فى الانتاج ، وهى لا تجاوب اللهفة على طلب عطاء الأرض ، هو الذى استوجب التماس دواعى تقتير الأرض ، لكى تخذل حركة الحياة فى أوقات الشدة •

وقل أن الهدف الجغرافى ، قد تمثل فى التماس مستوى استجابة الأرض للانسان ، وهو يستخدمها ، أو وهو يوظفها ، لحساب البنية الاقتصادية • بل قل أنه هو الهدف الذى كان عليه التماس قوة الفعل المضاد للضغوط التى تواجه سبل استخدام الأرض • والكشف الجغرافى عن هذه الضغوط وحسن مواجهتها ، كان مطلوبا فى نهاية المطاف ، حتى تتحسن أوضاع التعامل بين الانسان والأرض ، وحتى لا تتعرض بريطانيا مرة أخرى ، الى مواجهة الموقف الاقتصادى الصعب ، كلما استجد على الصعيد البريطانى ، شيئا من الأوضاع الاستثنائية ، فى حال قيام الحرب من جديد •

وسديد وموفق بالفعل ، أن كان القرار الوزارى الادارى الحصيف ، الذى استدعى الاجتهاد الجغرافى البريطانى ، وهو الذى استشعر أنه مؤهل تأهيلا مناسبا ، وحمله مسئولية العناية الجغرافية العلمية والعملية ، بقضية استخدام الأرض ، على الصعيد البريطانى • ويبدو هذا التكليف

الموضوعى ، وكأنه كان على بينة ، بقدرة وخبرة ومهارة الاجتهاد الجغرافى ، على حسن مباشرة هذه المهمة ، وانجاز الدراســة • وقل كان المطلوب من هذا الاجتهاد الجغرافى التحلى بالقدرات التطبيقية ، وتقديم التصور الجغرافى المناسب • بل قل كان المطلوب أن تجمع هذه الدراسة بين الدراسة المكتبية والدراسة الميدانية ، حتى يتسنى الجمــع بين رؤية جغرافية مدققــة عن استخدام الأرض ، ورأى جغرافى سديد ، عن احتمالات التغيير والتحسين ، من أجل استخدامات أفضل •

وقل أن هذا هو التكليف الموفق ، الذى يعنى أول ما يعنى ، من وجهة النظر الجغرافية ، بداية مرحلة ممهة ، تأتت بموجب هذا التكليف ، انجاز العمل الجغرافى التطبيقى ، الذى ينتهى الى توفير نصيحة مناسبة ، لتحسين مستويات استخدام الأرض ، لحساب حركة الحياة • وقل أن هذا التكليف الرسمى كان واثقا من استجابة وحسن أداء الاجتهاد الجغرافى فى الميــدان العلمى التطبيقى •

ويتمثل حسن الآداء مرة وهــو يقــدم على دراسة الأرض وخواص الأرض والمنظور الجغرافى الطبيعى ، والتماس الخواص ، والضوابط الحاكمة والتحديات ، التى تكون فى مواجهة تعامل الانسان معها وتوظيفها التوظيف الأنسب • ويتمثل حسن الآداء مرة أخرى ، وهو يقدم على دراســة حركة الحياة ، والمنظور الجغرافى البشرى ، والتمــاس قدراته واســتعداداته ، ومستوى وسائله وتكنولوجيته ، عندما يتعــامل الانسان مــع الأرض ، ويتحايل على مواجهة بعض الضوابط الطبيعية الحاكمة أحيانا ، أو يبطــل مفعول التحديات الطبيعية الصارمة أحيانا أخرى •

وجيد وجرىء بالفعــل ، أن تأتت الاســتجابة الجغرافيــة الفورية للتكليف ، الذى عهد أو أسند للاجتهاد الجغرافى ، مهمة انجاز عمل جغرافى عملى تطبيقى • ولقد أعلن الاجتهاد الجغرافى البريطانى ، عن هذه الاستجابة الفورية ، وهو عارف تماما ، بأبعاد هذه المهمة الوطنية الحساسة ، وجسامة هذه المسئولية الصعبة ، وصعوبة انجاز العمــل الجغرافى التطبيقى • ولم

تكن جسامة المسئولية وصعوبة الانجاز التطبيقى ، تأسيسا على اتساع مجال الدراسة وتقصى الحقائق والعمل، الذى ينبغى أن يغطى الجزر البريطانية فقط ، بل انها صعوبة ومسئولية الاقدام الجغرافى التطبيقى الوطنى ، على مباشرة العمل الجغرافى الميدانى ، بأسلوب عملى مناسب ، واجراء البحث الجغرافى التطبيقى ، بأمانة وصدق وموضوعية ، على الصعيد البريطانى .

وكيف لا تكون هذه المهمة صعبة ، والمسئولية جسيمة ، والبحث الجغرافى كان مسئولا أمام حركة الحياة ؟ وقل كان من شأن الاجتهاد الجغرافى البريطانى ، أن يلهث فى الميدان ، من أجل تجسيد رؤية جغرافية شاملة للواقع الجغرافى ، وهو يطل مرة على المنظور الجغرافى الطبيعى ، ومرة أخرى على المنظور الجغرافى البشرى . كما كان عليه أيضا ، أن يرصد بمهارة التعامل الايجابى ، أو التعامل السلبى ، بين الانسان والأرض ، ومبلغ استسلام الأرض لوسيلة الانسان وتكنولوجيته ، وهو يستخدم الأرض ويواجه ضوابطها وتحدياتها . بل قل كان من الطبيعى أن يتمادى البحث الجغرافى التطبيقى بعد ذلك ، لكى يعقب على النتائج الجغرافية ، التى يتوصل اليها الاجتهاد الجغرافى . ومن ثم يكون هذا التعقيب الجغرافى ، الذى يلتمس الرأى الجغرافى ، تأسيسا على شىء مناسب ، من التقويم الجغرافى ، حتى يكون هذا الرأى الجغرافى وكأنه توصية أو تحذير أو نصيحة ، تبصر تغيير وتطوير توجهات استخدام الأرض الى ما هو أفضل .

والتقويم الجغرافى ، يستهدف حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية والجدوى الحضارية فى وقت واحد . ويجسد هذا التقويم الجغرافى ، مهارة الانطلاق الجغرافى التطبيقى ، من جمود النظرية ، وهى تحملق فى المنظور الجغرافى الطبيعى ، أو فى المنظور الجغرافى البشرى ، الى مرونة التطبيق . وتلتمس هذه المهارة الجغرافية ، حساب جدوى التعبير وحسن البيان الجغرافى ووضوحه ، حتى يتوجه الى الرأى الجغرافى السديد ، الذى يعقب أو يعلق على أى من هذين المنظورين ، فى المكان والزمان .

هذا ، ويكون فى وسع هذا التقويم الجغرافى ، الذى يفضى الى الرأى

الجغرافى ، أن يقدم بعناية على حسن حصر واستخلاص جدوى التعبير الجغرافى ، وهو يطالع أو وهو يتابع صيغ التعامل ، بين الانسان والأرض ، والاتفاق بينهما على تسخيرها واستخدامها وتوظيفها ، وتحقيق جدوى الانتفاع بها • وقل أن هذا التقويم الجغرافى ، الذى يبرهن على مهارة الخبرة الجغرافية ، فى التماس الرأى الجغرافى ، يكون محصلة حساب دقيق ، لأبعاد المواجهة الفعلية ، بين قوة فعل خواص الأرض ، ومن ورائها السنن الحاكمة لها ، بكل ما تنطوى عليه من متغيرات فى جانب ، وقوة فعل قدرات الانسان ، ومن ورائها المهارات والمكتسبات والابداعات والتجليات والتكنولوجيات ، بكل ما يملك من استعداد ، لمباشرة التغيير ، أو لاستيعاب التغيير والأخذ به فى جانب آخر •

وقل انه حساب جغرافى سديد ، يلتمس فاعلية وجدوى الأبعاد التى تعبر عنها عناصر متداخلة فى صلب المنظور الجغرافى الطبيعى ، تحدث عن طبيعة الأرض وخواصها ومبلغ الاستعداد للرد على طلب الانسان وهو يتعامل معها • وقل أيضا أنه حساب جغرافى سديد ، يلتمس فاعلية وجدوى الأبعاد التى تعبر عنها ، عناصر كثيرة متداخلة فى صلب المنظور الجغرافى البشرى ، وتحدث عن مهارات الانسان وقدراتها الفاعلة ، وهو يسأل الأرض ويطلب منها أن تجاوبه ، فى المكان والزمان • وتأسيسا على هذا الحساب الجغرافى السديد الذى يدقق فى المواجهة بين الانسان والأرض ، يكون الحكم الجغرافى عن مستوى التعامل بينهما ، أو عن مستوى استخدام الأرض ، والانسان يباشر ويوظف الوسيلة والتكنولوجيا المتاحة ، والأرض تجاوبه وتعطيه ما يستحقه فى المقابل ولا تبخسه حقه ، ولا تنتقص منه شيئا ، فى المكان والزمان •

ولقد خاض الجغرافى البريطانى دادلى ستامب التجربة الأولى ، بصبر كثير وصدق موضوعى حقيقى • وتقصى البحث كل الحقائق والأوضاع ، عن استخدام الأرض ، فى :

١ — طلب الانتاج والتعامل مع الموارد المتـــاحة فى الأرض ، أو فى مجال تصنيع المواد الخام فى الشكل المناسب للاستخدام البشرى ٠

٢ — طلب السكن والاقامة فى المستوطنات على صعيد الريف أو عـــلى صعيد الحضر ، فى ربوع الأرض ٠

٣ — طلب حسن توزيع وانتشار وتوفير الخدمات العامة والخاصة ، على صعيد الأرض ، فى ظل توزيع الكثافـــات السكانية ، واحتياجاتهـــا الحقيقية ٠

وعمل ستامب العمل الجغرافى المناسب ، على الصـــعيد البريطانى كله ٠ وفى هذا الميدان الفسيح الذى شهد هذه التجربة الجغرافية العملية العلمية الميدانية ، فريق عمل كبير من المعاونين ٠ وضم هذا الفريق الكبير نخبة من الجغرافيين وغيرهم من المتخصصين ، مدربة تدريبا مناسبا ، عـــلى اجراء وتنفيذ العمل الجغرافى الميـــدانى ٠ واستوجب العمـــل الجغرافى الميدانى ، اجراء المسح الشامل لكل أنماط استخدام الأرض السائدة ، على الصعيد البريطانى ٠ وأطل فريق العمل وتمعن وجمع البيانات عن أنماط استخدام الأرض ، فى جولات كثيرة ٠ وطاف الفريق فى أنحاء بريطانيا ، حسب الخطة التى وضعت بعناية ، من أجل انجاز المهمة الجغرافية ، وبلوغ الغاية منها ٠ وتسجل هذه الغاية التقارير المدونة ، جنبا الى جنب الخرائط المناسبة ، التى تصور توزيع أنماط استخدام الأرض على الصعيد البريطانى ٠

وفى اطار الخطة المتفق عليها والمعمول بها ، كان توزيع التكليفـــات العملية الجغرافية ، توزيعا مناسبا لخصوصية التخصص ، على كل عضو من أعضاء الفريق ٠ كما كانت التوقيتات التى تأتى الالتزام بهـــا للتنفيذ ٠ وطاف بموجب هذا الالتزام كل عضو ، فى ربوع الأرض ، وتصدى بعناية لانجاز التكليف الذى أسند اليه ، وتحمل مسئوليته ، فى المكان والزمان ، على الصعيد البريطانى الفسيح ٠ وعلى قدر ما كان من أمر ، كنه وماهيـــة التكليف العملى ومطالبه ، باشر كل عضو العمل الجغرافى الميدانى عـــلى

صعيد المساحة المعنية • ومن غير تعجل ، ومن غير ابطاء ، عمل كل عضو بعناية وتركيز ، وهو يلتمس الاجابات على الأسئلة والاستفسارات المطروحة ، على صفحات التقرير الارشادى ، أو على صفحات الاستبيان واستماراتها المعدة اعدادا جيدا •

وما من شك ، فى أن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى الذى باشر هذه المهمة ، كان يعتنى عناية مكثفة دققت فى اعداد وتجهيز الاستبيانات ، سواء وهى :

أولا : تسأل أو تستفسر عن الأرض ، وخواص عناصر المنظور الجغرافى ومتغيراته على المدى القصير ، وتلتمس الضوابط الحاكمة ، التى تواجه الانسان ووسيلته وتكنولوجيته ، وهو يتعامل معها ، أو وهو يستخدمها فتطاوعه ، وتتحرى مبلغ استجابة الأرض للانسان فى اطار حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، وهو يطلب الانتاج ، أو وهو يطلب السكن ، أو وهو يطلب الخدمات •

ثانيا : وهى تسأل أو تستفسر عن الانسان وامكانياته ووسائله وتكنولوجيته المتاحة ، فى اطار المنظور الجغرافى البشرى وأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والسياسية ، وتلتمس الوسيلة التى يتحايل بها الانسان على الضوابط ، وهو يتعامل مع الأرض ، أو وهو يستخدمها فتطاوعه ، وتتحرى مبلغ نجاح الانسان ، وهو يطلب الانتاج ، أو وهو يطلب السكن ، أو وهو يطلب الخدمات •

وفضلا عن حسن العناية الجغرافية التطبيقية ، باعداد خطة العمل على بصيرة ، وبتجهيز كل الاستبيانات المناسبة ، وباجراء الدراسة الميدانية ، من خلال الطواف المتأنى ، والتمعن الشديد فى المنظور الجغرافى الطبيعى والمنظور الجغرافى البشرى ، على الصعيد البريطانى ، استوجبت هذه المهمة عملا آخر • وتوجه هذا العمل الى شىء من العناية والاهتمام :

١ - بالدراسة المكتبية ، والرجوع الى المراجع والكتب المنشورة عن أنماط استخدام الأرض ٠

٢ - بالدراسة الوثائقية ، والرجوع الى المصادر الرسمية والوثائق الأصلية ، عن أنماط استخدام الأرض ٠

وكما وفرت الدراسة المكتبية ، رصيدا جغرافيا مناسبا ، يتحدث عن موضوع استخدام الأرض وأنماطها ، وفرت الدراسة الوثائقية بيانات خام ، عن أنماط استخدام الأرض ٠ وقل أن هذا الرصيد الجغرافى المأخوذ من المراجع والكتب ، والبيانات المفيدة المأخوذة من الوثائق والمصادر ، كان مطلوبا بالفعل لكى تتداخل تداخلا سليما مع نتائج الدراسة الميدانية ، فى صياغة نسيج البحث الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض ، على الصعيد البريطانى ٠

وكان من شأن هذا البحث الجغرافى ، فى نهاية المطاف ، أن يحدث حديثا موضوعيا وكاشفا عن صور وأنماط استخدام الأرض السائدة فى المكان والزمان ٠ وعزز هذا الانجاز الجغرافى المناسب حسن اعداد وتجهيز الخرائط التى أجادت ، أو أحسنت التعبير عن أنماط استخدام الأرض ٠ وقل أن هذا البحث الجغرافى ، الذى استغرق اعداده وقتا طويلا ، ودراسة ميدانية ودراسة وثائقية ودراسة مكتبية ، قد تحرى الجدية والصدق والموضوعية ، فى التعبير ، وفى التقويم الجغرافى وحساب الجدوى الاجتماعية والاقتصادية والحضارية ٠

وكان من شأن هذا البحث الجغرافى أن يعجم عود كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، كما يبدو على الطبيعة فى صورته الراهنة ، وصولا فى نهاية الأمر ، الى تقويم وتحديد مستوى الاستخدام ، وتقصى مسئولية الانسان عن الأداء ، ومسئولية الأرض عن الاستجابة ، والى التماس الكيفية التى يوصى بها أو ينصح ، حتى يتسنى بموجبها ، تحسين مستوى هذا الاستخدام فى الصورة المستقبلية الأفضل ٠

لماذا الاقدام الجغرافى على دراسة استخدام الأرض ؟ وكيف ؟

اذا كان ذلك هو ما جاء على صعيد التجربة البريطانية ، فى شأن الاهتمام الجغرافى ، الذى استشعر قيمة أو جدوى المطالعة والدراسة التى كانت تطل وتعاين وتتحرى دراسة المنظور الجغرافى للعلاقة بين الانسان وهو يتعامل مع الأرض أو وهو يسخرها أو وهو يستخدمها فى جانب ، والأرض وهى تجاوب الانسان وتطاوعه فتعطيه ، وتحقق له مطلبه ولا تبخل عليه ولا تحرمه ، فان الاجتهاد الجغرافى كان على يقين بأن هذه العلاقة تجسد شكلا خاصا من المواجهة بين الانسان والأرض • وقل كان الاجتهاد الجغرافى على يقين بأن محصلة هذه المواجهة ، لا تعنى غالبا ومغلوبا • بل قل أن هذه المواجهة تنتهى الى اتفاق حميد ، بين الانسان وهو يطلب ، والأرض وهى تجاوب • بمعنى أن نجاح الانسان وحسن اختيار الأرض ، وحسن توجيه السؤال اليها ، يعلن عن نجاح الأرض التى تجاوب وتكون لها جدوى • وبمعنى أن فشل الانسان ، وسوء اختيار الأرض ، وسوء توجيه السؤال اليها ، يعلن عن فشل الأرض التى لا تجاوب ، ولا تكون لها أى جدوى •

وقل ذلك هو ما قد جاء ، على صعيد التجربة البريطانية ، فى شأن قبول الاجتهاد الجغرافى لمباشرة هذه المهمة الحيوية ، والاقدام على حسن مطالعة وقرأة المنظور الجغرافى ، لأنماط استخدام الأرض • وقد تحمل هذا الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، مسئولية تقصى مستويات هذا الاستخدام التنوع فى الانتاج ، وفى السكن ، وفى الخدمات • واضافة الى حصر أنماط الاستخدام ، وتحرى توزيعها الجغرافى كان التقويم الجغرافى وحساب الجدوى الاجتماعية والاقتصادية ، لكل نمط من هذه الأنماط المتنوعة • وتسنى بعد ذلك كله ، اعداد التقرير النهائى ، أضاف الى العرض الجغرافى الموضوعى ، والتحليل الكاشف لأنماط استخدام الأرض ، تقديم التوصيات أو النصائح ، التى فى وسع من يستمع اليها ، تغيير مستوى التعامل بين الانسان والأرض ، ومباشرة استخدام الأرض ، الى ما هو أفضل ، لحساب الانسان ، فى المكان والزمان ، على الصعيد البريطانى •

واذا كان هذا هو مـا قد تأتى ، في شأن عرض المهمة الصعبة على الاجتهاد الجغرافى ، وفي شـأن القبول الجغرافى ، والتصـدى الجاد لانجاز البحث الجغرافى التطبيقى ، فينبغى أن نسأل أو أن نستفسر ، عن الهدف الحقيقى والموضوعى ، الذى جاء من أجله هذا العرض ، وكان من أجله هذا القبول • بل قل ينبغى أن نتبين الكيفية ، التى تفضى بموجبها هذه المطالعة الجغرافية ، لأنماط استخدام الأرض ، وهى تتأتى على صعيد الأرض ، من خلال علاقة عمل وتعامل ، بين الانسان والأرض ، الى تحقيق هذا الهدف • ويترتب على ذلك كله ، ضرورة أن نسأل أو نستفسر ، فى نهاية المطاف ، عن كيفية الوصول الى هذا الانجاز ، وعن قيمة أو جدوى هذا الهدف •

ويكون هذا الهدف ، وهو جغرافى من حيث المظهر ، ومن حيث الجوهر ، مسـئولية الخبرة الجغرافية • ويعلن التماس هذا الهدف ، صراحة عن التوجه العلمى العملى التطبيقى ، من خلال متابعة العين الجغرافية • وتكون هذه العين الجغرافية ، وهى خبيرة ومدربة ، عندما تطالع أو تعاين أو تدقق فى المنظور الجغرافى الكلى ، لأى نمط من أنماط استخدام الأرض السائدة ، على صعيد المساحة المعنية • وفى وسـع العين الجغرافية المدربة ، وهى تتحلى بالخبرة ، أن تتحرى أنماط استخدام الأرض فى الانتاج ، وأنماط استخدام الأرض فى السكن ، وأنماط استخدام الأرض فى الخدمات ، وكيف تتداخل فى منظومة المنظور الجغرافى الـكلى لاسـتخدامات الأرض • وفى وسـع العين الجغرافية المدربة ، وهى تتحلى بالخبرة ، أن تطل وأن تلاحظ ، وأن تمعن النظر ، وأن تدقق ، فى كنه وماهية جزء أو كل المنظور الجغرافى لاستخدام الارض حتى يباشر الجغرافى التحليل ، ويتحرى وسيلة الانسان وهو يستخدم الأرض ، واستجابة الأرض وهى تجاوبه •

ويكون الهدف المرحلى ، أن يعرف الاجتهاد الجغرافى التطبيقى جيدا ، وهو يجيد أو وهو يتقن العمل الجغرافى التطبيقى ، كيف يتسنى الاقدام الجغرافى الصحيح ، على حسن التماس التفاصيل ، أو الأجزاء المتداخلة ،

فى صلب التركيب الهيكلى ، للمنظور الجغرافى الكلى لأنماط استخدام الأرض ، موضوع الدراسة والبحث الجغرافى التطبيقى • بل قل يكون الهدف المرحلى ، هو التماس وتحرى مسئولية الانسان والتدقيق فى كفاءة أدائه وتكنولوجيته ، وهو يطلب من الأرض ، والتماس وتحرى مسئولية الأرض والتدقيق فى خواص الأرض واستعداداتها ، وهى تجاوبه وترد على طابه ، ومن ثم تتكشف صياغة هذه التفاصيل ، أو هذه الأجزاء ، وكيفية تداخلها تداخلا مناسبا فى كنه أو فى ماهية المحصلة النهائية ، التى يفضى اليها التوجه الواقعى العامل ، فى أى نمط من أنماط استخدام الأرض السائدة ، فى المكان والزمان •

ويفتح هذا الهدف المرحلى الباب على مصراعيه ، لكى يكون التوجه الجغرافى ، بعين جغرافية واعية ومدققة ، الى التعامل بين الانسان والأرض ، على ثلاثة محاور متوازية • وتطالع وترقب وتدقق فى استخدام الأرض فى الانتاج ، أو استخدام الأرض فى السكن والتوطن ، أو استخدام الأرض فى توفير وتوزيع الخدمات ، وهى فى جملتها محصلة ايجابية لهذا التعامل بين الانسان والأرض • ويدرك الاجتهاد الجغرافى أن جنى أى ثمرة من هـذا الاستخدام لا يتأتى ، الا بعد أن يصل الانسان مع الأرض الى حد من حدود الاتفاق على صياغة هذه الثمرة • وهذا الاتفاق معناه ، مسئولية مشتركة بين الانسان والأرض ، والانسان يطلب والأرض تجاوب هذا الطلب •

ويكفل هذا الهدف المرحلى توجه العمل الجغرافى ، التوجه الملتزم بكشف وتمحيص معنى هذه المسئولية المشتركة ، ونصيب الانسان والأرض من هـذه المسئولية ، فى صياغة أى ثمرة متاحة من ثمرات استخدام الأرض • ويستوجب هذا العمل الجغرافى ، مطالعة المنظور الجغرافى الطبيعى للأرض ، فى الميدان الفسيح ، الذى يشهد الاستخدام ، وتجاوب تعامل الانسان معها ، بقصد الانتفاع بثمراتها المتاحة • كما يستوجب هذا العمل الجغرافى أيضا ، مطالعة المنظور الجغرافى البشرى للانسان ، وهو العامل

الايجابى ، الذى يعمل على صعيد الأرض ، ويتعامل بوسائله وتكنولوجيته مع الأرض ، ويلتمس استجابتها وتأمين جدوى الانتفاع بها ٠

ومطالعة أو معاينة المنظور الجغرافى الطبيعى للأرض ، والتدقيق فيه ، وهى ميدان فسيح على صعيد المساحة المعنية ، تلتمس معرفة وتقصى العوامل والخواص ، التى تلعب دورا فى استجابة مناسبة لوسيلة الانسان ، والوصول المشترك الى الاتفاق بين الانسان والأرض ، على الثمرة المتاحة من عوائد الاستخدام ، فى المكان والزمان ٠ ومطالعة أو معاينة المنظور الجغرافى البشرى للانسان والتدقيق فى حضوره ، والتدقيق فيه ، وهو عامل فعال ، يتعامل مع الأرض على صعيد الميدان ، فى المساحة المعنية ، تلتمس ، معرفة وتقصى الوسيلة والمهارة والخبرة والتكنولوجية ، التى تلعب دورا فى تطويع الأرض والوصول معا الى الاتفاق ، وتأمين الحد الأنسب ، من الثمرة المتاحة من عوائد الاستخدام ، فى المكان والزمان ٠

ومثل هذه المطالعة والتدقيق ، وما تفضى اليه من انطباع موضوعى ، عن التعامل بين الانسان والأرض ، تنهى أهم مطالب الهدف الدراسى المرحلى ٠ وفى ظل استشعار معنى المسئولية المشتركة بين الانسان والأرض ، والوصول الى الاتفاق بينهما ، يدرك الاجتهاد الجغرافى ، أن الانسان هو الذى يضع الأرض فى موضع المسئولية ، وهو الذى يؤهل الأرض لتتحمل ما يخصها من هذه المسئولية ٠ وفى ظل استيعاب هذا كله ، يتمادى توجه البحث الجغرافى الى هدف مرحلى آخر ٠ ومن ثم يقترب الاجتهاد الجغرافى بهذا التوجه ، الى الهدف البحثى النهائى بكل أبعاده ، ذات الطابع التطبيقى الذى تعلن عنه ثمرات النمط السائد من استخدام الأرض ، فى المكان والزمان ٠

وتدقيق العين الجغرافية على ثلاثة محاور متوازية ، وهى تعاين المنظور الجغرافى الكلى ، لاستخدام الأرض فى الانتاج ، واستخدام الأرض فى السكن ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات ، لكى تتبين وتحسب حساب

قدرات الانسان ، وهو يطلب استجابة الأرض لوسيلته ، ولكى ترصد مبلغ استسلام الأرض ، وهى تجاوب هذه الوسيلة ، ولكى تستوعب الاتفاق الجاد بين الانســـان والأرض ، لا يعنى أبدا حتمية الفصل ، أو التماس الحواجز الصارمة ، بين هذه الأنماط المتنوعة من استخدام الأرض • واذا كان من شأن هذا التمييز بين هذه الأنماط المتنوعة يعنى شيئا ، فانه لا يعنى أهم من حسن التنسيق بينها فقط ، لحساب الانسان والانتفاع بها فى المكان والزمان •

ويبـــدو هذا التمييز بين أنمـــاط الاستخدام الثلاثة — على كل حال — وهو يلتمس شيئا مناسبا من التنسيق ، دون المساس أو التفريط بالعلاقة الموضوعية ، التى تجمع وتنسيق وتضبط تكامل وموضوعية وانسجام ، منظومة الاستخدامات المتنوعة ، فى صـــورتها الكلية ، على صعيد المســاحة المعنية • وينبغى أن يأخذ الاجتهـــاد الجغرافى التطبيقى ، فى اعتبـــاره هـــذا التنسيق الموضوعى ، وذلك التكامل المتوازى فى منظومة الاستخدامات على صـــعيد الأرض ، فى المكان والزمان • وهناك التزام جغرافى فى نهاية المطاف يستوجب أن يكون العرض الموضوعى ، الذى ينتهى اليه البحث الجغرافى عرضا شاملا • ويتناول هذا العرض الشامل ، كل نمط من أنماط الاستخدام الثلاثة • كما يجســـد أيضا الصورة الكلية ، فى تركيب هيكلى ، يضـــم وينسق أنماط الاستخدامات ، لحساب الانسان ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان وفى الزمان •

مدخل التدقيق الجغرافى فى أنماط استخدام الأرض

يستوجب الاهتمام الجغرافى بأنماط استخدام الأرض ، والتدقيق فى التعامل بين الانســـان والأرض ، شيئا مناسبا من التحليل الموضوعى • ويتحرى هذا التحليـــل الموضوعى ، معاينة المواجهة بين الأطراف المعنية ، على كل صـــعيد من أصـــعدة استخدام الأرض • كما يتحرى هذا التحليل الموضوعى أيضا ، استشعار معنى ومغزى هذه المواجهة ، وكيف انها لا تنتهى

الى غالب ومغلوب • وقل ان هذا الاجتهاد الجغرافى ، يثق فى أن أسباب ودواعى الانتصار ، تكون فى يـد الانسان وحده ، وأن الانســان لا يقدم على التعامل مع الأرض الا وهو يمسك فى يمينه مقومات هذا الانتصار • كما يثق أيضا فى أن انتصار الانســان هو انتصار للأرض التى تجاوبه ، وأن انهزام الانســان هو انهزام للأرض التى لا تجاوبه • ويستوجب هذا التحليــل الموضــوعى ـ على كل حال ـ مطــالعة المنظور الجغرافى الطبيعى للأرض ، ومطالعة المنظور الجغرافى البشرى للانسان ، والتماس وضوح رؤية الأطراف المعنية فى المواجهــة ، ثم فى الوصــول الى الاتفــاق على مستوى استخدام الأرض ، والاستجابة للانسان •

ومطــالعة المنظور الجغرافى الطبيعى ، على صــعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، تستوجب التحول الموضــوعى ، بمهارة من اســتطلاع الرؤية الكلية للأرض ، وهى مسرح لحضور حركة الحياة ، ومباشرة أنمــاط استخدام الأرض وتوظيفها ، الى التماس الأجزاء أو التفاصــيل الجزئية ، المتداخلة فى تركيب هذه الرؤية • ومن شأن العين الجغرافية الخبيرة ، أن تمتلك المهــارات ، لكى تدقق فى حسن تفكيك أوصــال الأجزاء والعنــاصر المتداخلة فى صلب التركيب الهيكلى للرؤية الكلية للأرض • ومن شــأنها أيضا ، أن تجيد التدقيق ، وهى تلتمس مواصفات وخواص هذه الأجزاء والعناصر الطبيعية •

وينبغى أن يلتمس البحث الجغرافى ، ويدقق كثيرا فى السنن الحاكمة ، فى كنه وماهيــة وطبيعة كل جزء ، أو كــل عنصر من العنــاصر المتعددة ، المتداخلة فى نسق بديع وانســجام حقيقى ، فى تركيب المنظــور الجغرافى الطبيعى الكلى للأرض ، على صعيد المساحة المعنية • وقل ينبغى أن يلتمس التحرى الجغرافى ، ويدقق جيدا ، فى دواعى وأسباب التغيير ، التى تنطوى عليها هذه السنن الحاكمة ، وتجعل من هذا التغيير ، خروجا أو استثناء من القاعدة على المدى القصير ، أو تجديدا وترسيخا لقواعد طبيعية جديدة ، على المدى الزمنى الطويل • بل يدعو البحث الى تحرى احتمال التغيير الذى يحل

سننا طبيعية حاكمة مستجدة ، محل السنن الحاكمة البائدة ، أو التى تفرض خواصا جغرافية طبيعية جديدة محل الخواص الجغرافية الطبيعية التى اندثرت ، على المدى الزمنى الجيولوجى •

والتماس خواص كل عنصر من العناصر الطبيعية المتداخلة ، فى صلب توليفة المنظور الجغرافى الطبيعى للأرض ، ومعرفة السنن الحاكمة لطبيعة هذه الخواص السائدة على صعيد المساحة المعنية ، يكشف عن المتغيرات الطبيعية ، ومبلغ استعداد الأرض للتغيير ، من عصر الى عصر آخر ، ومن مكان الى مكان آخر • ويوجه هذا الاستطلاع والتحرى الجغرافى ، الاجتهاد الجغرافى ، الى حسن استشعار الضابط أو الضوابط الطبيعية ، التى تتأتى ، أو التى تواجه الانسان ، وهو يقبل على التعامل مع الأرض ، لكى يسخرها وتطاوعه ، أو لكى يوظفها وتجاوبه ، فى أى ميدان من ميادين استخدام الأرض المتنوعة فى المكان والزمان •

ومن شأن الباحث الجغرافى ـ وفى وسعه أن يفعل ـ أن يعجم عود الضابط الطبيعى ، وأن يتبين قوة فعل هذا الضابط وتأثيره ، وهو يفرض على الانسان شيئا من دواعى الالتزام ، حتى تطاوعه الأرض وتجاوبه ، ولا تستعصى على طلب استخدامها ، وهى تتمنع أو وهى تتمرد • وقل أن فى وسع الجغرافى أن يفرق جيدا بين الأرض والضابط الطبيعى الذى يستوجب على صعيدها شيئا من الالتزام ، لكى يتسنى استخدامها ، أو الذى يبيح على صعيد الأرض أحيانا أخرى شيئا من التحايل ، لكى يتسنى استخدامها والانتفاع باستجاباتها ، لحساب حركة الحياة • بل قل فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يعجم عود الضابط الطبيعى الذى يبدو وكأنه التحدى الذى يتحدى ارادة الانسان ووسائله وتكنولوجيته ، حتى يتكشف له مبلغ الاعتراض القوى على استسلام الأرض ، لنمط مقصود من أنماط الاستخدام المتنوعة •

وتفضى الدراسة الجغرافية التطبيقية ، التى تتمعن وتدقق فى كنه

وماهية كل عنصر من العناصر المتنوعة المتداخلة فى صلب الواقع الجغرافى الطبيعى ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، الى حصر مجموعة الضوابط الطبيعية • وتبدو هذه الضــوابط الطبيعية ، وهى على استعداد بقوة فعل مؤثر ، فى مواجهة طلب الانســان ، اســتخدام الأرض والتعــامل معها • وقل يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، أن يحسب حساب قوة فعل كل ضابط من هذه الضوابط الطبيعية على انفراد • بمعنى أن يلتمس مبلغ تأثير الضابط الطبيعى ، فى قضية استجابة الأرض لوسيلة الانسان وتكنولوجيته ، أو عدم استجابتها لطلب استخدامها ، فى المكان والزمان •

واجراء مثــل هذه الدراسة الجغرافية ، التى تلتمس التمعن فى المنظور الجغرافى الطبيعى ، والتدقيق فى حصر وتحليل الضوابط الطبيعية ، وهى تعجم عودها ، وتكشف عن قوة فعلها فى مواجهة حركة الحياة ، يجسد التوجه الصحيح فى تقصى أوضاع الأرض • وتؤدى هذه الدراسة الى نتائج مفيدة وموضوعية ، تكشف عن روح التحدى والصعوبات على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، وكيف تستنفر قدرات الانسان المبدعة ، لكى ينتصر فى هذه المواجهة وتنتصر معه الأرض وتجاوبه • ويبصر هذا الحصر والتحليل ، التعامل مع الأرض ، ويشد أزر وسيلة الانسان وتكنولوجيته ، التى يباشر بها استخدام الأرض ، وتامين استجابتها ، فى المكان والزمان •

ويبــدو هــذا الرأى الجغرافى ، الذى يفضى اليه التقــويم الجغرافى للضوابط الطبيعية ، على صعيد المساحة المعنية ، وكأنه يقدم النصيحة التى تشــد أزر الانســان ، وهو يتصدى لقوة فعل الضوابط الطبيعية • وقد تلهم هذه النصــيحة الانســان وتبصره ، حتى ينجــح فى التمــاس الحيلة أو الوسيلة الانسب ، للتعامل مع الأرض • وقد تيسر الوسيلة التحايل على مفعول الضابط الطبيعى احيانا أو ابداع الاسلوب الأفضل الذى يبطل مفعول الضابط الطبيعى أحيانا أخرى •

وما من شك فى أن استعداد الانسان ، لمواجهة الضوابط الطبيعية ، وفى وسعه أن يتحايل ، لكى يفلت التعامل مع الأرض من الالتزام الصارم بها ، أو فى وســعه أن يبطل مفعول هــذه الضوابط الطبيعية ، لــكى

يتحرر من قوة فعلها ، يجسد صلب الحقيقة • ويفضى هذا التحايل أحيانا ، والتحرر أحيانا أخرى ، الى حد المصالحة والاتفاق الأنسب مع الأرض ، فينتصر وتنتصر معه الأرض فى ختام هذه المواجهة • والوصول الى هذا الحد ، وتأمين هذه المصالحة ، وتوثيق الاتفاق ، يطلق يد الانسان فى استخدام الأرض • ولا ينبغى أن يتجاوز هذا الاستخدام هذا الحد أو هذا الاتفاق على صعيد الأرض ، فى المكان والزمان •

وقل أن التزام الانسان ، بقوة فعل الضوابط الطبيعية ، فى المساحة المعنية ، يعنى استسلام حقيقى لها • واستخدام الأرض على النحو ، أو على المستوى الذى يلتزم الالتزام الصارم بالضوابط الطبيعية ، يعنى وقوع الانسان فى قبضة التبعية ، والاستماع لصوت الطبيعة • ويصور هذا المستوى ، مواصفات الحد الأدنى من استخدام الأرض والانتفاع به ، لحساب الانسان وحضور حركة الحياة ، فى المكان والزمان • بمعنى أن الأرض تجاوب الانسان ، على نحو ما تريد ، وهو مباح له ، وليس على نحو ما يريد وهو يتعامل معها ويستخدمها فى المكان والزمان • والبحث الجغرافى الذى يتعقب هذا النموذج ، على صعيد استخدام الأرض ، ويطل على علاقة التبعية، والانسان تابع للأرض وملتزم بضوابطها الطبيعية ، هو الذى زيف الصورة • وأوقعت هذه الصورة المزيفة بعض الجغرافيين ، فى خطيئة التعصب للطبيعة ، وصار وتحمس للحتمية •

وتحلى الانسان بالقدرة على مباشرة الحيلة الحضارية ، أو على حسن اختيار الوسيلة والتكنولوجية الأنسب ، التى يتحرى بها التحايل على قوة فعل ضابط من الضوابط الطبيعية أو أكثر ، يخرج استخدام الأرض من حتمية الالتزام بها[1] • وقل أن هذا التحلى ، ينتشل الاستخدام من قبضة

---

(١) عندما نتابع المنظور الجغرافى الطبيعى ، على صعيد مصر ، نتبين الجفاف ونقصان المطر واحتمال الذبذبة ، الذى يجسد ضابطا طبيعيا خطيرا • وتتحدى قوة فعل هذا الضابط المناخى ، ارادة الانسان ، ويود لو أصدر حكما صارما ، يقضى بحرمان حركة الحياة من أن

التبعية ، ويحرره تحريرا من منطق الحتمية . بل قل أنه التخلى الذى يضع الانسان فى المواجهة مع الأرض ، وهو على قدر وسيلته التى تحرره ، سند لها . وامتلاك الوسيلة أو التكنولوجيا التى يحتال بها ، حتى يقف فى موقف من مواقف الندية مع الأرض ، يعنى الاقدام على تطويع استعدادها للاستجابة . كما يعنى التماس الأسلوب الأنسب للتعامل مع الأرض ، وتحسين مستوى استخدامها ، وتأمين مستوى الاستجابة الأفضل ، فى المساحة المعنية . ويعنى ذلك فى نهاية المطاف ، أن يستخدم الإنسان الأرض ، استخداما يجاوب ارادته ، وينتفع بها على نحو ما يريد . وتكون الأرض ، وكأنها تطاوع الانسان وتمتثل ، ولا ترفض له طلبا . وهذا هو المستوى الجيد من بين مستويات استخدام الأرض ، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات .

ووصول الانسان الى حد ابداع الوسيلة الأفضل أو الى حد تطوير التكنولوجية المعمول بها ، التى يعمل بها لابطال مفعول ضابط من الضوابط الطبيعية أو أكثر ، يحرر ارادته ، ويطلق يديه ، فى التعامل مع الأرض ، واستخدامها(١) . وصحيح أن الانسان على درب المواجهة ، يبطل مفعول ضابط من الضوابط الطبيعية ، وتبقى بعض الضوابط الأخرى التى يتحايل عليها فقط ، ولا تتحرر يديه تحررا كاملا فى استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن الاقدام على درب ابطال مفعول

تعامل مع الأرض . والتفات الانسان الى وجود النيل ، والاحاطة بخواص الجريان ، جسد الاعلان الصريح عن اعتراض حركة الحياة على الالتزام ، بما حاول إن يمليه الضابط المناخى ، وترويض الجريان فى النيل ، والتماس أسلوب السيطرة على النهر ، واحلال الرى وتوظيف النهر فى الرى ، محل المطر ، هو عين ما يعنى المضى الناجح ، على درب من دروب التحايل ، وابطال مفعول قوة فعل التحدى الطبيعى ، الذى يجهر بالجفاف الشديد ، على صعيد الصحراء .

(١) التحول من التحايل على الضابط الطبيعى ، الى ابطال مفعوله ، معناه تحريك حد المصالحة مع الأرض ، تحريكا مناسبا ، لحساب الانسان على حساب الأرض . ومعناه أيضا تصعيد الانسان مستوى التحرر الفاعل والمؤثر فى مجال استخدام الأرض .

الضوابط الطبيعية ، يوشك أن يضع الأرض ، والانسان يستخدمها ، فى قبضة التبعية له(١) ٠

وقل أن هذا هو اجتهاد حركة الحياة ، الذى يطور مستوى تطويع الأرض ، أو مستوى السيطرة عليها ٠ بل قل أن هذا هو التطور الذى يحرر الاستخدام ، تحريرا ينقل عمليات استخدام الأرض ، من المستوى الجيد الى المستوى الأجود ٠ ومع ذلك ، فالنصيحة الجغرافية هى التى تبصر هذا التحول ، عندما تقوم الضابط الطبيعى تقويما جغرافيا مناسبا ، وتكاد توصى بأسلوب مواجهته توطئة لابطال مفعوله ٠ ولا ينبغى أن تزين الوسيلة وقوة فعلها للانسان ، أن يتمادى فى لوى ذراع الأرض ، أو أن يتجاوز حد التطويع المناسب ، حتى لا يتحول استخدام الأرض فى الانتاج ، أو فى السكن ، أو فى الخدمات ، الى شكل من أشكال الاستخدام الجائر(٢) ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وهكذا ، تمضى الدراسة الجغرافية التطبيقية ، التى تلتمس وضوح الرؤية ، وحسن بيان المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتتغلغل عمقا فى خواص

---

(١) تعامل حركة الحياة على صعيد مصر مع النيل ، ضبطه وتطويعه وترويض الجريان فيه ، وتهذيب مجراه ، حتى يستوعب الجريان ، وحسن توظيف النهر لمواجهة جفاف الصحراء ، وصولا الى حد التحرر من قوة ضغط الضابط المناخى ، يجسد معنى توظيف الوسيلة الحضارية المتاحة ، بما توفره من قوة فعل مضاد ٠ ومضى الانسان فى تطوير الوسيلة الحضارية ، يجسد الالحاح فى تصعيد مستوى السيطرة على النيل ٠ وجاء الوقت الذى تحقق فيه هذا الهدف ، وانتقل التعامل مع النهر ، من مستوى التحايل ، الى مستوى يكاد يقترب من حد الهيمنة على النهر ٠ وكفلت هذه الهيمنة للانسان المصرى ، ان يسيطر على النهر ، وينمى مستوى استخدامه ٠ ولا فيضان خطير مدمر ، يمكن ان يهدد حركة الحياة ، فى موسم من مواسم الفيضانات العالية ٠ ولا نقصان فى المناسيب ، تحرم حركة الحياة من الكم المناسب من الماء ، لحساب الشرب ، والرى ، والملاحة النهرية ، وتوليد الكهرباء ، والصيد ٠

(٢) تجاوز حد التطويع ، يعنى تجاوز حد المصالحة مع الأرض ، ومباشرة الاستخدام الجائر ، الذى يطعن فى حسن المحافظة على العلاقة بين الانسان والأرض ٠ وقل أن هذا هو التمادى غير الرشيد ، الذى يبلغ حد فض العلاقة بين الانسان والأرض ، حتى تبدو وكأنها تتمرد ولا تجاوب وسيلة الانسان ، وتكف عن العطاء ، أو الاستجابة له ٠

ومواصفات وطبيعة الأرض ، وهى موضع أنماط الاستخدام ، السائدة فى أنحاء المســاحة المعنية ، فى الاتجــاه البحثى التحليــلى المناسب • ويكشف التمعن فى منظور الأرض ، بشىء من الوضوح والموضوعية ، كل العوامل الطبيعية والحسابات السليمة ، التى تسعف التقويم الجغرافى ، ويصطنع هذا التقويم الجغرافى ، القاعدة الصحية التى يبنى عليها الرأى الجغرافى السديد • ويحــكم هذا التقويم الجغرافى بموضوعية وصدق ، على مبلغ كفاءة الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • كما يلتمس استعدادات الأرض ، فى المــكان والزمان ، لكى تجاوب وســيلة وأسلوب التعــامل معها ، ويحــدد التقويم الجغرافى أبعاد الانتفاع بها • كما يتعمد هذا التقويم الجغرافى تقصى مبلغ استعداد الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى تجاوب تطوير وسيلة التعامل معها ، وتنمية الانتفاع بها ، فى المكان والزمان •

وهنــاك نظام وأسلوب عمل مناسب ، يتوجه به البــاحث الجغرافى توجها صحيحا ، لتحرى خواص الأرض ، ودراسة مبلغ كفاءة الأرض ، التى تستخدم بشكل أو بآخر ، فى طلب الانتــاج • ويتحرى البحث الجغرافى أيضا ، مبلغ استعداد الأرض للاستجابة والعطاء • كما يلتمس هذا التوجه الجغرافى ، الضــوابط الطبيعية وقوة فعلها فى مواجهة الانســان ، وكيف ينتهى الموقف الى استخدام الأرض فى الانتــاج • ويتراوح هذا الموقف ، بين الالتزام الصــارم بما تمليه الضــوابط الطبيعية ، أو بالتحــايل عليها أو على بعضها على الأقل ، أو بالتحرر منها أو من قوة فعل بعضها • وفى ظل هذا التباين بين هذه المواقف الثلاثة ، تتفاوت محصلة استخدام الأرض فى الانتاج •

ويسعف هذا التفــاوت ، الباحث الجغرافى ، فى تحرى وحساب أهم بعد من أبعاد التقويم الجغرافى ، لاستخدام الأرض فى الانتاج على صــعيد المساحة المعنية • ومع ذلك ، هناك فرق واضح ، بين تطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل دراســة استخدام الأرض ، فى انتــاج

الزراعة ، أو فى انتاج الحيوان ، أو فى انتاج الغابات ، أو فى انتاج المعادن ، وهو حصاد الاستخدامات الأولية فى جانب ، وتطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل دراسة استخدام الأرض فى حسن توطين الصناعة ، وفى تشغيل الصناعة ، وتهيئة المناخ المناسب للانتاج الصناعى السلعى المتنوع ، وهو حصاد الاستخدامات الثنائية على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

وهناك نظام وأسلوب عمل جغرافى مناسب ، يتوجه به الباحث الجغرافى توجها صحيحا ، لتحرى خواص الأرض ، التى تستخدم فى طلب السكن . ويتحرى البحث الجغرافى ، مبلغ كفاءة الأرض ، واستعدادها الفعلى لاستيعاب حاجة الحضور السكانى الى السكن . كما يلتمس هذا التوجه الجغرافى ، الضوابط الطبيعية وقوة فعلها فى مواجهة الانسان ، وكيف ينتهى الموقف الى استخدام الأرض بالفعل فى السكن . ويتراوح هذا الموقف بين الالتزام بما تمليه الضوابط الطبيعية ، أو بالتحايل عليها أو على بعضها على الأقل ، أو بالتحرر منها أو من قوة بعضها . وفى ظل هذا التباين بين هذه المواقف الثلاثة ، تتفاوت محصلة استخدام الأرض فى السكن .

ويسعف هذا التفاوت ، الباحث الجغرافى ، فى تحرى وحساب أهم بعد من أبعاد التقويم الجغرافى ، لاستخدام الأرض فى السكن ، على صعيد المساحة المعنية ، ومع ذلك هناك فرق ، بين تطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل استخدام الأرض ، لقيام وتوزيع المستوطنات البشرية ، على صعيد الأرياف المتنوعة ، التى تضم القطاع من الناس الذين يعكفون على العمل فى مجالات الاستخدامات الأولية ، فى جانب ، وتطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل استخدام الأرض ، لاقامة وتوزيع المستوطنات البشرية على صعيد الحضر ، الذى يضم القطاع من الناس الذين يعكفون على العمل فى مجال الخدمات ، انتاجها وتسويقها ، وفى مجال الصناعة والانتاج الصناعى السلعى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى جانب آخر .

وهناك نظام وأسلوب عمل جغرافى مناسب ، يتوجه به الباحث الجغرافى ، توجها صحيحا ، لتحرى خواص الأرض ، التى تستخدم فى توفير الخدمات • ويتحرى البحث الجغرافى ، مبلغ كفاءة الأرض ، واستعدادها الفعلى لاقامة ونشر وتوزيع الخدمات توزيعا جغرافيا مناسبا فى متناول حركة الحياة • كما يلتمس هذا التوجه الجغرافى ، الضوابط الطبيعية وقوة فعلها فى مواجهة الانسان ، وكيف ينتهى الموقف الى اقامة الخدمات الذى يكفل حسن توزيعها الجغرافى • ويتراوح هذا الموقف بين الالتزام الصارم بما تمليه الضوابط الطبيعية أو بالتحايل عليها أو على بعضها على الأقل ، أو بالتحرر منها أو من بعضها على الأقل • وفى ظل هذا التباين بين هذه المواقف الثلاثة ، تتفاوت محصلة استخدام الأرض فى تجهيز وتشغيل الخدمات •

ويسعف هذا التفاوت ، فى تحرى أهم بعد من أبعاد التقويم الجغرافى ، لاستخدام الأرض فى اقامة الخدمات وعرض انتاجها وحسن توزيعها وتأمين حق الانسان فيها ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • ومع ذلك ، هناك فرق واضح ، بين تطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل دراسة استخدام الأرض فى توطين وانتاج الخدمات ، ذات الطابع الخصوصى ، والتماس الشىء المناسب من التنعم الشخصى فى جانب ، وتطبيق النظام والمنهج وأسلوب العمل الجغرافى ، من أجل دراسة استخدام الأرض ، فى توطين الخدمات وانتاجها ، ذات الطابع العمومى ، لحساب حركة الحياة فى جانب آخر ، على صعيد المساحة المعنية •

وتقصى خواص وأوضاع وكفاءة الأرض ، التى تستخدم فى الانتاج ذات الطابع الاقتصادى ، أو التى تستخدم فى السكن والاستيطان ، أو التى تستخدم فى انتاج وتوفير الخدمات ، يستوجب التماس الخواص الطبيعية ، التى تميز كل عنصر من العناصر المتداخلة ، فى صياغة منظومة المنظور الجغرافى الطبيعى كله ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية • كما يستوجب هذا التقصى والبحث الجغرافى الموضوعى ، التماس أو تحرى أهم اسهامات

هذه الخواص الطبيعية والسنن الحاكمة لها ، فى صياغة الضوابط الطبيعية ، وقوة فعلها المباشر أو غير المباشر ، وهى تؤثر على استعدادات الأرض فى المكان والزمان ، لكى تجاوب أساليب الاستخدام ، على المحاور الثلاثة الرئيسية • كما يلتمس هذا التقصى أيضا ، تحديد مستوى استجابة الأرض ، التى تطاوع وسيلة الانسان ، وهو يستخدمها ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن أجل هذا التقصى الجغرافى ، يتعين رجوع الباحث الجغرافى ، الى زمرة من المتخصصين العلميين فى العلوم الطبيعية النظرية البحتة والتطبيقية ، والأخذ الحسن من خبراتهم • كما ينبغى اشراكهم فى تشكيل الفريق الذى يجرى الدراسة الميدانية ، والاسترشاد بنتائج دراسات وبحوث متخصصة ، تتعقب أو تلاحق السنن الحاكمة ، لخواص الأرض ، فى اطار المنظور الجغرافى الطبيعى ، فى المكان والزمان • ولا يفرغ البحث الجغرافى ، من هذا التقصى ، الذى يتعقب خواص الأرض ومستوى كفاءة الأرض ، وهى تجاوب تعامل الانسان معها ، وهو يستخدمها فيطاوعها أو يطوعها ، الا بعد أن يتيقن تماما ، من اتمام الدراسة الجغرافية التحليلية • وقل انها الدراسة التى تلتمس كل شىء ، ولا تفرط فى أى شىء ، وينبغى الاحاطة به والانتفاع بالنتائج البحثية ، من أجل حسن بيان كفاءة الأرض ، وتحديد مستوى الاتفاق بين الانسان والأرض ، وهى تجاوبه ولا تخذله •

ومطالعة المنظور الجغرافى البشرى ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، لا تقل أهمية من مطالعة المنظور الجغرافى الطبيعى • والتدقيق الجغرافى الدراسى ، من أجل معرفة الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، وهى مسرح لعمليات استخدام الأرض والانتفاع بها فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، ينبغى أن يقابله بالضرورة ، التدقيق الجغرافى الدراسى ، من أجل معرفة الانسان ، وهو الذى يباشر استخدام الأرض ، فى المكان والزمان • ويلتمس هذا التدقيق الجغرافى ، التغلغل فى تفاصيل كثيرة ، تتحرى قدرات الانسان وخبراته ومهاراته ، ومستوى آدائه لاستخدام

الأرض . كما يلتمس هـذا التدقيق الجغرافى تحرى مبلـغ اسـتعدادات الانسـان . لاستيعاب دواعى التغيير ، ومباشرة التغيير من أجل تطوير استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

وتستوجب دراسـة المنظور الجغرافى البشرى ، على النحو الذى يدقق تدقيقا تطبيقيا ، التحول بمهارة الجغرافى الذى يتحلى بالقدرة على التحليل ، من الرؤية الجغرافية الكلية لحركة الحياة ، وهى تباشر التعامل مع الأرض ، وتملك الوسيلة المناسبة والخبرة والفن والتكنولوجيا المعمول بها ، فى كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، الى التماس التفاصيل والأجزاء المتداخلة ، فى توليفة أو منظومة الرؤية الجغرافية البشرية الكلية . ومن شأن العين الجغرافية المتخصصـة ، أن تجيـد الاقـدام على تفـكيك أوصـال الرؤية الجغرافية البشرية الكلية . وتتمثل هذه الأوصال ، فى البعد الاجتماعى ، والبعد الاقتصادى ، والبعد الحضارى، والبعد السياسى ، والبعد الديموجرافى . وقل فى وسـع التوجه الجغرافى التحليلى الهادف أن يباشرا مزيدا من تفكيك الأوصال ، من أجل المزيد من التغلغل والتدقيق ، فى أوضاع حركة الحياة التى تزاول اسـتخدامات الأرض ، على صعيد المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان .

ويـكفل هذا التوجه الجغرافى التطبيقى ، الذى يجيد تفكيك الأجزاء أو الأبعاد المتداخلة فى توليفة أو فى منظومة المنظور الجغرافى البشرى ، الذى يعبر بصـدق وموضـوعية عن حركة الحيـاة وأوضـاعها وأحـوالها واستعداداتها الايجابية والسلبية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، مضى الدراسة ، فى الاتجاه الصحيح . ويتعين أن يتحرى البحث الجغرافى ، وهو يمضى فى هذا الاتجاه الدراسى الصحيح ، دراسة كل بعد من الأبعاد البشرية المتنوعة ، دراسة تحليلية تدقق فى التفاصيل الموضوعية .

ومثل هذه الدراسة الجغرافية التحليلية ، تبدو هادفة ، وهى تتعقب مواصفات وخواص الأبعاد ، التى تحدد حبكة حضور حركة الحياة على صعيد

الأرض • وتكون هذه التحليلات الجغرافية ، وكأنها تعجم عود حركة الحياة ، وتتعرف على القدرات والخبرات والمهارات ، التى يتحلى بها الانسان ، عندما يباشر التعامل مع الأرض ، وهو يستخدمها أو وهو يسخرها ويلتمس منها أن تجاوبه أحيانا ، أو أن تطاوعه وتطور عطائها ، كما تتعقب هذه الدراسة الجغرافية التحليلية ، أوضاع حركة الحياة ، بين المتغيرات البشرية التى تكفل شيئا من التغيير فى أنماط استخدام الأرض من عصر الى عصر آخر فى جانب ، والضوابط البشرية التى تضبط وترشد هذا التغيير الوظيفى فى جانب آخر •

هذا ، ويكون الباحث الجغرافى مسئولا ، وهو يحلل ويتغلغل ، أو وهو يتعمق ويدقق فى الأبعاد التى تتداخل فى توليفة المنظور الجغرافى البشرى ، حتى يصبح فى وسعه أن يتبين قوة فعل حركة الحياة ، ومقدار ما تملكه من تطلعات ومؤهلات فى مواجهة المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية • وقل ينبغى أن يلتمس البحث الجغرافى ، ويدقق ويتمعن كثيرا فى استعداد حركة الحياة ، لاستيعاب دواعى التغيير على المدى الزمنى القصير ، وعلى المدى الزمنى الطويل ، لدى الاقدام أو التصدى للتعامل مع الأرض ، وتأمين المستوى المناسب لاستخدامها والانتفاع بها • بل قل يظل البحث الجغرافى التطبيقى مسئولا ، عن تحرى مبلغ استعداد حركة الحياة على تطوير أو تنمية قوة فعل الوسيلة ، وعلى تحسين الكفاءة والخبرة والتكنولوجيا ، لمباشرة التغيير وتسجيل الاضافات ، فى مجالات التعامل مع الأرض ، وتحسين استخدامها ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

كما يكون الباحث الجغرافى مسئولا مرة أخرى ، وهو يحلل ويتغلغل، أو وهو يتعمق ويدقق فى الأبعاد التى تتداخل فى توليفة المنظور الجغرافى البشرى ، حتى يصبح فى وسعه ، أن يتبين قوة فعل حركة الحياة ، ومقدار ما تملكه من تطلعات ومؤهلات فى مواجهة الضوابط الطبيعية والبشرية • وقل ينبغى أن يلتمس البحث الجغرافى ، ويدقق ويتمعن كثيرا فى استعدادات

حركة الحياة ، لاستيعاب دواعى الانضباط ، على المدى الزمنى القصير ، أو على المدى الزمنى الطويل ، لدى التصـــدى للتعامل مـع الأرض ، وتأمين المستوى المناسب لاستخدامها والانتفاع بها • بل قل يظل الباحث الجغرافى مسئولا عن حسن التمييز بين الضـــوابط البشرية التى تقف فى صف الضوابط الطبيعية ، وتبدو وكأنهما يتعاونان فى توجيـه الاقدام وضبط التعامل مع الأرض فى جانب ، والضـــوابط البشرية التى تقف فى صف الانسان وحدها ، لكى ترشد تعامله مع الأرض وتشد أزره فى كبح جماح الضوابط الطبيعية ، وتيسر الانطلاق فى استخدام الارض على صعيد الأرض فى جانب آخر •

وتفضى الدراسة الجغرافية التطبيقية ، التى تتحرى التدقيق والتمعن الشديد ، فى كل بعد من أبعاد كثيرة ، تتداخل فى منظومة حضور حركة الحياة ، على صعيد المساحة المعنوية ، وفى تجسيد أنشطتها المتنوعة ، فى المكان والزمان ، الى حصر وتقويم دور الانسان وقدراته ، وهو فاعل ومجتهد فى أى نمط من أنماط استخدام الأرض • كما تفضى هذه الدراسة الجغرافية التطبيقية أيضا ، الى حسن بيان وتقويم دور الانسان ومهاراته الفـاعلة ، ضمن الفريق المتعاون ، وهو يباشر العمل الجماعى ، فى أى نمط من أنماط استخدام الأرض التى تستوجب هذا التعاون ، على صعيد المساحة المعنية • ويستوى فى ذلك ، أن يكون استخدام الأرض لحساب الانتاج ، أو لحساب السكن ، أو لحساب الخدمات •

ومن خلال التمعن الجغرافى ، يكون فى وسـع الباحث ، أن يعـاين المواجهة على صعيد الأرض ، فى ربوع المساحة المعنية • وتجرى هذه المواجهة بين الأرض وفى صحبتها كل المتغيرات الطبيعية والضوابط الطبيعيـة فى جانب ، والانســان وفى صحبته فضـلا عن المتغيرات البشرية والضـوابط البشرية كل ما يمتلك من مهـارات وخبرات وتكنولوجيا فى جانب آخر •

ولأن الانسان يتحرى التعامل مع الأرض التى يتيقن من انها على استعداد لأن تجاوبه ، ينتصر الانسان فى هذه المواجهة • ومع انتصار الانسان فى طلب استخدام الأرض ، تنتصر هذه الأرض وتبدو وهى ذات جدوى ، فى المكان والزمان • وانتصار الانسان فى أى جولة من جولات هذه المواجهة ، بين الانسان والأرض ، يجسد فى اطار المتابعة الجغرافية ، الوصول الى الشىء المناسب من المصالحة أو الاتفاق بينهما • ويضمن هذا الاتفاق ، استجابة الأرض ، لمشيئة حركة الحياة ، وهى تطلب وتعرف ماذا ولماذا وكيف تطلب استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

واجراء مثل هذه الدراسة الجغرافية التطبيقية ، التى تلتمس التمعن والتدقيق ، فى منظومة المنظور الجغرافى البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، يضع الاجتهاد الجغرافى فى وضع مناسب لمباشرة المسح الجغرافى • ويعطى هذا المسح الجغرافى العين الجغرافية الخبيرة ، حق التمعن فى التعامل مع الأرض وتوجهات استخداماتها المتنوعة • وانطلاقا من هذه الرؤية الجغرافية والمعاينة التى تدقق فى أى نمط من أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، يكون التوجه الجغرافى السديد الى مباشرة التقويم الجغرافى ، وصولا الى الرأى الجغرافى ، وهو الهدف النهائى •

ويبتنى هذا الرأى الجغرافى بالضرورة ، على حساب يدقق فى الجدوى الاقتصادية والاجتماعية والحضارية لما تحدث عنه الرؤية الجغرافية على وجهين • وعلى الوجه الأول تحدث هذه الرؤية الجغرافية عن استجابة الأرض للانسان ، استجابة لا تخذله • وعلى الوجه الآخر ، تحدث هذه الرؤية الجغرافية عن عصيان الأرض وعدم استجابتها ، وتكون وكأنها تخذله •

وعلى صعيد الأرض التى تجاوب الانسان ولا تخذله ، وهو يباشر استخدامها الاستخدام المناسب ، يتحرى الرأى الجغرافى بعناية :

١ ـ قوة فعل الانسان وقدراته ومهاراته ، وهـو يواجـه الضوابط الطبيعية بالضرورة ومعها بعض الضوابط البشرية أحيانا ، التى لا تقف فى صفه وتشد أزره وهو يتعامل مع الأرض ، ويلتمس استخدامها فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ٠

٢ ـ قوة فعل الأرض وخواصها واستعداداتها ، وهى تجاوب تعامل الانسان معها ، وتطاوع وسائله وتكنولوجيته عـلى مستوى من مستويات الاستجابة والعطاء ٠

وعلى صعيد الأرض التى لا تجاوب الانسان وتخذله ، وهو يمتنع عن استخدامها ، ويتجنب التعامل معها ، يتحرى الرأى الجغرافى بعناية :

١ ـ قوة فعل الانسان وقدراته ومهاراته ، وهو يواجـه الضـوابط والتحديات الطبيعية بالضرورة ، ومعها بعض الضوابط البشرية أحيـانا ، التى تتصدى له وتحرمه من التعامل مع الأرض ، ومقـدار مسئوليته عن هذا العجز ٠

٢ ـ قوة فعل الأرض وخواصها واستعداداتها ، وهى لا تجاوب تعامل الانسان معها ، وتحديد مبلغ مسئوليتها عن ابداء هـذا العجز ، ودواعى عصيانها وعدم استجابتها ٠

وهناك **وجه ثالث** ، على صـــعيد الأرض التى تجـاوب الانســان ولا تخذله ، وهو يباشر استخدامها الاســتخدام المنـاسب لبعض الوقت ، ثم تكون المفاجأة عندما تكف عن الاستجابة حتى تخذله ٠ وفى هـذا الوضع يتحرى الرأى الجغرافى بعناية ويحدد :

١ ـ مسئولية الانسان وأسلوب تعامله مع الأرض عن هذا التحول من الاستجابة الى عدم الاستجابة على صعيد المساحة المعنية ٠ ويستوجب الأمر تحرى الخطأ الذى يقع فيه الانسان ، وكيف يرهق الأرض حتى تعلن عن تمردها واصرارها على عدم الاستجابة ٠

٢ — مسئولية الأرض ودواعى الاستجابة المؤقتة ، ودواعى التحول من الاستجابة الى عدم الاستجابة على صعيد المساحة المعنية • ويستوجب الأمر تحرى المتغيرات الطبيعية التى تنهى استجابة الأرض ، أو تحرى الخواص التى تفرض الأجل المحدود لاستجابة الأرض •

وقل يلتمس الباحث الجغرافى ، وهو جاد وموضوعى فى مجال التقويم الجغرافى ، الاجابة عن استفسار يسأل عن لماذا يطلب الانسان استخدام الأرض ؟ وعن كيف يتأتى الاقدام على طلب استخدام الأرض الأنسب ؟ وعن مبلغ استعداد الأرض لكى تجاوب أحيانا ، أو لكى تجاوب ثم تمتنع أحيانا ، أو لكى لا تجاوب أحيانا أخرى ، طلب استخدام الأرض ؟ ولا يعفى الاجتهاد الجغرافى الانسان أبدا من المسئولية وهو مسئول دائما عن حسن اختيار الأرض التى يتعامل معها ، وهو مسئول عن أسلوب التعامل مع الأرض التى يقع عليها هذا الاختيار ، ومسئول عن استمرار الاستجابة أو عن الاستجابة المحدودة المدى ، على صعيد المساحة المعنية •

هذا ، وفى وسع الباحث الجغرافى ، من بعد رصد وحصر صور جولات المواجهة بين الانسان والأرض ، أن يستخلص المصالحة أو الاتفاق بينهما • ويجسد هذا الاتفاق الوضع الذى يقدم فيه الانسان على التعامل مع الأرض ، وهو عارف بأنها ستجاوبه استجابة محدودة المدى • ويجسد هذا الاتفاق أيضا الوضع الذى يمتنع فيه الانسان عن التعامل مع الأرض ، وهو واثق انها لن تجاوبه • ومن ثم يكون فى وسع التقويم الجغرافى ، أن يميز بين هذه الأوضاع ، وأن يرشد الاستجابة المستمرة والمحافظة على هذه الديمومة ، وأن يبصر الاستجابة غير المستمرة واطالة مداها • وفى وسع هذا التقويم الجغرافى ، أن يكشف عن الأرض التى لا تبشر خواصها بالاستجابة ، حتى لا يضيع جهد الانسان الذى يتعامل معها هدرا •

وعلى صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، التى تبدى استعدادا

للاستجابة المستمرة ، أو للاستجابة محدودة الأجـــل ، يسجل التقـويم الجغرافى مبلغ انتصار الانسان فى المواجهة ومبلغ انتصار الأرض معـه . كما يسجل هذا التقويم الجغرافى ، نهاية أقصى ما تطاوع به الأرض ، ومبلغ استجابتها واستسلامها لوسيلاته . ويقوم بعـــد ذلك أقصى ما فى وسـع الانسان أن يفعله لكى تجاوبه الأرض ، ومستوى وسيلته التى يباشر بهـا تعامله مع الأرض واسـتخدامها ، الذى يجاوب طلبه واصراره على هـــذا الطلب .

وغاية ما يصبو اليه الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، وهـو يباشر عمله فى ميدان استخدام الأرض ، لحساب الرأى الجغرافى السديد ، هـــو أن يتوصل التقويم الجغرافى ويدقق فى مستوى المصالحة أو الاتفـاق ، الذى تستسلم بموجبه الأرض للانسان على صعيد المساحة المعنية . كما ينبغى ان يتوصل هذا التقويم الجغرافى أيضاً الى مستوى الانسان الذى يباشر به استخدام الأرض التى تستسلم له ولا تخذله . وتأسيسا على ذلك كله ، يتبلور الرأى الجغرافى السديد الذى يعلن بوضوح وصدق عن :

١ ـ مستوى الاســــتخدام أو مرتبته ، وهـــو الذى يتراوح بـين الاستخدام الجائر أو الردىء ، والاستخدام التقليدى الجامد ، والاستخدام الجيد المتطور .

٢ ـ حصر وتحديد العوامل والدواعى ومسئولية الانسان ، التى تكون من وراء كل مستوى من هذه المستويات المتفاوتة ، سواء والاستخدام الجائر أو الردىء يفسد فى الأرض ، أو والاستخدام التقليدى يستغرق فى الجمود ويعرض عن التغيير والتجديد ، أو والاستخدام الجيـد المتطور ، يتحمس ويتوثب للتجديد ، ويلتمس التجويد دون توقف أو ابطاء .

ومن شان الرأى الجغرافى الذى يعالج قضية استخدام الأرض ، أن يكون وكأنه همس أمين يهمس فى أذن حركة الحياة . ويقدم هـذا الهمس النصيحة أو التوصية أو التحذير ، الذى يبصر التعامل بين الانســـــان

والأرض ، على أى وجه من أوجه الأنماط المتنوعة من استخدامات الأرض • والاستماع الى نصيحة الرأى الجغرافى ، معناه أن يتأتى استخدام الأرض والانتفاع بها ، على بصيرة ، دون افراط فى الضغط علـى الأرض ، ودون تفريط فى حق الانتفاع الأنسب بها •

ومن شأن الرأى الجغرافى الذى يعالج قضية استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية أن يعقب على دور الانسان وهو الذى يطلب ويبادر بالطلب ، وعـلى دور الأرض وهى التى تجاوب وتلبى الطلب • بمعنى أن يعلن هذا الرأى الجغرافى عن امكانيات الانسان ، ومبلغ استعداده لتحسين مستوى تعامله مع الأرض • وبمعنى أن يعلن هذا الرأى الجغرافى أيضا ، عن أوضاع واستعداد الأرض ، ومبلغ استعداداتها للاستجابة الأفضـل للانسان •

ويثنى الرأى الجغرافى على الاستخدام الجيد المتطور ، ويعلن عن دواعى استحقاق الانسان هـذا الثناء • ويتحرى فى نفس الوقت مبلـغ التوازن والتوازى بين تعـامل مناسب تتحقق به أقصى جدوى فى جانب ، وعنـاية مناسبة تتحقق بها أقصى صيانة ومحافظة على الأرض فى جانب آخر • كما يتحرى هذا الرأى الجغرافى أيضا ، توجهات استخدام الأرض عـلى درب الصواب ، ومبلغ اصرار الانسان على تطوير مستوى هـذا الاستخدام ، وصولا الى ما هو أفضل ، دون توقف أو تردد •

ويعلق الرأى الجغرافى على الاستخدام التقليدى ، ويطعن فى دواعى الجمود الذى يتجنب التجديد • ويتحرى فى نفس الوقت ، مبلغ الخلل وعدم الالتزام بالتوازن والتوازى ، بين تعامل غير مناسب تتحقق به أدنى جدوى فى جانب ، وعناية هى أقرب الى الاهمال وعدم العناية بالمحافظة على الأرض فى جانب آخر • كما يتحرى توجهات استخدام الأرض ، على درب الخطأ ، ومبلغ اصرار الانسان ، على تجميد مستوى هذا الاستخدام ، وافتقاد أى تطلع لتحسين أو لتغيير مستوى التعامل مع الأرض •

ويفضح الرأى الجغرافى خطر الاستخدام الجائر أو الاستخدام الردىء ، ويعلن عن دواعى الوقوع فى الخطأ • ويتحرى فى نفس الوقت ، مبلغ تورط الانسان من غير قصد أحيانا ، وبكل القصد أحيانا أخرى فى تعامل يجمع من غير وعى بين الانتفاع بالأرض ، والافساد الذى يطعن فى الأرض • كما يتحرى هذا الرأى الجغرافى أيضا ، مبلغ التمادى على درب الخطأ ، وعدم الانتباه الى سوء العاقبة •

ويحكم الرأى الجغرافى على الاستخدام الجيد المتطور ، ويعلن عن دواعى استمرار استجابة الأرض • كما يحكم الرأى الجغرافى على الاستخدام التقليدى ، ويعلن عن براءة الأرض من الجمود ، ويلقى بكل دواعى الاتهام على كاهل الانسان • كما يحكم الرأى الجغرافى على الاستخدام الجائر أو الاستخدام الردىء ، ويعلن عن عجز الأرض ، وعدم قدرتها على الاستجابة للوسيلة الحضارية ، التى يتعامل بها الانسان مع الأرض ، وهو يستخدمها• وقل أن هذا الحكم الجغرافى المعلن فى وسعه أن :

١ ـ يكشف عن حالة الاستعداد التى تكفل استمرار الاستخدام الجيد المتطور فى مشوار التحسين على درب الصواب الاجتماعى والاقتصادى والحضارى •

٢ ـ يكشف عن حالة الاستعداد التى تكفل انهاء الجمود واخراج الاستخدام التقليدى من أزمة اعراض الانسان عن الأخذ بأساليب التجديد•

٣ ـ يكشف عن حالة الاستعداد التى تكفل أو تؤدى الى تدهور التعامل بين الانسان والأرض ، وسوء عاقبة تفسخ العلاقة الوظيفية بين الانسان والأرض ، عندما يبلغ الافساد فى الأرض حده الأقصى ، فتتواضع استجابة الأرض ، وتتمادى فى التواضع حتى تكف تماما عن الاستجابة •

وحسن أصغاء حركة الحياة ، الى النصيحة التى يوفرها الرأى الجغرافى،

تعقيبا على الرؤية الجغرافية ، وهو يثنى على الصـــواب ، ويبصر مســـيرة الاستخدام من جيد الى أجود ، توفر أو تحقق اضافة لحساب حركة الحياة ، وحسن اصغاء حركة الحياة ، الى النصيحة التى يعلن عنها الرأى الجغرافى ،

تعقيبا على الرؤية الجغرافية ، وهو يعترض على الجمود ، ويبصر التحول من الحد الأدنى لجدوى استخدام الأرض الى الحد الأفضل لجدوى استخدام الأرض ، المتجرد من كل دواعى الجمود ، توفر أو تحقق اضافة حقيقية لحساب حركة الحياة • وحسن اصغاء حركة الحياة ، الى النصيحة التى يعلن عنهـا الرأى الجغرافى ، تعليقا على الرؤية الجغرافية ، وهو يفضح الخطأ الذى يفسد فى الأرض ، ويطعن فى أواصر العلاقة بين الانســـان والأرض ، يتدارك سوء الاستخدام قبل أن تكف الأرض عن الاستجابة لمطالب حركة الحياة •

ويتضمن الترشيد المناسب المعلن ، الذى يقدمه الرأى الجغرافى عن أوضاع استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، التوصيات المتنوعة العديدة • وتبتنى هـــذه التوصيات ، على عمق وتغلغل وتأنى الدراســـة الجغرافية التحليلية ، لأى نمط من أنماط الاستخدام السائدة ، فى المكان والزمان • وتبصر هذه التوصيات حركة الحياة ، وتتدارك الخطأ ، وهى تباشر الاستخدام الردىء أو الاستخدام الجائر ، حتى يكون فى وسع الانسان أن يكف عن تدهور الاستخدام من سىء الى أسوأ • وتأخذ هذه التوصـــيات أيضا ، بيد الانسان وتخرجه من أزمة الجمود ، توطئة لتحسين مســتوى الاستخدام وتحريره من الأساليب الجامدة ، وقل انها تكسب الانســـان الشىء المناسب من الوعى ، لكى يكف عن خطيئة الجمود ، ويلتمس الوسيلة الأفضل لاستخدام الأرض • وينال الاستخدام الجيد المتطور أيضا مايستحقه من هذه التوصيات ، لكى يواصل الانسان فى اتفاق كامل مـــع الأرض ، مسيرة التطور والتحسين ، فى أى نمط من أنماط استخدام الأرض •

* * *

هذا ، ويبقى الرأى الجغرافى السديد ، الذى ينبغى أن تفضى اليه دراسة الباحث الجغرافى ، لموضوع استخدام الأرض ، لحساب الانسان فى طلب الانتاج ، أو لحساب الانسان فى طلب السكن ، أو لحساب الخدمات ، فى المكان والزمان ، على ثقة بما يلى :

أولا : أن العلاقة بين الانسان والأرض ، التى تسفر عن كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، لا ينبغى أن تنقطع أبدا ، والانسان هو الذى يسأل ، والأرض هى التى تجاوب • وينبغى أن يعرف الانسان مسئوليته ، وكيف يتبنى حراسة هذه العلاقة • وقل أن هذا الابقاء على هذه العلاقة بين الانسان والأرض ، هو الذى يبقى على أنماط استخدام الأرض • بل قل أن انتهاء هذه العلاقة بقصد ، أو من غير قصد ، يخرج الأرض من قبضة الانسان ، ويحرمه من حق استخدامها والانتفاع بها • وتحسين اساليب الاستخدام ، على صعيد المساحة المعنية ، وتخفيف حدة أو قوة تعامل الانسان الذى يلوى ذراع الأرض لكى تجاوبه ، أو الذى يحملها ما لا طاقة لها به ، يكون مطلوبا بالحاح للمحافظة على الأرض ، وحسن الاستجابة ، فى المكان والزمان • ويظل الانسان مسئولا ، وهو يبادر باستخدام الأرض ، ومسئولا ، وهو يطوع الأرض ويسيطر على مستوى استجابة الأرض ، ومسئولا وهو يحسن أسلوب التعامل وتطوير استجابة الأرض ، ومسئولا وهو يتجنى على الأرض ويضغط على قدراتها عندما تجاوبه ، ومسئولا فى نهاية المطاف ، على أن تبقى العلاقة وتتحسن بين الانسان والأرض ، أو أن تتفسخ هذه العلاقة بينهما ، حتى لا تجاوبه الأرض •

ثانيا : أن العلاقة بين الانسان والأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، التى تسفر عن كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، لحساب الانتاج أو لحساب السكن ، أو لحساب الخدمات ، لا ينبغى أن تتجمد ، أو تتوقف عند حد معين ، أو عند مستوى واحد لا يتغير • كما لا ينبغى أن يبقى هذا الاستخدام وهو محصلة علاقة قوية وحميمة ، تمضى على وتيرة واحدة تتكرر ولا تتغير ايقاعاتها الرتيبة • وقل أن استخدام الأرض ينبغى

أن يجاوب قوة فعل وتأثير المتغيرات الطبيعية والمتغـــيرات البشرية ، التى تتوالى من عصر الى عصر آخر • وينبغى أن يعرف الانسان وهو المسئول ، كيف يتحلى بارادة التغيير ، والاستجابة لقوة فعل المتغيرات ، وأن يتحرر من دواعى الجمود ، والتحلى بارادة التغيير ، لأن ذلك هو وحـــده المنطلق الجيد والمناسب ، والذى يطور وينمى مستوى استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، من المستوى الجيد الى المستوى الأجود •

وفى جميع الأوضاع ، وعلى كل مستويات استخدام الأرض ، تبقى الحاجة الى الضوابط البشرية والضوابط الطبيعية • وفى صحبة هـــذه الضوابط ، يعرف الانسان كيف يحافظ على العلاقة الحميمة مع الأرض التى يستخدمها • كما يعرف كيف يعتمد على هذه الضوابط ، فتشد أزره فى تطوير هذه العلاقة وتحسين مستوى الاستخدام • كما يعتمد عليها الانسان فى انضباط الأخذ بالمتغيرات ، دون تجاوزات تطعن فى جدوى الاستخدام ، أو توقع به فى الخطأ وتبعده عن درب الصـــواب • ولا استخدام للأرض يحقق التوازن بين العطاء الذى تجاوب به الأرض فى جانب ، والمحافظة على سلامة الأرض فى جانب آخر ، فى غيبة الضوابط التى تحرس حسن العلاقة بين الانسان والأرض •

هذا ، ومن شأن الاجتهاد الجغرافى فى نهـــاية المطاف ، أن يحسن التمييز بين نوعين من استخدام الأرض • ويضع هذا التمييز الجغرافى حدا فاصلا بين نوع من الاستخدام يمضى على درب الخطأ ، ويتجنب الصـــواب الاقتصادى والاجتماعى فى جانب ، ونوع من الاستخدام يمضى عـــلى درب الصواب ، ويتجنب الخطأ الاقتصادى والاجتمـــاعى فى جانب آخر • وفى الحالتين ، يكون الانسان وهو يتعامل مع الأرض ، مسئولا عن الخطأ الذى يطعن فى جدوى استخدام الأرض ، ومسئولا عن الصواب الذى يحافظ على وينمى ويطور جدوى استخدام الأرض • بل قل أنه هو المسئول عن التحول من أجل الاقلاع عن الخطأ ، الى مباشرة الصواب وتحسين مستوى استخدام الأرض •

وعن استخدام الأرض الذى يمضى على درب الخطأ ، ويتجنب الصواب الاقتصادى والاجتماعى ، ينبغى أن يميز الاجتهاد الجغرافى بين :

أولا : الاستخدام الجائر وهو الاستخدام الذى يتمادى فى الخطأ ، حتى يبدو وكأنه يدمر المعين أو يفسد فى الأرض من غير وعى • وفى الوقت الذى يعرف فيه كيف يسأل الأرض ، وكيف ينتفع باستجابة الأرض يضغط من غير وعى الأرض ويحملها ما لا طاقة لها به • وقل أنه لا يستمع الى أنين الأرض ، ولا يحسب جيدا حساب النقصان فى انتاجيتها ، ويوالى الضغط الشديد الجائر الذى يدمر الأرض • بل قل أنه يسىء استخدام كل شىء على الأرض حتى يتأتى الحال الذى تكف فيه الأرض عن الاستجابة له • ويغطى الاستخدام الجائر عمليات استخدام الأرض فى الانتاج وهو يطعن فى المعين• ويغطى الاستخدام الجائر فى السكن والاستيطان ، وهو لا يحسب العمر الافتراضى للمستوطنة • ويغطى الاستخدام الجائر عمليات استخدام الأرض فى توفير وتوزيع الخدمات ، وهو يحمل الخدمة ما لا طاقة لها به حتى تبلغ حد العجز وعدم القدرة على الاستجابة •

ثانيا : الاستخدام الردىء غير الاقتصادى ، وهو الاستخدام الذى يتجاهل بحسن نية أحيانا وبسوء نية أحيانا أخرى، أسس وقواعد الاستخدام الحسن• وفى الوقت الذى يعرف فيه الانسان كيف يسأل الأرض، وكيف ينتفع باستجابة الأرض ، لا يحسب حساب الجدوى الاقتصادية أو الجدوى الاجتماعية • وقل أنه لا يعبأ بزيادة أو بنقصان وهو يستخدم الأرض فى الانتاج • ولا يكاد يلتفت بعناية الى مصالح الاستيطان وحركة الحياة ، وهو يستخدم الأرض فى السكن • ولا يحافظ أبدا على المرافق والخدمات الخاصة والعامة ، وهو يستخدم الأرض فى الخدمات • وقد يفلت من بين أيديه الأمر أحيانا لكى ينحدر هذا الاستخدام من المستوى الردىء الى مستوى الاستخدام الجائر ، الذى يطعن فى حسن العلاقة بين الانسان والأرض •

وعن استخدام الأرض ، الذى يمضى على درب الصواب ، ويتجنب الوقوع فى الخطأ الاقتصادى والاجتماعى ، ينبغى أن يميز الاجتهاد الجغرافى بين :

أولا : الاستخدام التقليدى ، وهو الاستخدام الذى يركن الى التقليد ، حتى يبدو وكأنه يستغرق فى الجمود ، ويرفض من غير وعى الاستجابة لدواعى التغيير • وقد يتخوف الانسان من التغيير ، سواء كان هذا التغيير من أجل التجديد والأخذ بالوسائل الأفضل ، أو كان هذا التغيير من أجل التجويد وتحسين مستوى الأداء • ويحسب هذا الاستخدام التقليدى حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، ولا يتنازل عنهما أبدا ، ولكنه لا يعبأ كثيرا بتطوير هذه الاستجابة من عصر الى عصر آخر • بمعنى أنه الاستخدام الذى يتشبث بالأصالة ، ويصرف النظر عن المعاصرة • وقل أنه يتخوف من تجارب التغيير ، حتى لا يكاد يملك القدرة على خوض تجارب جديدة ، تؤدى الى تحسين مستوى الأداء من أجل استخدام أفضل للأرض فى الانتاج ، أو فى المسكن ، أو فى توفير الخدمات • ولا يقع هذا الاستخدام التقليدى الجامد فى الخطأ أبدا ، الا عندما يتعذر عليه المحافظة على التوازن بين معدلات انتاج أنماط استخدام الأرض وعرض هذا الانتاج من ناحية ، ومعدلات الطلب من هذا العرض والتهافت عليه من ناحية أخرى • ولا مخرج من هذا المأزق الا من خلال التحول من أساليب وسلوك وجمود الاستخدام التقليدى ، الى أساليب وسلوك ومرونة الاستخدام المتطور •

ثانيا : الاستخدام المتطور ، وهو الاستخدام الذى يتحلى الانسان فيه بشىء كثير من المرونة ، حتى يبدو وكأنه يلتمس التغيير والاستجابة لروح العصر فى المكان والزمان • ولا يتخوف الانسان أبدا من مواجهة المتغيرات التى تتوالى من عصر الى عصر آخر • ولا يعجز عن الاستجابة لقوة فعل هذه المتغيرات ، وهو يبادر بابداع الأسلوب أو الوسيلة أو التكنولوجيا المستجدة التى تجاوب هذه المتغيرات • وقل أنه لا ينغلق أبدا ادراكا منه

لعواقب الانغلاق التى تحرمه من استثمار تجـارب الآخرين فى مجـالات تحسين مستوى استخدام الأرض · ويمضى هذا الاستخدام المتطور على درب غير مسدود ، فلا يركن الانسان الى شىء من الجمود أو الاعراض عن التغيير. وقل أن هذا الاســتخدام المتطور لا يقع فى الخطــأ أبدا على المســتوى الاقتصادى ، أو على المستوى الاجتماعى · بل قل تظل عين استخدام الأرض الاستخدام المتطور فى الانتـــاج أو فى السكن أو فى الخــدمات ، تحرس بعناية ، التوازن الحميد بين عرض انتاج هــذه الاستخدامات من ناحية ، وطلب أصحاب الحق فى هذا العرض من ناحية أخرى ·

* * *

ومما يكن من أمر ، فتلك هى البداية الموضوعية التى تمهد وتجهز ، الاقدام الجغرافى على تناول المنهج الجغرافى التطبيقى ، والتماس طرق البحث المناسب ، والتحرى الموضوعى ، الذى يباشر دراسة وعرض الدراســة الجغرافية التحليلية ، لأنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان · ومن خلال الدراسة المكتبية فى المراجع ، والدراسة الوثائقية فى المصـــادر ، والدراسة الميدانية فى المساحة المعنية ، يتأتى هذا التحليل الجغرافى ، عن العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ، فى مجالات استخدام الأرض · ثم يكون التحرى الذى يلتمس التقويم الجغرافى وحساب الجدوى الاقتصـادية والاجتماعية والحضارية ، لكل نمط من أنماط استخدام الأرض · ويسعف هذا التقويم الجغرافى ، صياغة الرأى الجغرافى الســديد ، الذى يبصر أو الذى يرشد ، أو الذى يوجــه استخدام الأرض ، حتى يطور أســاليبه ووسائله ، من أجل استخدام أفضل ، يناسب حاجة العصر ·

هذا ، ولأن الانسان حاجاته ووسائله ومهــاراته ، يكون من وراء استخدام الأرض ، ولأن الانسان مسئول أصلا عن استشعار قيمة الأرض ومبلغ استعدادها للاستجابة ، يكون من وراء اختيار الأرض وتحديد نمط الاستخدام الأنسب فى ربوعها ، فينبغى أن تتوجه العناية الجغرافيــة الى الاهتمام بدراسة أوضاع الانسان ، والاهتمام بأحوال الأرض ، اهتمــاما

متوازيا ومتوازنا · ولأن هذا الاستخدام يهم ويشغل حركة الحياة ، ويكون من أجل الانتاج فى أى صورة من صوره ، أو يكون من أجل السكن فى أى شكل من أشكال المستوطنات ، أو يكون من أجل توفير الخدمات فى صورها الخاصة والعامة ، على صعيد أى مساحة معنية ، فى المكان والزمان ، فينبغى أن تتوجه الدراسة الجغرافية التحليلية توجها صحيحا ، لكى تعتنى بالعلاقة بين الانسان والأرض ، وهى الأصل فى استخدام الأرض ، وتعتنى بكل نمط من أنماط هذا الاستخدام المتنوع ·

وقل هذا فرع جديد من فروع الجغرافية ، الذى يلملم شمل موضوعية اهتماماته من الجغرافية الطبيعية وهو يعتنى بالأرض التى يتعامل معها الانسان ، ومن الجغرافية البشرية وهو يعتنى بالانسان الذى يتعامل مع الأرض · ومن أجل دراسة الأرض وخواصها ومتغيراتها وضوابطها ، يأخذ بأطراف من فروع الجغرافية الطبيعية ، عن البنية والتضاريس والتربة والمناخ والمياه والنبات · ومن أجل دراسة الانسان ومهاراته ووسائله واستعداداته ، يأخذ بأطراف من الجغرافية البشرية واهتماماتها بالجغرافية الحضارة والجغرافية الاقتصادية وجغرافية العمران ، وجغرافية الخدمات · وقل أن هذا الأخذ من كل هذه الفروع والتخصصات الجغرافية ، لا يعنى التداخل أو الخلط أبدا· بل قل انه الأخذ المناسب ، الذى لا يوقع موضوعية استخدام الأرض ، فى أسر التبعية أبدا لأى من هذه التخصصات الجغرافية·

ومن ثم ينبغى أن يعنى التخصص الدراسى الجغرافى ، فى موضوع استخدام الأرض ، بهذه القضية الحيوية التى تقتحم ميادين العمل التطبيقى. دون تفريط فى دواعى الربط وحسن الأخذ والعطاء المتبادل ، لحساب جغرافية استخدام الأرض ، بين كل فروع الجغرافية الطبيعية وفروع الجغرافية البشرية · ومهارة الجغرافى ، وهو يستشعر دواعى هذا الربط الموضوعى ، أو وهو يلتمس حسن الأخذ والعطاء من نتائج البحوث الجغرافية المتنوعة ، هى التى تؤمن المضى المتوازى ، بين استخدام الأرض وموضوعيته

وأهدافه وجدواها في جانب ، وموضوعية الاهتمامات الجغرافية العريضة للجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية فى جانب آخر • وتامين هذا التوازى الحميد ، هو الذى يكفل الأخذ والعطاء ، ويحول دون التداخل المخل أو الخلط أو تجاوز الحد بين موضوعية واهتمامات الجغرافى ، وهى تتكامل موضوعيا تحت مظلة الشمول العلمى العريض ، الذى تغطيه الجغرافية مغزاها ومرماها •



الفصل الأول

الأرض والإنسان ، فى المكان والزمان

خواص ومتغيرات وضوابط حاكمة لاستخدام الأرض

- الأرض فى عيون جغرافية .
- الضوابط الطبيعية واستخدام الأرض .
- الموقع الجغرافى والضابط المكانى .
- التركيب والضابط الجيولوجى .
- شكل السطح والضابط التضاريسى .
- المناخ والضابط المناخى .
- الوجود الحيوى والضابط الحيوى .

الفصل الاول

الارض والانسان ، فى المكان والزمان

خواص ومتغيرات وضوابط حاكمة لاستخدام الارض

اذا كان من شأن الجغرافى ، أن يطل على استخدام الأرض فى الانتاج، أو فى تجهيز السكن واقامة وبناء المستوطنات ، أو فى توفير وتوزيع الخدمات ، فى اطار علاقة توافق حسن ، بين الانسان والأرض ، فانه ينبغى أن يتمعن ويحلل موقف هذين الطرفين فى هذه العلاقة ، على صعيد المساحة المعنية • ويرى الجغرافى هذه العلاقة محل اهتمامه ، وهى فى صورة خاصة من صور المواجهة بين الطرفين • ومع ذلك فانها تمثل مواجهة من نوع خاص ، لا تنتهى أبدا بغالب ومغلوب • بل قل فى هذه المواجهة يحسم الموقف انتصار الانسان وانتصار الأرض معه وهى تجاوبه أحيانا ، أو فشل الانسان وفشل الأرض معه وهى لا تجاوبه أحيانا أخرى •

وفى هذه الصورة الفريدة من صور المواجهة ، يبادر الطرف الأول وهو الانسان ، وترد الأرض على هذه المبادرة • ومهم أن يبدأ الانسان ، ويجد فى طلب التعامل مع الأرض ، والأهم أن تستمع الأرض الى هذا الطلب وتجاوبه • ونقول أن فى وسع الأرض من الناحية النظرية الرد على هذا الطلب ، بالسلب أحيانا ، أو بالايجاب أحيانا أخرى • والرد بالايجاب معناه أن تنشأ العلاقة ، والرد بالسلب معناه أن لا تنشأ هذه العلاقة أبدا بين الانسان والأرض • ولأن الانسان صاحب المصلحة فى جدوى هذه العلاقة ، فهو مسئول عن اختيار الأرض التى يتيقن من حسن استجابتها ، والرد عليه بالايجاب • وهو مسئول أيضا عن تجنب الأرض التى يتيقن من عدم استجابتها ، والرد عليه بالسلب •

ورد الأرض على صعيد المساحة المعنية بالايجاب معناه ، ليس فقط أن تنشأ العلاقة بينها وبين الانسان ، بل قل انها تقبل بالتعامل معه والوصول الى الاتفاق المناسب الذى يظلل هذا التعامل الذى يضع الأرض فى خدمة الانسان فلا تخذله ولا ترد له طلبا • ويستحق البحث وقفة جغرافية تحليلية متأنية ، تتمعن وتلتمس كيف تكون المبادرة ، وكيف يكون حسن الاختيار وحسن توجيه السؤال ، وكيف تكون اجابة الأرض على الطلب فلا تخذله • كما يستحق البحث وقفة جغرافية تحليلية متأنية ، تتمعن فى كنه الاتفاق بين الانسان والأرض ، وفى سبيل الوصول اليه ، وتحولا يتحقق به استخدام الأرض • ويكاد يعلن هذا الاتفاق عن قبول كل طرف من الطرفين شروط الطرف الآخر •

الأرض فى عيون جغرافية :

وفى اطار هذه الوقفة الجغرافية التحليلية المتأنية ، يطل الجغرافى على الأرض على صعيد المساحة المعنية • وتدقق العين الجغرافية بعناية فى منظومة المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتتحرى تداخل العناصر المتنوعة فى هذه المنظومة • وتتابع هذه العين الجغرافية بعناية أكثر تغلغلا فى المنظور الجغرافى ، وكأنها تسأل عن خواص الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • وتثنى على هذه المتابعة بشئ مناسب من التدقيق فى السنن الطبيعية ، من وراء خواص الأرض ، التى تجاوب الانسان أحيانا ، أو لا تجاوبه أحيانا أخرى • ويستهدف الباحث الجغرافى تحرى دواعى الاستجابة ، ودواعى عدم الاستجابة وهو يعين ما يعبر عن موقف الأرض من الاتفاق أو عدم الاتفاق مع الانسان •

ومن الضرورى أن يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، الجمع على قاعدة البحث بين رؤية خواص الأرض فى جانب ، والأسس الفعلية التى يترتب عليها وينطلق منها التغيير الطبيعى فى جانب آخر • ويكون الهدف حسن استشعار أبعاد هذا التغيير على المدى القصير أحيانا ، واستشعار أبعاد هذا التغيير على المدى الطويل • أحيانا أخرى • وفى جميع الأحوال ، يتحرى الاجتهاد

الجغرافى ، مبلغ تأثير هذا التغيير ، على قضية استجابة الأرض للانسان ، وتفاوت هذه الاستجابة من عصر الى عصر آخر ، فى المكان ٠

هذا ، واذا كانت هنـاك علاقة بين المتغيرات الطبيعية والضـوابط الطبيعية ، فانهما معا يشتركان فى صياغة خواص الأرض التى يتعامل معها الانســان ٠ بمعنى أن يتهيأ الانسان لكى يحسب حساب المتغيرات الطبيعية التى تتغير بموجبها خواص الأرض ، حتى يحسب حساب الضوابط الطبيعية التى تتأتى فى صـحبة هذا التغيير ٠ بل قل من الضرورى أن يتحرى الاجتهاد الجغرافى ، أوضاع الأرض ، والخواص التى تميزها وتبث فيها قوة الفعـل التى تواجه الانســان من ناحية ، وأوضاع الأرض وفى صحبتها المتغيرات وضوابطها ، التى تبالغ أحيانا أو التى لا تبالغ أحيانا أخرى ، فى التصدى للانســان وتعامله معها من ناحية أخرى ٠

وتستحق هذه الضوابط الطبيعية ، وهى تقف دائما فى صف الأرض ، وتكاد تجســد حجم التحدى الحقيقى التى تواجه ارادة استخدام الأرض ، شيئا كثيرا من الاهتمام الجغرافى ٠ ويدقق هذا الاهتمام الجغرافى فى كنه وماهية هذه الضوابط الطبيعية وقوة تأثيرها فى مواجهة الانســان ، الذى يتعامل مع الأرض فى المســاحة المعنية ٠ كما يستحق البحث الجغرافى ، رصد احتمالات التغيير من عصر الى عصر آخر ، لكى تقوى وتشتد وطأة هذه الضوابط الطبيعية أحيانا ، أو لكى تضعف وتتواضع ضغوط وقوة فعل هذه الضوابط الطبيعية أحيانا أخرى ، على صعيد المســاحة المعنية ، فى مواجهة الانســان وارادة استخدام الأرض ٠ بل قل انها تستحق دراسة جغرافية تحليلية ، تتغلغل وتدقق فى كنه وماهية الضـبط الطبيعى ، ومســتوى ضغوطه ، التى تتفاوت مستويات تحدياتها لارادة استخدام الأرض ، على صعيد المســاحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠

وفى اطار الوقفة الجغرافية المتأنية ، التى تطالع العلاقة بين الانســان والأرض ، وهو يستخدمها أو وهو ينتفع بها ، ينبغى أن يتابع الجغرافى بعناية ، أوضاع الانســان فى المساحة المعنية ، على صعيد الأرض ٠ ومن

الطبيعى أن يتبين البحث الجغرافى الوسيلة وقوة فعل التكنولوجيا ، التى يعتمد عليها الانسان ، وهو يباشر التعامل مع الأرض ، أو وهو يبادر بطلب استخدام الأرض ، وتخصيص أوجه الانتفاع بها • وقل تدقق العين الجغرافية بعناية ، فى منظومة المنظور الجغرافى البشرى ، وتتحرى تداخل العناصر المتنوعة فى هذه المنظومة ، وتكون وكأنها تسال عن قدرات ومهارات الانسان ، على صعيد المساحة المعنية • وتثنى العين الجغرافية على هذه المتابعة بشىء مناسب من التدقيق فى ظروف وأوضاع حركة الحياة ، اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا وسياسيا ، من وراء مهارات الانسان ، التى تباشر استخدام الأرض • وقد يستهدف الباحث الجغرافى تحرى دواعى الطلب والاقدام على اختيار الأرض ، وتخصيص الغرض من استخدام هذه الأرض •

ومن الضرورى أن يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، الجمع الموضوعى على قاعدة البحث ، بين رؤية واقع حركة الحياة فى جانب ، ورؤية الأسس الفعلية التى يبتنى عليها وينطلق التغير البشرى من عصر الى عصر آخر • ويكون الهدف حسن التماس أبعاد هذا التغيير ، فى ظل التفاوت بين التغيير فى ظل الشىء المناسب من الانفتاح أحيانا ، أو فى ظل شىء حقيقى من الانغلاق أحيانا أخرى • كما ينبغى أن يستشعر هذا الهدف أبعاد هذا التغيير ونتائجه على المدى القصير أحيانا ، وأبعاد هذا التغيير ونتائجه على المدى الطويل • وفى جميع الأحوال ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى ، توجهات هذا التغيير ومبلغ تأثيره على قضية اقدام الانسان على استخدام الأرض ، وتفاوت هذا الاقدام من عصر الى عصر آخر ، فى المكان •

هذا واذا كانت هناك علاقة صحبة حميدة ، بين المتغيرات الطبيعية والضوابط الطبيعية ، فانهما معا ، يشتركان فى صياغة قوة فعل الانسان ، التى يتعامل بها مع الأرض • بمعنى أن يتهيأ الانسان ، لكى يحسب حساب المتغيرات الطبيعية التى تتغير بموجبها قدراته وتطلعاته ، حتى يحسب حساب الضوابط البشرية ، التى تتأتى فى صحبة هذا التغيير • وقل يتحرى الاجتهاد الجغرافى الفرق بين أوضاع تقف فيها

الضوابط البشرية فى صف الانســان ترشد الأخذ بالمتغيرات البشرية ، وتقوى فعله فى مواجهة الأرض أحيانا ، وأوضاع تقف فيها الضوابط البشرية فى صف غير صف الانســان ، فلا ترشد الأخذ بالمتغيرات البشرية ، وتضر قوة فعله فى مواجهة الأرض أحيانا أخرى ٠

وتستحق هذه الضوابط البشرية ، وهى تقف فى صف الانســان ، وتشــد أزره وترشد أخذه بالتغيير الأنسب وتقوى فعله فى مواجهة الأرض ، وتقف أحيانا أخرى فى صف الأرض ، وتضخم حجم التحدى الذى يواجه ارادة استخدام الأرض ، شيئا كثيرا من التدقق والاهتمام الجغرافى ٠ ويدقق هذا الاهتمام الجغرافى فى كنه وماهية هذه الضوابط البشرية ، وقوة تأثيرها مع الانسان وهو الوضع الذى يتمشى مع القاعدة ، أو فى كنه وماهية هذه الضوابط البشرية وقوة تأثيرها ضد الانســان ، وهو الوضع الذى يخرج عن القاعدة ٠

ويكون الاجتهاد الجغرافى حريصا بالضرورة ، على رصد ودراسة دور الانســان فى التعامل مع الأرض ، فى اطار هذا التفاوت الشديد بين وضع تشد الضوابط أزره ، ووضع آخر تشترك الضوابط البشرية فى الضغط عليه ٠ بل قل انها تستحق دراسة جغرافية تحليلية ، تتغلغل وتدقق فى كنه وماهية الضغط البشرى ، ومستوى دعم دور الانســان أحيانا ، وحجم ضغطه على الانســان أحيانا أخرى ، عندما يتأتى التعامل مع الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠

* * *

الضوابط الطبيعية واستخدام الأرض :

عندما يقدم الانســان على استخدام الأرض ، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، يستشــعر الاجتهــاد الجغرافى ضرورة الاهتمــام بخواص الأرض ٠ وقد يتحرى الكيفية التى تجاوب بها الأرض الانســان ، فتطاوعه ولا تخــذله ٠ ولكنه يلتمس فى نفس الوقت الضــوابط الطبيعية ، وكيف تجسد شيئا مهما من قوة فعل الطبيعة ، التى تبدو وكأنها تتحدى ، وتفرض

على الانسان الشيء المناسب من الانضباط .

واقدام الاجتهاد الجغرافي ، على تحرى معنى ومغزى الضابط الطبيعي ، وقوة فعله ، وعلى تحرى موقف الانسان من هذا الضبط ، يبدو في غاية الأهمية • وينبغي أن يتوجه هذا البحث الجغرافي على محورين جوهريين هامين ، ويكاد يتمم الواحد منهما الآخر .

وعلى **المحور الأول** ، الذى لا يتجاوز حدود الموضوعية الجغرافية ، يكون التحرى الجغرافي الرشيد ، الذى يلتمس كنه وماهية الضوابط الطبيعية • بل قل يلتمس الاجتهاد الجغرافي مبلغ ارتباط قوة فعل الضوابط الطبيعية ، أو تأثيرها الفعال ، بخواص العناصر الطبيعية المتعددة السائدة ، التى تتداخل فى صياغة طبيعة الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وعلى **المحور الثانى** ، الذى لا يتجاوز حدود الموضوعية الجغرافية ، يكون التحرى الجغرافي الرشيد ، الذى يلتمس قوة فعل أو تأثير الانسان فى مواجهة هذه الضوابط الطبيعية • بل قل يلتمس الاجتهاد الجغرافي مبلغ كفاءة مهارة الانسان وتكنولوجيته ، فى التعامل مع الأرض ، ودرجة الاستجابة للضبط الطبيعى ، حتى تتيسر فرص استخدام الأرض ، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات •

ولا غرابة أبدا ، فى أن تكون العناصر الطبيعية المتنوعة ، التى تتداخل فى صياغة صورة الأرض ، أو فى صياغة منظومة المنظور الجغرافي الطبيعي ، مسئولة بالفعل عن فرض الضوابط الطبيعية ، على صعيد الأرض فى ربوع المساحة المعنية • ولا غرابة أيضا ، فى أن تكون أوضاع حركة الحياة ، التى تتداخل فى تكوين صورة حركة الحياة ، أو التى تتداخل فى صياغة منظومة المنظور الجغرافي البشرى ، مسئولة بالفعل عن مواجهة الضوابط الطبيعية ، على صعيد المساحة المعنية • وتبدو هذه الضوابط الطبيعية فى المكان والزمان ، وكأنها تتحدى تطلعات الانسان الملحة ، لاستخدام الأرض •

ويبدو الانســان وفى صحبته مهاراته وتكنولوجيته ، وهو يقيدم على التعامل مع الضوابط الطبيعية ، وصولا الى التنسيق المناسب الذى يبيــح له حق استخدام الأرض ٠

وقل لا غرابة أيدا فى أن تكون خواص العناصر المتنوعة ، المتداخبة فى صلب صياغة المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتشمل الموقع الجغرافى ، والتكوين الجيولوجى ، وشكل التضاريس ، وطبيعة التربة ، وعناصر المناخ ، وصورة النمو النباتى الطبيعى ، وأوضاع الوجود الحيوى ، من وراء مجموعة من الضــوابط الطبيعية ٠ ويفطن الاجتهــاد الجغرافى تماما ، ولا يفوته أبدا ، حسن استشعار وتقويم هذه الضوابط الطبيعية ، وهى تواجه الانسان ، على كل صــعيد من أصعدة تعــامله مع الأرض ، والاقدام على اســتخدامها والانتفاع بها ٠

وقل أن الاجتهــاد الجغرافى يتمعن فى هــذه الضــوابط الطبيعية ، وتكون محل الدراسة الجغرافيــة التحليلية ٠ ومن ثم يفطن الى قوة فعــل وتأثير هذه الضوابط الطبيعية ، وهى تتغير من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ٠ ويلتمس هذا الاجتهــاد الجغرافى ، مبلغ تأثير هــذه الضوابط الطبيعية على استخدام الأرض ، فى المكان والزمان ، ومبلغ تأثير هذه الضوابط الطبيعية التى تستجيب للمتغيرات من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ٠ بل قل يكون هذا الاجتهــاد الجغرافى حريصا على تقصى مواجهة الانســان لهذه الضوابط الطبيعية ، وهو يتعامل مع الأرض ، فيلتزم بها ويطاوعها ، أو وهو يتعامل مع الأرض فيتحايل عليها ويطوعها ، او وهو يتعامل مع الأرض ، فيبطل مفعولها ويحرر استجابتها له ٠

ومهــم أن يطالع الاجتهــاد الجغرافى هذه الضوابط الطبيعية ، حتى تتكشف له قوة فعلها المؤثر على استخدام الأرض ٠ ومهم أيضا أن لا يغيب عن الاجتهــاد الجغرافى حصر متغيرات هذه القوة الفاعلة من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، على استخدام الأرض ٠ ولكن الأهم من ذلك

كله أن يلتمس الاجتهـاد الجغرافى مقدار نجاح الانسـان فى مواجهة هذه الضوابط الطبيعية ، بالشكل الذى يبيح له استخدام الأرض ، على مستوى من مستويات التطويع المتفاوتة ، فى المكان والزمان •

الموقع الجغرافى والضابط المكانى :

معلـوم أن أى مسـاحة من الأرض المعنية ، التى يلتمس الانسـان استخدامها ، تقع فى مكان جغرافى معين • وصحيح أن هذا الموقع الجغرافى ، يضع استخدام الأرض المعنية فى مواجهة ضوابط طبيعية تفرضها خواص الأرض فى المكان والزمان • وصحيح أيضا أن هذا الموقع الجغرافى ، يضع المسـاحة المعنية على اتصال بالمسـاحات الأخرى على صعيد الأرض ، وأن ثمة تأثير متبـادل بين استخدامات هذه الأرض تأسيسـا على هذه العلاقات المكانية • وصـحيح مرة أخرى أن موقع المسـاحة المعنية فى المكان الجغرافى ، يجسد قيمة متغيرة من عصر الى عصر آخر ، بناء على علاقة هذا المكان وتوجهات حركة الحيـاة فيه ، بحركة الحيـاة وحضورها وتوجهاتها فى الأماكن الأخرى• ولكن الصـحيح بعد ذلك كله ، هو ما يتأتى من تأثير مباشر أو غير مباشر ، يفرضه الموقع الجغرافى ، على نمط الاستخدام السـائد ، وعلى مستوى هذا الاستخدام المتنوع ، فى المكان والزمان •

ويكشف الاجتهـاد الجغرافى بصـدق وموضـوعية عن قوة فعل ذلك الضابط الذى يفضى اليه الموقع الجغرافى ، ويؤثر على توجهات اسـتخدام الأرض • ويدعو التأثير المباشر لضابط الموقع الجغرافى على صعيد المسـاحة المعنية المنعزلة ، الى شيء ملموس من الانغلاق على أنماط استخدام الأرض السائدة • كما يدعو التأثير المباشر لضابط الموقع الجغرافى على صعيد المساحة المعنية المنفتحة ، الى شيء من الانفتـاح على توجهـات اسـتخدامات الأرض السائدة

والاستجابة لهذا الانغلاق ، يدعو الى بنـاء حواجز العزلة بين استخدام الأرض فى المساحة المعنية المنغلقة ، واستخدام الأرض فى المساحات الأخرى •

ويتجه استخدام الأرض الى مباشرة الانتاج فى هذه الأرض على صعيد المساحة المعنية ، فى الموقع الجغرافى المنغلق ، اتجاها يجاوب الاستهلاك المحلى • كما يتجه استخدام الأرض فى السكن والاستيطان الى بناء وتأسيس المساكن المستغرقة فى المحلية • وتكاد تنقطع الصلة تماما بين استخدام الأرض فى توفير الخدمات على صعيد المساحة المنعزلة ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات السائدة على الصعيد العالمى •

والاستجابة للانفتاح ، يدعو الى توثيق أواصر الاتصال ، بين استخدام الأرض فى المساحة المعنية المنفتحة ، واستخدامات الأرض فى سائر المساحات الأخرى • ويتجه استخدام الأرض الى مباشرة الانتاج فى هذه الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الموقع الجغرافى المنفتح ، اتجاها يجاوب حاجة الاستهلاك العالمى • كما يتجه استخدام الأرض فى السكن والاستيطان ، الى بناء وتأسيس المساكن التى تساير الطابع المتطور العالمى • ويرسخ الانفتاح الصلة بين استخدام الأرض فى توفير الخدمات على صعيد المساحة المعنية المنفتحة ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات المتطورة السائدة على الصعيد العالمى •

والاستجابة للانفتاح أو للانغلاق ، الذى يفضى اليه الموقع الجغرافى ، هو عين ما يجسد مبلغ التزام استخدام الأرض التزاما حقيقيا ، بالضابط المكانى • ومع ذلك يبقى فى وسع الانسان ، وهو يملك الوسيلة المناسبة التى تدعمه فى المكان والزمان ، أن يرفض الاستجابة لدواعى الانغلاق ، أو الاستسلام للضابط المكانى • ويدعو هذا الرفض الانسان قبل الاقدام الجاد على استخدام الأرض ، الى مباشرة القدر المناسب من التحايل ، على دواعى العزلة ، أو على قوة فعل الضابط المكانى • بمعنى أن يكون فى وسع الانسان ، أن يوظف وسائل متنوعة كثيرة ، لفك الحصار ، وكسر حاجز العزلة لكى يباشر استخدام الأرض استخداما متحررا من بعض أو من كل دواعى الانغلاق •

ومباشرة استخدام الأرض ، فى ربوع المساحة المعنية ، فى الموقع الجغرافى المنغلق ، وفى ظل هذا التحايل على قوة فعل أو تأثير الضابط المكانى ، يعنى بالضرورة :

أولا ـ توجه الاستخدام الى الانتاج ، توجها متحررا ، فى وسعه أن يصل ، أو أن يتصل بأى مكان على الصعيد العالمى ٠

ثانيا ـ توجه الاستخدام الى السكن ، توجها منفتحا ، فى وسعه أن يكفل للاستيطان جنى ثمرات الأخذ والعطاء على الصعيد الاقليمى ٠

ثالثا ـ توجه الاستخدام الى توطين الخدمات ، توطينا مناسبا ، فى وسعه أن يساير حركة المتغيرات على الصعيدين الاقليمى والعالمى ٠

ونذكر على سبيل المثال ، دولا كثيرة متقدمة ، وأخرى متخلفة ، تقوم على صعيد مساحات قارية منعزلة أو منغلقة ، لا تملك النوافذ التى تطل منها على العالم ، كان عليها أن تواجه الضابط المكانى ٠ وقل يبدو الفرق كبيرا بين موقف سويسرا وموقف أوغندة ، فى مواجهة الضابط المكانى ٠ والفرق الذى نعنيه هو فرق فى مستوى التحايل على مواجهة الضابط المكانى والتحرر من حاجز العزلة ، لدى الاقدام على استخدام الأرض والانتفاع بها فى الانتاج وفى السكن وفى توفير الخدمات ٠

وفى مواجهة الضابط المكانى ، تتجاوز سويسرا دواعى الانغلاق ، وتباشر شيئا من الانفتاح ٠ وفى ظل هذا الانفتاح تلتمس استراتيجية استخدام الأرض ، على الصعيد السويسرى ، حسن العناية بانتاج سلعى من الأنواع التى يخف وزنها ، ولا تشغل حيزا كبيرا فى وسيلة النقل ، والتى تستوجب أعلى درجات المهارة والخبرة الفنية والجودة ٠ ومن ثم يحقق هذا الانفتاح أقصى درجات الحد الأقصى من جدوى استخدام الأرض والانتفاع بها ٠

وفى مواجهة الضابط المكانى ، تتجاوز أوغنده دواعى الانغلاق ،

وتباشر شيئا من الانفتاح • وفى ظل هذا الانفتاح ، تلتمس استراتيجية استخدام الأرض على الصعيد الأوغندى ، انتاج الخامات التى تشغل حيزا كبيرا فى وسيلة النقل ، وتدفع تكلفة تؤثر على العائد من التسويق على الصعيد العالمى • ومن ثم يحقق هذا الانفتاح أدنى درجات الحد الأدنى من جدوى استخدام الأرض والانتفاع بها •

وهكذا نفهم جيدا قيمة الموقع الجغرافى للمساحة المعنية على صعيد الارض • كما نتبين معنى وقوة فعل الضابط المكانى ، ومبلغ تاثيره على الشخصية الجغرافية لوجود حركة الحياة فى المكان والزمان • ويكون ذلك كله ، من وراء :

١ ـ الانغلاق وحواجز العزلة ، التى تستوجب استراتيجية مناسبة لاستخدام الأرض ، من أجل الانتاج الذى لا يستمع الا الى صوت الطلب المحلى، أو من أجل السكن الذى تنقطع صلته بالمتغيرات العالمية ، أو من أجل توفير الخدمات التى لا تجاوب روح العصر •

٢ ـ الانفتاح وتجاوز حواجز العزلة ، التى تستوجب استراتيجية مناسبة لاستخدام الأرض ، من أجل الانتاج الذى يستمع الى صوت الطلب العالمى ، أو من أجل السكن الذى يأخذ بالمتغيرات العالمية ، أو من أجل توفير الخدمات التى تجاوب روح العصر •

هذا ، ومن شان الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، أن يدرك قيمة الموقع الجغرافى • وقل لا يفوته تقويم الضابط المكانى وحساب تأثير قوة فعله المباشر أو غير المباشر • وعندئذ يكون فى وسعه أن يميز جيدا بين ما يفضى اليه الانغلاق ، وهو لا يؤثر على استخدام الأرض وتوجهاته فى جانب ، وما يفضى اليه الانفتاح وهو يؤثر على استخدام الأرض وتوجهاته فى جانب آخر • وفى ظل هذا التمييز الجغرافى يقدم الاجتهاد الجغرافى التوصيات المناسبة ، من أجل مواجهة هذا الضابط المكانى ، ومباشرة التحول من الانغلاق الى الانفتاح ، توطئة لانجاز أو لتنفيذ استراتيجية احسن أو انسب،

لاستخدام الأرض فى المكان والزمان . وينبغى أن يحسن فريق المخططين ومعهم الجغرافى الاستماع الجيد الى هذه التوصيات الجغرافية المبنية على تقويم الموقع الجغرافى ، حتى توضع البرامج التنموية الأنسب التى تخدم التحول من الانغلاق الى الانفتاح ، وتستحدث استراتيجية وأساليب أجدى لاستخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى توفير الخدمات وحسن توزيعها .

ومهما يكن من أمر العناية الجغرافية ، التى تنهمك فى دراسة الموقع الجغرافى ، لكى تلتمس الضابط المكانى على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، فانها تستهدف فى نهاية المطاف شيئا من التقويم المناسب لقوة فعله وتأثيره على توجهات استخدامات الأرض المتنوعة . ويخدم الرأى الجغرافى الذى ينتهى اليه هذا التقويم الجغرافى ، التغيير فى أنماط استخدامات الأرض الى ما هو أفضل ، على صعيد المساحة المعنية . كما يسعف هذا الرأى الجغرافى أيضا ، حسن التنسيق بين أوجه وأنماط استخدامات الأرض المتنوعة ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان .

التركيب الصخرى والضابط الجيولوجى :

تمثل البنية والتركيب الجيولوجى على صعيد الأرض ، عنصرا مهما من جملة العناصر المتنوعة ، التى تتجمع وتتداخل فى صياغة المنظور الجغرافى الطبيعى ، فى أى مساحة معنية . ومن شأن عناية البحث الجغرافى أن تتوجه الى دراسة البنية والتركيب الجيولوجى ، لكى يلتمس مواصفاتها وخصائصها، على صعيد المساحة المعنية . ومن ثم يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يتبين كنه وماهية الضابط الجيولوجى ، وأن يحسب حساب قوة فعله أو تأثيره على التعامل مع الأرض ، واقدام الانسان بكل ما يملك من مهارات ووسائل وتكنولوجية على استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى توفير الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية .

وقل أن الدراسة الجغرافية التى تتقصى الضابط الجيولوجى ، تكون فى حاجة الى الانتفاع بثمرات ونتائج البحوث الجيولوجية ، المتخصصة نظريا

وتطبيقيا . ويبصر هذا التقصى ، العلاقة بين البنية والتركيب الجيولوجى على صعيد المنظور الجغرافى الطبيعى من ناحية ، واقدام الانسان على استخدام الأرض على هذا الصعيد من ناحية أخرى . بل قل يكشف هذا التقصى عن قوة فعل الضابط الجيولوجى ، الذى يتحمل الانسان مسئولية مواجهته وتطويعه ، وهو يباشر أى نمط من انماط استخدام الأرض . كما يكشف هذا التقصى أيضا ، عن المتغيرات واحتمالات تغير قوة فعل الضابط الجيولوجى ، التى ينبغى أن يتقن الانسان التعامل معها ، اتقانا يحافظ على استخدام الأرض وتطويرها التطوير المناسب .

واستخدام الأرض فى الزراعة ، أو فى التعدين ، أو فى سحب الماء الجوفى ، يتأثر بقوة فعل الضابط الجيولوجى . وفى غيبة الضابط الجيولوجى وقوة فعله المباشر وغير المباشر ، يتعذر استخدام الأرض الاستخدام الاقتصادى الأنسب . وقد يقع هذا الاستخدام فى ورطة عدم التوازن بين تكلفة الانتاج من ناحية ، وقيمة الانتاج من ناحية أخرى ، حتى يصبح فاقدا للجدوى من وجهة النظر الاقتصادية . وفى غيبة الدراسة الجيولوجية ، وحسن بيان الضابط الجيولوجى والتماس قوة فعله ، يتعذر التنقيب عن المعادن ، والبحث عن الماء الجوفى ، وتبقى أيدى الانسان مغلولة ، ولا يملك حق استخدام الثروة الكامنة فى التراكيب الصخرية فى باطن الأرض .

واستخدام الأرض فى البناء والتشييد ، لاقامة المستوطنات ، أو لتوفير الخدمات ، يتأثر بقوة فعل الضابط الجيولوجى ، وقوة فعله المباشر وغير المباشر . وفى غيبة الضابط الجيولوجى على صعيد المساحة المعنية ، واهمال حساب قوة فعله ، يتعذر استخدام الأرض الاستخدام الاجتماعى الأنسب . وقد يقع هذا الاستخدام فى ورطة سوء التوزيع وعدم التوازن بين تكلفة الانشاء من ناحية ، وحاجة المجتمع ، من ناحية أخرى ، حتى يصبح فاقدا للجدوى من وجهة النظر الاجتماعية ، ومن وجهة النظر الاقتصادية . وفى غيبة الدراسة الجيولوجية ، وحسن بيان الضابط الجيولوجى والتماس قوة فعله ، يتعذر حسن اختيار المساحات الأنسب للبناء والتشييد ، وتبقى مصلحة

الانســان معرضة لشيء من الخطر ٠

ومن شــأن الاجتهاد الجغرافى الذى يعكف على دراسة المنظور الجغرافى الطبيعى ٠ ويعمل فى اطار الفريق العلمى المؤلف من المتخصصين العلميين فى العلوم الطبيعية ، أن يشارك الجيولوجى ، وأن يستوعب نتائج دراساته التطبيقية ٠ وصولا الى الضــابط الجيولوجى ٠ وهذه المشاركة على مستوى الدراسة المكتبية أو على صعيد الدراسة الميدانية ، تسعف الجغرافى وهو يتمعن فى رؤية الضــابط الجيولوجى ، وفى تقصى قوة فعل هذا الضابط ٠ وتقويم تأثيره المباشر وغير المباشر على استخدام الأرض ٠ بل قل انها تسعف الجغرافى فى تقصى قوة فعل الضــابط الجيولوجى من ناحية ، وقوة وسيلة ومهارة وتكنولوجية تعامل الانســان معها من ناحية أخرى ، وصولا الى كيف ومستوى استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وقل ربمــا يكون فى وســع الجيولوجى أن يباشر دراساته التطبيقية وصولا الى الضــابط الجيولوجى فى المكان والزمان ، ولكنه يفتقد القدرة على تقــويم المواجهــة بينه وبين الانســان لتســخير الأرض وتجــديد مســتوى استخدامها ٠ ومهارة الجغرافى وهو يتحلى بالقدرة على التحول من الدراســة التحليلية الى الدراسة التركيبية ، هى التى يكون فى وسعها ٠ أن تحسب حســاب قوة فعل الضــابط الجيولوجى ، وأن تحســب حســاب قوة فعــل الانســان ، وأن تقوم جيدا محصلة المواجهة بينهما ٠ ومن ثم قل أن المشاركة الحســنة بين الجيولوجى والجغرافى ، تعنى أن يتولى الجيولوجى حسن تجسيد الرؤية للضــابط الجيولوجى ، وأن يتولى الجغرافى حسن بيان الرأى عن كيفية وعن مستوى تعامل الانسان مع هذا الضابط الجيولوجى ٠

وعندما يعرف الجغرافى ، ويتبين الضابط الجيولوجى ، ويحسب قوة فعله ، ومبلغ تأثيره على تعامل الانســان مع الأرض فى المكان والزمان ، يكون فى وســعه أن يكشف عن مستوى استخدام هذه الأرض ٠ كما يكون فى وسعه أن يبصر الاستخدام ، وأن يرشد اختيار وسيلة أنسب وتكنولوجية أفضل ، وصولا الى مستوى الاستخدام الأنسب على صعيد الأرض ٠

شكل السطح والضابط التضاريسى :

يشكل شكل السطح والتضرس السائد ، على صعيد الأرض فى أى مساحة معنية . عنصرا من مجموعة العناصر المتعددة ، التى تتداخل وتشترك فى صياغة المنظور الجغرافى الطبيعى ، فى المكان والزمان • ومن شأن عناية الباحث الجغرافى ، التوجه الى حسن دراسة شكل السطح ومكوناته ، لكى تتكشف له خواص التضرس السائد ، على صعيد الأرض • ويكون فى وسع البحث الجغرافى أن يتخذ من هذه الدراسة التحليلية ، سبيلا الى حسن عرض الصورة التضاريسية ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن خلال قراءة الخريطة التضاريسية ، وحسن تعقب خطوط الكنتور أو خطوط الارتفاعات المتساوية ، ومن خلال المعاينة والتمعن فى جولات الدراسة الميدانية ، ومباشرة العمل الجغرافى العملى فى ربوع الأرض على صعيد المساحة المعنية ، يتبين الاجتهاد الجغرافى الصورة التضاريسية • وقل انه يستشعر بكل الوضوح تفاصيل التضرس ، على صعيد الأرض • بل قل يكون فى وسعه أن يرصد التباين والتنوع التضاريسى فى اطار الصورة التضاريسية ، أو فى مجموعة الأشكال التضاريسية المتداخلة فى تكوين هذه الصورة التضاريسية • وبعد ذلك كله ، لا يكون هذا الرصد الجغرافى للتضرس ، واستشعار التفاصيل التضاريسية ، مقصودا لذاته ، بل انه هو الذى يقدم ويؤمن حسن الوصول الجغرافى الى رصد وبيان الضابط التضاريسى ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية •

ويقف الاجتهاد الجغرافى وقفة التمعن فى قوة فعل أو تأثير الضابط التضاريسى على استخدام الأرض فى المساحة المعنية • ويشمل هذا التمعن والتدقيق الجغرافى :

١ ـ شيئا من الاحاطة بالانحدارات ، وحساب معدلاتها وحصر اتجاهاتها على امتداد السطح السائد •

٢ - شيئا من التدقيق فى طبيعة التضرس ، وحصر عناصر هذا التضرس ، التى تتراوح بين السهل والهضبة والجبل ٠

٣ - شيئا من العناية بالتفاوت التضاريسى بين مكونات التضرس ، على السطح الرتيب ، أو على السطح المضرس ، أو على السطح الممزق ٠

ومن خلال هذا التمعن أو هذا التدقيق ، وترتيبا على حسن استشعار الضابط التضاريسى على صعيد المساحة المعنية ، يفهم الاجتهاد الجغرافى ويستوعب قوة فعل هذا الضابط ٠ وقل يباشر الجغرافى التقويم الجغرافى المناسب ، الذى يحسب حساب قوة فعل أو تأثير هذا الضابط التضاريسى وهو يؤثر على كنه وماهية العلاقة الايجابية بين الانسان والأرض ، والاقدام على التعامل مع الأرض واستخدامها وتسخيرها ٠ كما يسعف هذا التقويم الجغرافى مسألة المفاضلة وحسن التخصيص الأنسب لاستخدام الأرض فى الانتاج ، أو لاستخدام الأرض فى السكن ، أو لاستخدام الأرض فى توفير الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وصحيح أن استخدام الأرض لا يتأتى فى غيبة الضابط التضاريسى ٠ وصحيح أيضا أن الانسان يواجه الضابط التضاريسى ، الذى يتباين وتتفاوت قوة فعله وتأثيره المباشر وغير المباشر ، من صورة تضاريسية الى صورة تضاريسية أخرى ٠ وصحيح أن هذه المواجهة بين الانسان والضابط التضاريسى ، تفضى الى تجاوب الانسان معه ، على ثلاثة مستويات ، وهو :

أولا - يلتزم به فى المستوى الأدنى ويطاوعه حتى تتيسر له فرص استخدام الأرض ٠

ثانيا - يتحايل عليه فى المستوى الأوسط ويطوعه ، حتى تتطور فرص استخدام الأرض ٠

ثالثا - يجمد تأثيره ويبطل قوة فعله فى المستوى الأعلى ، حتى تتحرر فرص استخدام الأرض ٠

ولكن قل أن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ضرورة فهم واستيعاب المواجهة بين الانسان وفى يمينه مهارته وخبرته وتكنولوجيته فى جانب ، والضابط التضاريسى وقوة فعله وتأثيره المباشر وغير المباشر فى جانب آخر • ومن شأن التقويم الجغرافى ، أن يحدد موقف الانسان فى هذه المواجهة ، وأن يكشف عن المستوى الذى يتحقق به استخدام الأرض ، لحساب الإنسان ، وأن يلتمس مبلغ استجابة الأرض عند هذا المستوى • ولا يفوت التقويم الجغرافى أبدا ، أن يحسب حساب التغير فى مستوى التعامل مع الضابط التضاريسى ، من أجل تحسين أو تطوير فرص استخدام الأرض فى المكان والزمان •

هذا ويبصر التقويم الجغرافى ويشد أزر الانسان ، وهو يواجه الضابط التضاريسى ، ويباشر المستوى الذى يقدر عليه ، حتى تتيسر له فرص استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى تجهيز الخدمات • كما يبصر التقويم الجغرافى الانسان بدواعى واحتمالات التغير فى كنه وطبيعة وقوة فعل الضابط التضاريسى من عصر الى عصر آخر ، حتى لا يفقد القدرة على التعامل معه ، ويفلت منه حق استخدام الأرض • بل قل يضع هذا التقويم الانسان ، وهو يباشر استخدام الأرض ، ويطوعها تطويعا مناسبا لموقفه من الضابط التضاريسى ، فى موضع اليقظة والانتباه ، لكى يستوعب التغيير ، ولا يباغته مباغتة ، تؤثر على وسائل وأساليب استخدام الأرض •

ومن شأن التقويم الجغرافى ، وهو يبصر الانسان بالضابط التضاريسى ، ومتغيراته من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، أن يقدم له التوصية التى تعينه على مواجهة التحدى الذى يبديه أو يفرضه الضابط التضاريسى • وقل تفضى هذه التوصية الجغرافية الى حسن التماس الوسيلة الأفضل التى تطور تعامل الانسان مع الضابط التضاريسى ، وتنقله من مستوى الالتزام الى مستوى التحايل أو الى مستوى التحرر من قوة فعل الضابط التضاريسى ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل فى

وسع الخبرة الجغرافية التى تباشر هذا التقويم ، أن تدعم التوصية الجغرافية بشيء مفيد من تجارب الانسان فى ربوع الأرض وفى أحضان الصور التضاريسية المتنوعة ، وهو يتعامل مع الضابط التضاريسي ، أو وهو يواجه تحديات الضابط التضاريسي ويطوعها بالشكل وعلى المستوى ، الذى يبيح له استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات .

وكم من مساحات على صعيد الأرض ، تبدو وهى ذات سطح رتيب ، وأخرى تبدو وهى ذات سطح وعر مضرس . وفى الحالتين ، لا ينبغى اهمال الضابط التضاريسى ، أو التهوين من قوة فعله وتأثيره المباشر أو غير المباشر على تعامل الانسان مع الأرض ، والاقدام على تسخيرها واستخدامها . كما لا ينبغى اهمال وقفة الانسان فى مواجهة الضابط التضاريسى ، والتماس مستوى الاستجابة ، وصولا الى تطويع الأرض لارادة الاستخدام ، وتسخيرها فى طلب الانتاج ، أو فى طلب السكن ، أو فى طلب الخدمات . وقل انه فى غيبة الاهتمام بالضابط التضاريسى ، والاهتمام بمستوى مهارة الانسان فى مواجهة واستيعاب هذا الضابط التضاريسى ، تكاد تتخبط ارادة استخدام الأرض أحيانا ، أو تتفسخ العلاقة بين الانسان والأرض وتخذله وسائل تطويع الأرض واستخدامها أحيانا أخرى .

وعلى صعيد الأرض الوعرة ، يفرض الضابط التضاريسى ، التحدى الذى يتحدى ارادة الانسان لمباشرة استخدام الأرض . ومواجهة الانسان لهذا التحدى على مستوى الحد الأدنى ، يفرض عليه الالتزام ، ويتعذر استخدام الأرض . وفى وسع الانسان ، أن يواجه هذا التحدى على مستوى الحد الأنسب ، لكى يتحقق التحايل الذى يجسد نجاح حقيقى فى استخدام الأرض . وقل أن هناك فرق كبير بين الوضع فى الحالتين ، والانسان هو المسئول الحقيقى عن العجز فى مواجهة الضابط التضاريسى ، أو عن القدرة على مواجهة التحدى التضاريسى .

وهناك مثل رائع على صعيد الأرض اليمنية الوعرة ، حيث يتحدى

التضرس فى ربوعها ، وجود حركة الحياة ، ومواجهة الانسان على الصعيد اليمنى ، لهذا التحدى ، كانت مواجهة ناجحة وموفقة • بمعنى أن هذا التحدى التضاريسى لم يحرم الانسان اليمنى من التماس الوسيلة المناسبة لاستخدام الأرض فى الانتاج ، وفى السكن ، وفى توفير الخدمات • وتمعن فى المدرجات التى تبتنى على جوانب المنحدرات الجبلية وتبين كيف تيسر استخدام الأرض فى الانتاج ومباشرة الزراعة • وتمعن أيضا فى قيام المستوطنات الريفية والمستوطنات الحضرية وتبين توزيعها الجغرافى على صعيد الأرض الوعرة • وتمعن مرة ثالثة فى انشاء الطرق وفى حسن استخدام الأرض لتوفير الخدمات فى الريف والحضر • وهذا هو عين ما يصور المواجهة الايجابية التى يقهر فيها الانسان التحدى التضاريسى ، والتى تجسد مبلغ النجاح فى التعامل مع الضابط التضرايسى والتحايل عليه من أجل تأمين استجابة الأرض وتسخيرها فى خدمة الانسان •

وهناك مثل رائع آخر على صعيد الأرض الفيضية المصرية الرتيبة ، يتحدى فيه النيل وهو جزء من كل المنظور الجغرافى الطبيعى ، وجود حركة الحياة • ومواجهة الانسان على الصعيد المصرى ، كانت مواجهة ناجحة وموفقة • بمعنى أن هذا التحدى التضاريسى على صعيد الأرض السهلية الرتيبة ، لم يحرم الانسان المصرى ، من التماس الوسيلة المناسبة ، لاستخدام الأرض فى الانتاج ، وفى السكن وفى توفير الخدمات • وتمعن فى الجسور التى تبتنى على جانبى النهر ، وكيف يكبح الانسان جماح الفيضان ويطوعه لرى الأرض ومباشرة استخدام الأرض الطيبة فى الانتاج ومباشرة الزراعة • وتمعن أيضا فى انتشار المستوطنات الريفية والحضرية ، وفى التوزيع الجغرافى للخدمات بما فى ذلك مد وتجهيز شبكة قنوات الرى، ومد وتجهيز شبكة الطرق ووسائل النقل ، على صعيد الأرض الطيبة المصرية • وهذا هو عين ما يصور المواجهة الايجابية التى يكبح فيها الانسان التحدى التضاريسى ، والتى تجسد مبلغ النجاح فى التعامل مع الضابط التضاريسى ، والتحايل عليه من أجل استجابة الأرض وتسخيرها فى خدمة الانسان •

ومهما يكن من أمر ، فان مواجهة الانسان للتضرس على صعيد الأرض، وقبول التحدى أو التأثير الذى يفرضه الضابط التضاريسى ، يقوى قبضة الانسان فى تطويع الأرض واستخدامها • وقلما يحرم هـــذا الضـــابط التضاريسى الانسان من مباشرة استخدام الأرض ، وتطويعها لحساب الانتاج أو لحساب السكن ، أو لحساب الخدمات •

المناخ الضـــابط المناخى :

يتفق الناس جميعا ، على أهمية المناخ وعناصره ومتغيراته على المدى القصير ، وعلى المدى الطويل ، وعلى المدى الجيولوجى ، فى ربوع الأرض • وفى تقدير الجغرافيين ، أن المناخ هو أهم عنصر من مجموعة العناصر ، التى تتداخل وتشترك فى صياغة المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتحدد خصوصيته الطبيعية على صعيد أى مساحة معنية • وقل يكون المناخ ، هـــو العنصر الأكثر قيمة وفاعلية ، عندما يتعين التمييز الجغرافى ، بين أى اقليم وسائر الأقاليم الأخرى • بل قل يكون المناخ ، هو العنصر الأكثر قيمة وفاعايـــة وتأثيرا على وجود حركةالحياة ، الانسان والحيوان والنبات ، فىالمكان والزمان•

وفى الوقت الذى يجاوب فيــه الحيوان والنبـــات خواص المنـــاخ ، ويستسلم للضـــابط المناخى فى المكان والزمان ، يواجه الانســـان المناخ والضابط المناخى مواجهة ايجابية • وفى هذه المواجهة ، يفرض المناخ عـــلى وجود الانسان ضغوطا ، ويكون الضابط المناخى ، وكأنه التحدى المبـــاشر لارادة حركة الحياة ، وهى تقدم على التعامل مع الأرض وتسخيرها • ويقبل الانسان هذا التحدى ، وهو يمتلك قوة الفعل المضـــاد ، الذى يحرره من بعض ضغوط الضابط المناخى فى المكان والزمان • وفى أدنى مراتب القبول بتحدى الضابط المناخى ، يطاوع الانسان هذا الضابط ، ولكنه لا يكف عن التحايل عليه حتى يطوعه أحيانا ، أو حتى يجمد مفعول ضغوطه ، ويحرر استخدام الأرض من بعض أو من كل هذه الضغوط المناخية أحيانا أخرى •

ويدخل الجغرافى المناخ ودراسة المنـــاخ ، بكل ما يعلنــه من تحـــدى

ويفرض من ضبط ، فى الحساب ، عندما يتجرى حسن تقويم نشاط الانسان وأدائه ، وهو يتعامل مع الأرض ويلتمس تسخيرها • ويبدو هـذا التوجه الجغرافى حميدا ، على اعتبار أن المناخ وعناصره ، الحرارة والضغط الجوى والرياح والرطوبة والتكاثف والتساقط ، تؤثر على القدرات العقلية ، وعلى القدرات النفسية ، وعلى القدرات العضلية وهى من وراء قوة فعل الانسان التى تتعامل مع الأرض • ومن ثم يتحرى الجغرافى البحث عن مبلغ تصدى الانسان للمناخ ، ومحصلة علاقته بالضابط المناخى فى المكان والزمان ، وهو يتصالح معه ويطاوعه أو وهو يتجايل عليه ويطوعه ، أو وهو يتحرر منه ويجمد مفعوله ، حتى يتسنى له استخدام الأرض •

وما من شك فى أن الانسان يتعامل مع كل أنواع المناخات السائدة على صعيد الأرض • وتؤكد القاعدة على أن فى وسع الانسان وهو يمتلك القدرة على التكيف على مواجهة التحدى المناخى ، وقلما يكون الاستثناء الذى يعنى الخروج عن هذه القاعدة • وفى ظل هذه القاعدة ، نستوعب أو نفهم معنى قبول التحدى المناخى ومعنى مواجهة الضابط المناخى ، لكى يصالحه الانسان ويتعايش معه ويكتسب حق التعامل مع الأرض • وفى مواجهـــة الضابط المناخى ، يتفاوت الجهد ويختلف الأداء وتتباين الوســـائل التى تسعفه فى التصالح فى المكان والزمان ، ومع ذلك يبقى فى وسع الانسان دائما أن يتعامل مع الضابط المناخى على مستوى من المستويات المتفاوتة ، لكى تطاوعه الأرض ، ويستخدمها فتجاوبه • وحتى لو حرم المناخ الانسان وفرض الضابط المناخى الذى يحول دون استخدام الأرض لأنها لا تجاوب وسائله ، فان هذا الحرمان لا يكاد يستمر فى المكان والزمان • وفى ظل المتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية ، يأتى الوقت الذى تخترق فيـــه وسائل الانسان المتطورة حاجز هذا الحرمان •

ويغالى بعض الجغرافيين كثيرا ، وهم يقومون فعل المناخ وقوة فعـــل الضابط المناخى ، فى المكان والزمان ، وكيف تستسلم له حركة الحيـــاة •

فى أى مساحة معنية ، على صعيد الأرض • ويتمادى هذا التهويل الى حـد المبالغة فى تصوير ضغوط المناخ والحاح الضابط المناخى ، وهو يوجه مسيرة التعامل بين الانسان والأرض ، الذى يطور الحضارة البشرية على صـعيد الأرض • وقل يلتمس هذا التهويل أو المبالغة الربط الشديد بين المتغيرات المناخية المتوقعة من عصر الى عصر آخر فى جانب ، ونقاط التحول الحاسمة على درب المضى الحضارى والمتغيرات الحضارية المنشودة فى جانب آخر • بل قل يوقع هـــذا التهويل بالجغرافى فى قبضـــة الحتم ، الـذى ينتهى الى الاستخفاف بقدرات ومهارات الانسان ، وهو يتعامل مـع الأرض ويبتغى تسخيرها واستخدامها ، فينتصر أحيانا وتجاوبه الأرض ، وينهزم أحيـانا أخرى ولا تجاوبه الأرض •

هذا وينبغى أن نتجنب هذا التفكير الجغرافى المتحيز من غير حق الى جانب المنـاخ ، سواء تمثل هذا التحيز فى الحتم ، أو فى الامكانية • ويجب أن ننظر الى المناخ والى قوة فعل الضابط المناخى نظرة واقعيـة • بل قل يجب أن تكون هذه النظرة الجغرافية متوازنة ، لا تقف فى صف الطبيعـة والمناخ سلاح من أسلحتها ، ولا تنحاز الى صف الانسان والخبرة والوسيلة التكنولوجية سلاح من أسلحته • ومن ثم يتبين الاجتهاد الجغرافى المواجهة بين الانسان والأرض ، بنظرة منصفة لا تعرف التحيز • وتجسد هذه النظرة المنصفة ، وصول هذه المصارعة ، الى شىء من التصالح ، الذى يرسخ قواعد الاتفاق بين الانسان والأرض عـــلى الحق المستباح فى الانتفـــاع بالأرض وتسخيرها ، فى ظل المناخ السائد ومتغيراته الفصلية •

ومن خلال اجتهاد الانسان السلبى ، على صعيد مساحة من الأرض ، لا يتحقق انتصار حاسم على الضابط المناخى • وقل يكون الضابط المناخى مسئولا عن تعذر قيام العلاقة المناسبة بين الانسان والأرض • ومن غــير هذه العلاقة ، تصبح الأرض التى يحرم الضابط المناخى الانسان فيها من الانتفاع بها ، منهزمة وحدها ، لأنها تبقى من غير جدوى • بل قل لا ينهزم

الانسان فى هذه المواجهة ، لأنه ينسحب ويبحث عن الانتصار على الضابط المناخى فى المساحة الأخرى من الأرض التى ينتقل اليها •

ومن خلال اجتهاد الانسان الايجابى ، على صعيد مساحة أخرى من الأرض ، يتحقق انتصار حاسم على الضابط المناخى • ولا يعنى هذا الانتصار شيئا أهم من قيام العلاقة المناسبة بين الانسان والأرض • وقيام هذه العلاقة معناه أن يمتلك الإنسان حق استخدام الأرض ، ومعناه أيضا أن تصبح لهذه الأرض جدوى • وقل يكون الانسان مسئولا عن مواجهة الضابط المناخى ، لكى يؤمن العلاقة بينه وبين الأرض ، حتى يظل فى وسعه أن يسألها ، ويظل فى وسعها أن تجاوبه • بل قل يكون الانسان مسئولا عن استيعاب متغيرات الضابط المناخى من فصل الى فصل ، أو من عصر الى عصر حتى لا يفلت منه زمام السيطرة على الأرض وتسخيرها واستخدامها •

ومن شأن تعامل الانسان مع الأرض ، وتعايشه مع الواقع المناخى فى ربوعها ، أن يجسد أقصى ما تنتهى نتائج المواجهة بين الانسان وقوة فعل الضابط المناخى السائد ، فى المكان والزمان • وتبتنى نتيجة هذه المواجهة التى تتفاوت من مكان الى مكان آخر ، أو من عصر الى عصر آخر ، على قوة فعل الانسان ومهارة وسيلته الحضارية المتاحة • ويواجه الانسان — على سبيل المثال — نقص المطر أو انحرافه عن المعدل ، أو انحرافه عن مواعيد سقوطه المرتقبة ، لكى يتجنب ضغوط الضابط المناخى • وعلى مستوى من المستويات ، فيتخذ الانسان من سحر وشعوذة وتدجيل صانع المطر ، وسيلة للخروج من أزمة المواجهة التى تفرضها مواجهة الضابط المناخى • وعلى مستوى آخر ، يعتمد الانسان على ما يملكه من علم متطور فى صياغة الوسيلة الأنسب أو الأفضل ، للانتصار فى مواجهة الضابط المناخى •

وعلم الانسان ومستوى حضارته ومهارته ، وهى من وراء الابداعات الفنية والتكنولوجية ، يحدد نتيجة الاجتهاد الفعال فى مواجهة الضابط

المناخى ، من أجل حسم مسألة استخدام الأرض · ومن شأن الاجتهـــاد الجغرافى أن يحسن فهم واستيعاب قوة فعل الضابط المناخى ، وهو مركب تتداخل فى تركيبه عنصر الحرارة وحركة الرياح وعنصر الرطوبة والتكاثف وعنصر التساقط والمطر · ومن شأن الاجتهاد الجغرافى أيضا ، أن يحسن فهم واستيعاب قوة فعل الوسيلة البشرية ، وهى متنوعة وقابلة للتغير او للتطور · وينتهى هذا الاستيعاب الجغرافى بالضرورة الى الحـكم الجغرافى الصحيح ، على طبيعة هذه المواجهة بين الانسان والضابط المناخى · كمـا يتسع هذا الحكم الجغرافى لكى يحدد مستوى هذه المواجهة ، ومبلغ تفاوت نتائجها ، فى مجالات استخدام الأرض · ولا يغيب عن اعلان هذا الحـكم الجغرافى استشمار مسئولية الانســـان عن النتائج التى يتحـدد بموجبهـا مستوى اســتجابة الأرض واستخدامها فى الانتـــاج أو فى السكن أو فى الخدمات ·

وفى مستوى من مستويات المواجهة مع الضابط المناخى ، يطاوع من يستخدم الأرض فى الانتاج الزراعى ويلتزم ، فلا يزرع مثلا الا النبات الذى تناسبه درجة الحرارة المنخفضة ، لكى يتجنب الصقيع وفقدان الحيوية وعدم القدرة على مواصلة النمو · وفى مستوى آخر من مســتويات المواجهة مع الضابط المناخى ، لا يطاوع من يستخدم الأرض ولا يكاد يلتزم ، فيزرع المحاصيل التى لا تناسبها الحرارة المنخفضــة ، ليس لأنه يغامر ، بل لأنه يطوع الموقف لصالحه ، ويعرف كيف يحمى النمو من تأثير الصقيع · وفى مستوى أفضل من مستويات المواجهة مع الضابط المنـاخى ، يجمـد من يستخدم الأرض مفعول الحرارة المنخفضة ويعزلها تماما ، ويحل محلها درجات الحرارة المنتخبة ، التى تناسب تحرر هذا الاستخدام وتكفل زراعة المحاصيل فى غير أوانها ·

ومهما يكن من أمر ، فان الضابط المناخى من أهم الضوابط الطبيعية على صعيد الأرض · وليس فى وسع من يقدم على اســـتخدام الأرض فى

الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، أن يتجنب مواجهة هـــذا الضابط المناخى . واذا كان من شأن هذا الضابط المناخى أن يعطى للانسان حق استخدام الأرض ، أو أن يحرمه من هذا الحق ، فان حسن التعامل مع هذا الضابط المناخى ، والوصول الى قدر مناسب من المصالحة معه ، هى التى تحدد مستويات استخدامات الأرض المتفاوتة ، وهى تتراوح بين الاستخدام البدائى الجائر ، والاستخدام التقليدى غير الاقتصادى ، والاستخدام المتطور الاقصادى .

الوجود الحيوى والضـــابط الحيوى :

يشارك النبات الطبيعى والحيوان الانسان فى صـياغة الوجود الكلى الذى ينبض بالحيوية والحياة ، على صعيد الأرض . ومع ذلك هناك الحد أو الحاجز الفاصل بين النبات الطبيعى والحيوان ، وهما معا يمثلان ، العنصر الحيوى المركب ، الذى يتداخل فى تكوين المنظـــور الجغرافى الطبيعى فى جانب ، والانسان ووجوده الحيوى الفاعل الذى يتعامل مع الأرض فى اطار المنظور الجغرافى الطبيعى فى جانب آخر . وتصور هذا الحاجز ، لا يعنى سدا تنقطع به الصلة أو العلاقة بين الانسان وهو جزء من الوجود الحيوى على صعيد الأرض ، والنبات الطبيعى والحيوان وهـــو جزء آخر من نفس الوجود الحيوى على نفس الصعيد . وقل تبقى الصلة بين الانسان وهو فاعل وصاحب مصلحة فى جانب ، والنبات الطبيعى والحيوان ، وهما مفعول بهما يجاوبان هذه المصلحة فى جانب آخر .

واذا كان المنـــاخ خواصـــه وضوابطه ، يشترك مع التربة خواصـــها وضوابطها فى المسئولية عن الصورة النباتية الطبيعيـــة ، وهى تتألف من الأشجار والحشائش والأعشاب منفردة أو متداخلة فى الكساء الخضرى ، على صعيد الأرض ، فان خواص الصـــور النباتية المتنوعة من أرض الى أرض أخرى ، تكون مسئولة عن وجود الحيوان ، وهو من آكلة العشب ، أو وهـــو

من أكلة اللحم • ولا تغيب عن الخبرة الجغرافية أبدا ، استشعار العلاقة العضوية بين عناصر هذا الواقع الحيوى وعناصر الأرض الأخرى ، فى اطار المنظور الجغرافى الطبيعى ، فى المكان والزمان ، وتحرى تعامل الانسان مع هذا الواقع الحيوى على صعيد الأرض • كما لا تغيب عن الخبرة الجغرافية أيضا ، الأوضاع التى تضع الانسان فى مواجهة صريحة مع الضابط الحيوى ، لكى يتسنى له اكتساب حق الانتفاع بالنبات والحيوان فى اطار استخدام الأرض لحساب الانتاج على وجه الخصوص •

وفى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يدرك قيمة هذا الواقع الحيوى ، وهو يعبر عن مبلغ الثراء الذى تتحدث عنه الأرض ، وتكون معينا جيدا للعطاء الذى يجاوب حاجة الانسان • وفى وسع الاجتهاد الجغرافى أيضا ، أن يتبين قيمة هذا الواقع الحيوى على الوجه الآخر ، وهو يعبر عن مبلغ الفقر الذى تعلن عنه الارض ، وتكون معينا مقترا بالعطاء الذى يجاوب حاجة الانسان • ويستشعر الاجتهاد الجغرافى فى الحالتين ، قوة فعل الضابط الحيوى الذى ينبغى أن يواجهه الانسان ، وهو يتعامل مع المعين السخى أو مع المعين المقتر • بل قل أنه يميز بين قوة فعل الضابط الحيوى، على مستوى مرحلتين متعاقبتين شهدت وتشهد وجود الانسان وتحرى استخدام الأرض على صعيد الأرض •

وفى المرحلة الأولى من هاتين المرحلتين ، كان الضابط الحيوى ، هو أهم الضوابط التى لعبت دورا مؤثرا فى وجود الانسان ، أو فى انتشار الانسان ، على صعيد الأرض • وقل عاش الانسان فى هذه المرحلة ، عيشة الالتزام الحقيقى بالضابط الحيوى ، لكى تجاوبه الصورة النباتية الطبيعية والوجود الحيوانى ، وتلبى مطالبه ولا تبخل عليه • بل قل تعرض الانسان فى هذه المرحلة لضغوط الضابط الحيوى ، ولم يحسن التعامل معه حتى كان التحول الذى أنهى حالة الثراء • واستوجب هذا التحول تفسخ العلاقة

بين الانسان والأرض ، ومغادرة المكان تحت ضغوط الضابط الحيوى وعدم استجابة الواقع الحيوى لمطالب الانسان ٠

وصحيح أن الانسان طلب الانتفاع فى مساحات من الأرض ، وتحرى التعامل مع الغطاء النباتى الطبيعى وهو الذى كان يتألف من الأشجار ، أو وهو الذى كان يتألف من الحشائش والأعشاب ، أو وهو الذى كان يتألف من الأشجار والحشائش والأعشاب ، وتحمل ضغوط الضـــابط الحيوى ٠ وصحيح أيضا أن الانسان طلب الانتفاع فى مســاحات من الأرض وتحرى التعامل مع الوجود الحيوانى السائد ، وهو الذى جمع بين الحيوانات آكلة العشب والحيوانات آكلة اللحم ، وتحمل ضغوط الضابط الحيوى ٠ ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن علاقة الانسان بالنبات أو بالحيوان فى المكان والزمان ، قد استسلمت لقوة فعل الضابط الحيوى فى الحل والاقامة ، وفى التنقل والترحال ٠ كما لعب الضابط الحيوى دورا وجه اختيار الانســـان لاستئناس الحيوان واقتناء القطعان فى المكان ، أو لاستئناس النبات ومباشرة الزراعة فى مكان آخر ، على صعيد مساحات الأرض فى نفس الزمان ٠ بمعنى أن تعامل الانسان مع الوجود الحيوى تأثر بقوة فعل الضابط الحيوى ، وهو الذى كان من شأنه أن يستهلك ، ولا يمتلك القدرة على الانتــاج ، وتأثر أيضا بقوة فعل نفس الضابط الحيوى ، عندما أخذ فيه بزمام الانتاج ٠

وهكذا يتبين الاجتهاد الجغرافى الضـــابط الحيوى فى المكان والزمان ، ويستشعر تأثيره أو قوة فعله الذى يتعين أن يواجهه الانسان ، حتى تتسنى له فرص استخدام الأرض ، فى الانتاج على وجه الخصوص ٠ وهذا معناه أن هذا الضابط الحيوى لا يحسب حسابا لقوة فعله فى مجال دراسة استخدام الأرض فى السكن أو فى توفير الخدمات ٠ وقل ينبغى أن يتحرى الاجتهاد الجغرافى القدر المناسب من التدقيق ، فى مجال استشعار قوة فعل أو تأثير الضابط الحيوى على أنماط استخدامات الأرض فى الانتاج ٠ بل قل ينبغى

أن يتحرى الاجتهاد الجغرافى مبلغ التفاوت بين قوة فعل الضابط الحيوى ، وهو يؤثر على كل نمط من أنماط استخدامات الأرض فى الانتاج ٠

وفى اطار هذا التفاوت ، نذكر أن استخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى ، يستوجب مزيدا من العناية بحساب قوة فعل الضابط الحيوى ٠ ويستوى فى ذلك أن تكون هذه العناية ، لكى ترشد حسن اختيار الأنواع من الأشجار والحشائش والأعشاب ، بقصد غرسها والسيطرة على كم وكيف انتاجها ، أو لكى ترشد حسن اختيار مساحات الأرض المناسبة ، بقصد استصلاحها ومباشرة الزراعة فيها ٠ كما تكون العناية بالضابط الحيوى ضرورية فى صحبة الضوابط الطبيعية الأخرى ، لكى ترشد حسن اختيار وترتيب المحاصيل الحقلية المتنوعة ، فى اطار التركيب المحصولى الذى يناسب حيوية الأرض واستعداداتها للاستجابة والعطاء ، دون ضغط يجسد معنى الاستخدام الجائر على صعيد الأرض ٠

وفى اطار هذا التفاوت أيضا ، نذكر أن استخدام الأرض فى مباشرة الرعى وطلب الانتاج الحيوانى ، يستوجب شيئا مناسبا من العناية الخاصة ، بحساب قوة فعل الضابط الحيوى ٠ ويستوى فى ذلك أن تكون هذه العناية محسوبة بدقة ، لكى ترشد حسن اختيار المرعى والمحافظة على حيوية التجديد فى نمو الحشائش والأعشاب نموا طبيعيا ، أو لكى ترشد حسن اختيار الحيوان الأنسب للاقتناء فى قطعان على صعيد المرعى ٠ كما تكون العناية بالضابط الحيوى فى صحبة الضوابط الطبيعية الأخرى ضرورية ، لكى ترشد عملية الرعى ذاتها التى تحافظ على التوازن بين طاقة النمو على صعيد المرعى من ناحية ، وحجم القطيع وعدد أفراده ومعدلات استهلاك الحشائش والأعشاب من ناحية أخرى ٠

وفى اطار هذا التفاوت مرة أخرى ، نذكر أن استخدام الأرض فى مباشرة الصيد فى البر أو فى البحر ، يستوجب شيئا مناسبا من العناية

الخاصة ، بحساب قوة فعل الضابط الحيوى • ويستوى في ذلك ، أن تكون هذه العناية محسوبة بدقة ، لكى ترشد اختيار المساحات الأنسب فى البر والبحر لمباشرة الصيد ، أو لكى ترشد اختيار الأنواع الأنسب من الحيوان والطير والأسماك • كما تكون هذه العناية بالضابط الحيوى فى صحبة الضوابط الطبيعية الأخرى أكثر من ضرورية ، لكى ترشد عمليات الصيد حتى لا تتجاوز أبدا الحد الذى ينتهك أو يخل بالتوازن الحيوى ، ويفضى الى انقراض بعض الأنواع •

وهكذا لا يفوت الاجتهاد الجغرافى جدوى الاهتمام بالضابط الحيوى وحسن التعامل معه ومواجهته من أجل تأمين حسن استخدام الأرض فى الانتاج • وفى غيبة هذا الاهتمام ، يقع الاستخدام فى خطيئة تخل بالجدوى الاقتصادية أحيانا ، أو فى خطيئة تطعن فى حتمية المحافظة على التوازن بين الالحاح فى طلب العطاء من الأرض ، وتحديد حيوية الأرض لكى تواصل العطاء أحيانا أخرى • بل قل فى غيبة هذا الحساب الذى يفضى اليه التعامل مع الضابط الحيوى ، يمضى استخدام الأرض فى الانتاج على درب الخطأ ، حتى يبلغ حد الافساد الذى يدمر قدرة الأرض على الاستجابة ومواصلة العطاء •

وفى اطار مواجهة الضابط الحيوى ، وحسن التعامل معه ، على مستوى الالتزام فيطاوعه الانسان ، أو على مستوى التحايل فيطوعه الانسان ، يتأتى استخدام الأرض فى الانتفاع بالانتاج الطبيعى أو الاقتصادى • وقل لا يبلغ فى ظل حسن مواجهة الضابط الحيوى ، أمر استخدام الأرض حد الافساد أو الضغط الذى يفسد أو الذى يدمر قدرات الأرض على الاستجابة ، لحساب الانسان • بل قل أن حسن مواجهة الضابط الحيوى ، يكفل المحافظة على الأرض وتأمين حيويتها ، ويحول دون تفسخ العلاقة

الايجابية المنضبطة ، بين الانســـان وقوة فعل تكنولوجيته ومواهبه فى جانب ، والأرض وقوة فعل خواصها والسنن الطبيعية الحاكمة فى جانب آخر ٠

* * *

وبعد أقول ينبغى أن نتبين بعناية شديدة ، كيف يواجه الانسان ، وهو يقدم على استخدام الأرض ، والتعامل معها ، الضوابط الطبيعيــة ٠ وفى هذه المواجهة ، يلتمس الانسان ، وهو يضبط وينضبط ، الوسيلة أو الحيلة ، أو المهارة التى تشد أزره ٠ ولا يتأتى هذا الاستخدام الذى يجاوب حاجة الانسان ، الا على قدر ما تحققه الوسيلة أو المهارة وقوة فعلها ، من مصالحة أو توافق مع قوة فعل الضوبط الطبيعية ، فى المكان والزمان ٠

وهذا معناه أن الانسان يصبح شأنه شأن الطبيعة ، صــاحب قدرة على مباشرة الضبط البشرى وقوة فعله المناسب ، فى مواجهة الضبط الطبيعى وقوة فعله ٠ وتسجل هذه المواجهة فى ظل الضبط والانضباط المتبادل بين الانســـان والأرض ، نقطة البداية ٠ وعندما تفضى هذه المواجهة الى حد المصالحة ، تتأتى استجابة الأرض ، ويتسنى استخدامها وتأمين انتفـــاع الانسان بها ٠ وعندما تفشل قدرات الانسان فى هذه المواجهة ويتعـــذر الاتفاق وتأمين حد المصالحة ، تستحيل استجابة الأرض ، ويتعذر استخدامها وتأمين انتفاع الانسان بها ٠

ومن ثم يدرك الاجتهاد الجغرافى مبلغ حاجة الانسان ، الى الاقدام على هذه المواجهة ، بشرط حسن التحلى بقدرات الضبط البشرى المتاح ٠ كمـا يدرك أيضا مبلغ حاجة الانسان فى هـــذه المواجهة الى الوســيلة أو الى التكنولوجيا ، التى تقوى ساعده وتشد أزره ، وهو يباشر الضبط البشرى ٠ ومع ذلك لا ينبغى أن يفوت الاجتهاد الجغرافى حسن التمييز بين أوضــاع يكون فيها المتغير البشرى ، فى المكان والزمان ، عاملا فى صف الانســان

يشد أزره أحيانا وهو يواجه طبيعة الأرض ، وأوضاع أخرى يكون فيها المتغير البشرى فى المكان والزمان ، عاملا فى صف غير صف الانسان ويخذله وهو يواجه طبيعة الأرض وضوابطها أحيانا أخرى ٠

ويدرك الاجتهاد الجغرافى جيدا ، معنى أن تقف الضوابط البشرية فى صف غير صف الانسان ٠ وتكون فى هذه الوقفة وكأنها تخذله ٠ بل تكون وكأنها تقف فى صف الضوابط الطبيعية ، وتتحالف معها فى مواجهة الانسان وقوة فعله ، وهو يقدم على التعامل مع الأرض ، ويطلب تسخيرها واستخدامها ٠ ويستحق هذا الضبط البشرى ، أن يكون محل الاهتمام الجغرافى ، حتى يتسنى حساب جدواه ، سواء وهو يعمل فى صف الانسان ، ويشد أزره وينتصر له فى مواجهة الضبط الطبيعى ، لتأمين استخدام الأرض ، أو وهو يعمل فى صف الضبط الطبيعى ويشاركه فى مواجهة الانسان وتقليم أظافره واحباط جهده ، حتى يفشل فى استخدام الأرض ٠



الفصل الثانى

الإنسان والأرض ، فى المكان والزمان

قدرات ومتغيرات وضوابط حاكمة لانماط استخدام الأرض

- الانسان فى عيون جغرافية .
- المجتمع والضابط الاجتماعى .
- السكان والضابط الديموجرافى .
- الاقتصاد والضابط الاقتصادى .
- الابداع والضابط الحضارى .

الفصل الثانى

الانسان والأرض ، فى المكان والزمان
قدرات ومتغيرات وضوابط حاكمة لأنماط استخدام الأرض

اذا كان من شأن الجغرافى ، أن يطل على مسألة استخدام الأرض فى الانتاج ، أو فى تجهيز السكن واقامة وتاسيس المستوطنات ، أو فى توفير وتوزيع الخدمات ، فى اطار علاقة توافق حسن ، بين الانسـان والأرض فانه ينبغى أن يتمعن ويدقق ويحلل موقف هـذين الطرفين الشريكين فى هذه العلاقة الايجابية ، على صعيد المساحة المعنية • ويرى الجغرافى هـذه العلاقة الايجابية محل اهتمامه وعنايته ، وهى فى صورة من صور المواجهة بين الطرفين الشريكين •

وتجسد هذه المواجهة بين الانسان والأرض ، موقفا خاصا ، ينبغى أن ينتهى الى الاتفاق بينهما • وقل أن هذه المواجهة لا تنتهى أبدا بغـالب ومغلوب • بل قل فى هذه المواجهة ، يحسم الأمر كله ، انتصار الانسـان وانتصار الأرض معه ، وكأنهما يتفقان على أن تلين له وتجاوبه أحيانا ، أو يحسم الأمر كله فشل الانسان وفشل الأرض معه ، وكأنهما يتفقان على أن ترفض الأرض ولا تجاوبه أحيانا أخرى • ورد الأرض بالايجاب على طلب الانسان ، معناه أن تنشأ العلاقة بينهما ، ويتسنى استخدام الأرض • ورد الأرض بالرفض على طلب الانسان معناه أن تتعذر العـلاقة بينهمـا ويستحيل استخدام الأرض •

ونشأة العلاقة بين الانسان والأرض معناه الاتفاق بينهما واستسلام الأرض • وترسيخ هذه العلاقة بين الانسان والأرض وتطويرها معناه تطوير الاتفاق بينهما ، والتمادى فى استجابة الأرض • ولأن الانسان هو المسئول

أصلا عن نشأة وترسيخ وتطوير هذه العلاقة مع الأرض ، وهـــو صاحب المصلحة فى جدوى هذه العلاقة عندما تستسلم له الأرض ، يدرك الاجتهاد الجغرافى مبلغ مسئوليته عن اختيار الأرض ، التى ينبغى أن يتيقن من حسن استسلامها والرد على طلب الانسان منها بالايجاب • كما يدرك الاجتهـــاد الجغرافى أيضا مبلغ مسئولية الانسان أيضا ، عن تجنب التعامل مع الأرض التى يتيقن من عدم استجابتها والرد عليه بالسلب ، أو عن تجنب التعامل مع الأرض ، التى لا يملك التكنولوجيا المناسبة لتطويعها والزامها بالاستجابة المطالبة منها •

الانســان فى عيون جغرافية :

وفى اطار هذه الوقفة الجغرافية التحليلية المتأنية ، يطل الجغرافى على الانسان على صعيد المساحــة المعنية ، فى ربوع الأرض • وتدقق العين الجغرافية بعناية فى منظومة المنظور الجغرافى البشرى لكى تتحرى تداخل العناصر المتنوعة المتداخلة فى تكوين هذه المنظومة • وتتابع هـــذه العين الجغرافية التدقيق بعناية أكثر تغلغلا ، فى كنه المنظور الجغرافى البشرى ، وفى ماهية مكوناته • وتكون وكأنها تسأل عن أوضاع وعن قدرات ومهارات الانسان ، وعن استعداداته وتطلعاته على صعيد المساحة المعنية • وتثنى الدراسة الجغرافية على هذه المتابعة بشىء مناسب من التدقيق فى الـكفاءة الحضارية وتوجهاتها الفاعلة بنشاط واصرار ، من وراء قدرات الإنسان التى تلتمس التعامل مع الأرض واستخدامها • ويستهدف الباحث الجغرافى حسن تحرى قيام العلاقة بين الانسان والأرض ، وحسن حســاب مستوى استجابة الأرض فى ظل هذه العلاقة •

ومن شأن الانسان ، وهو يوظف قوة فعل وسائله ، ويأخــذ بزمام المبـــادرة لاستخدام الأرض فى الانتـــاج أو لاســتخدام الأرض فى اقامة المستوطنات الريفية والحضرية ، أو لاستخدام الأرض فى توفير الخـــدمات العامة والخاصة ، أن يواجه بمهارة ، قوة فعل العناصر الطبيعية التى تتداخل

فى تركيب وترسيخ خواص الأرض • وفى صحبة قوة فعل هذه العناصر الطبيعية التى تتداخل فى تركيب الأرض وفى ترسيخ خواصها ، تكون الضوابط الطبيعية • وتبدو هذه الضوابط الطبيعية على صعيد الأرض ، وكأنها هى التى تفرض الشروط والالتزامات ، وتصنع الضغوط التى يتعين على الانسان قبولها أو التحايل عليها ، لكى تجاوبه الأرض وتستسلم لوسيلته • وتكون من وراء هذه الضوابط الطبيعية ، دواعى وموجبات لتغيرات طبيعية ، تغير من قوة فعل هذه الضوابط ، فتزداد ضغوطها أحيانا ، وتخف ضغوطها أحيانا أخرى •

وفى مقابل هذه الضوابط الطبيعية وضغوطها ، التى تتغير من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، يكون فى وسع الانسان أن يتحلى بالقدرة المادية والمعنوية ، لكى يواجه قوة فعل هذه الضوابط الطبيعية ومتغيراتها • وتدعم قوة فعل الانسان فى هذه المواجهة ، قدرات وابداعات اجتماعية واقتصادية وحضارية ، فى المكان والزمان • وتفجر هذه القدرات والابداعات ، طاقات فاعلة ، تسعف الاقدام على التعامل مع الأرض ، سواء وهى تعجم عودها وتتيقن من استجابتها ، أو وهى تستخدمها الاستخدام المناسب • وتوفر هذه القدرات والابداعات أيضا ، الصياغة المناسبة للضوابط البشرية •

ومن ثم تكون الضوابط البشرية مطلوبة فى صحبة القدرة التى ينبغى أن يتحلى بها الانسان عندما يتعامل مع الأرض • وتبدو هذه الضوابط البشرية فى صف الانسان ، وكأنها ترد على الضوابط الطبيعية ، ردا مناسبا يخفف قيود وشروط وضغوط الالتزام بها لكى تجاوبه الأرض أحيانا ، أو يطوع قيود وشروط وضغوط الالتزام بها لكى تجاوبه الأرض الاستجابة الأفضل أحيانا أخرى • وتكون من وراء هذه الضوابط البشرية، دواعى وموجبات لتغيرات بشرية ، تغير قوة فعل هذه الضوابط ، فتشحذ

قدراتها لحساب الانسان أحيانا ، أو تضعف قدراتها لحساب الانسان أحيانا أخرى . وقد يتمادى هذا التغير الى حد تتخلى فيه الضوابط البشرية عن موقفها فى صف الانسان لكى تعمل فى غير مصلحته وتخذله فى مواجهة الضوابط الطبيعية .

وصحيح أن الانسان هو الذى يبادر ، أو هو الذى يقدم على التعامل مع الأرض ، وفى قبضته الوسيلة المناسبة التى تباشر ضبط الأرض ضبطا يكفل تطويعها ، ويؤمن استجابتها . بمعنى أن المبادرة البشرية تكون فى صحبة الضبط البشرى ، عندما تعجم عود الأرض ، وتطالبها بالاستجابة لحساب الانسان فى المكان والزمان .

وصحيح أيضا أن الأرض لا تكاد تستسلم وتطاوع الانسان وتذعن للضبط البشرى ، من غير أن يتحدد مقدار الالتزام بالضبط الطبيعى . بمعنى أن استجابة الأرض ، تكون فى صحبة قوة فعل الضبط الطبيعى ، وهى تلتمس مبلغ التزام الانسان به فى صحبة قوة فعل الضبط البشرى .

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن حسم المواجهة بين الأرض وخواصها وفى صحبتها الضبط الطبيعى فى جانب ، والانسان وقدراته وفى صحبته الضبط البشرى فى جانب آخر ، يكون فى اطار الشىء المناسب من الضبط والانضباط المتبادل . ويتفاوت هذا الشىء المناسب من الضبط والانضباط المتبادل ، من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر .

هناك أكثر من وجه لهذا الموقف النهائى ، الذى تحسمه المواجهة بين الانسان والأرض ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان . ويدرك الاجتهاد الجغرافى ، نتيجة هذا الحسم ، ويستشعر مبلغ قبول الانسان به . وهناك أيضا أكثر من مستوى لتعامل الانسان مع الأرض فى ظل هذا الحسم . ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يتبين هذا المستوى ، وأن يحسب

مبلغ استجابة الأرض لحساب الانسان ، أو أن يتقصى دواعى عدم إستجابة الأرض لطلب الانسان .

وعلى وجه من هذه الوجوه المتعددة ، يكون الفشل الذى لا يعنى غير تعذر توثيق العلاقة بين الانسان والأرض . بمعنى أن يطلب الانسان من الأرض ، بكل ما يملك من وسائل ومهارات ، وفى صحبته الضبط البشرى المتاح ، وأن ترفض الأرض الاستجابة ، بكل ما تملك من خواص ومواصفات، وفى صحبتها الضبط الطبيعى . وفى مثل هذه الحالة ، التى تتعذر فيها مسألة توثيق الصلة بين الانسان والأرض ، يكون لكل منهما حصته من الفشل وخيبة الأمل . وقل أن الأرض من غير انتصار الانسان فى مجال توثيق هذه العلاقة ، لا تساوى شيئا ، وتبقى بكرا من غير جدوى . بل قل أيضا أن الانسان من غير انتصار على صعيد الأرض ، يوثق العلاقة بها ويؤمن وجوده عليها ، لا يساوى شيئا ، وينبغى أن يغادرها لأن البقاء يكون من غير جدوى .

وعلى وجه آخر من هذه الوجوه المتعددة ، يكون الانتصار ، الذى لا يعنى غير ضبط وتوثيق العلاقة بين الانسان والأرض . بمعنى أن يطلب الانسان من الأرض ، بكل ما يملك من وسائل ومهارات ، وفى صحبته العون الذى ييسره الضبط البشرى ، وأن تجاوب الأرض بكل ما تملك من خواص ومواصفات ، وفى صحبتها الاستعداد الذى يقبل به الضبط الطبيعى . وفى مثل هذه الحالة ، التى تتيسر فيها مسالة توثيق الصلة بين الانسان والأرض ، يكون لكل منهما حصته من النجاح وتتفتح كل أبواب الأمل . وقل أن الأرض فى اطار انتصار الانسان الذى يوثق هذه العلاقة ، تساوى شيئا كثيرا ، وتتفجر منها ينابيع الخير كله ، لحساب الانسان . بل قل ان الانسان فى ظل هذا الانتصار على صعيد هذه الأرض ، يساوى شيئا كثيرا يؤمن وجوده ، حتى يجنى ثمرا ت الخير المتفجر من هذه الأرض .

وفشل الانسان فى التعامل مع الأرض - وهو مسئول - ، وتعذر توثيق العلاقة بين الانسان والأرض ، لكى يبدأ ويستمر النبض العمرانى ، معناه عجز وسائل ومهارات الانسان وفى صحبته قوة فعل الضبط البشرى، فى مجال تطويع الأرض وفى صحبتها قوة فعل الضبط الطبيعى • ومن ثم يجسد هذا الفشل معنى عدم الوصول من خلال المواجهة ، الى حد المصالحة وحسن الاتفاق ، الذى يطلق يد الانسان ، ويبيح لها حق التعامل مع الأرض والانتفاع بها • وقل يتعذر فى هذه الحالة استخدام الأرض ، لأنها لا تجاوبه وكأنها تعلن العصيان • وعندئذ ينبغى أن ينسحب الانسان من هذه الأرض ، التى لا تجاوبه ، وأن تبقى هذه الأرض غير مأهولة • وقد يعاود الانسان الكرة مرة أخرى ، عندما يتأهل بوسائل أفضل ، للتعامل مع هذه الأرض واستخدامها وبث أسباب العمران فى ربوعها •

ونجاح الانسان فى التعامل مع الأرض والانتفاع بها ، وترسيخ العلاقة بين الانسان والأرض ، معناه انتصار وسائل ومهارات الانسان ، وفى صحبته قوة فعل الضبط البشرى ، فى مجال تطويع الأرض ، وفى صحبتها الضبط الطبيعى • ومن ثم يجسد هذا النجاح معنى الوصول من خلال المواجهة ، الى حد المصالحة وحسن الاتفاق ، الذى يطلق يد الانسان ويبيح لها حق التعامل مع الأرض والانتفاع بها • وقل يتسنى فى هذه الحالة استخدام الأرض ، لأنها تجاوب الانسان وكأنها تستسلم • وعندئذ ينبغى أن يتحرى الانسان الحذر ، فلا يتجاوز حد المصالحة مع الأرض ، حتى لا يطعن هذا التجاوز فى جدوى العلاقة معها • بل قل ينبغى أن يتشبث الانسان بهذه الأرض التى تجاوبه ، وأن يحرس بعيون يقظة حد المصالحة مع الأرض •

والعين الساهرة التى تحرس حد المصالحة ، تباشر هذه المهمة بعناية وصبر ، والانسان على يقين بمسئوليته عن :

أولا : المحافظة على البيئة ، وتجنب دواعى الافساد فى الأرض ، أو الوصول الى حد الاستخدام الجائر الذى يعرضها لما لا طاقة لها به .

ثانيا : حسن مواجهة المتغيرات الطبيعية التى يكون فى وسعها أن تضاعف قوة فعل الضبط الطبيعى ، وتضغط ضغطا يزلزل حد المصالحة مع الأرض ، أو يهدمه .

وفى ظل هذه المسئولية ، ينبغى أن يتحرى الانسان فى مجالات استخدام الأرض ، الشيء الأنسب من التوازن والتوازى بين الانتفاع بالأرض فى جانب ، والمحافظة على الأرض فى جانب آخر . بل قل لا ينبغى أبدا التفريط فى حسن استمرار العلاقة بينه وبين الأرض . وفى ظل هذه المسئولية أيضا ، ينبغى أن يتوقع الانسان غدر الطبيعة وتحديات الضبط الطبيعى المتغير ، وأن يتحرى الابداع والابتكار وتطوير الوسائل التى يكون فى وسعها أن تبطل مفعول هذه التحديات ، وأن توقف احتمالات تفسخ العلاقة مع الأرض . وحتى لو أفلح هذا الضبط الطبيعى فى مباشرة التحدى الذى يدمر أو يهدم حد المصالحة مع الانسان ، فلا ينبغى أن يستسلم ويقبل بنتائج هذا التفسخ . ويظل الانسان مسئولا عن حسن تطوير وسائله وشحذ قدرات وقوة فعل الضبط البشرى لكى يواجه الأرض من جديد ، ولكى يصارع من أجل بناء حد جديد للمصالحة ، ويكفل اعادة العلاقة بينه وبين الأرض ، ويؤمن استخدامها مرة أخرى .

واضافة الى مسئولية عين الانسان اليقظة التى تحرس حد المصالحة مع الارض ، وتؤمن استخدامها الاستخدام المناسب ، ينبغى أن يتحلى الانسان بالقدرة على استيعاب المتغيرات البشرية المرتقبة من عصر الى عصر آخر ، حتى يطور ويحسن وينمى وسائله الفاعلة وقوة فعل الضبط البشرى . وفى صحبة هذا الاستعداد أو هذا التحلى ، يصبح فى وسع الانسان كلما استشعر نمو وتطور قوة فعل وسائله أن يعاود الكرة على الضبط الطبيعى ،

ويصارع من أجل الحد الأفضل من المصـــالحة التى ترسخ وتطور مستوى تسخير واستخدام الأرض • بمعنى أن يكفل تطوير وسائل الانسان تطوير استجابة الأرض ، وأن تزداد قبضة الانسان قوة ، وهو يستخدم الأرض • وهذا هو عين ما يعنى أن خير ما يشد أزر الانسان فى استخدام الأرض ، أن يملك زمام الضبط البشرى وحسن تطويره وحسن توظيفه فى السيطرة على الأرض والانتفاع بها •

وقل ان فقدان زمام الضبط البشرى ، يضع العلاقة بين الانســـان والأرض فى حرج شديد • وفى مثل الموقف الحرج ، يواجه الانسان وهو يتعامل مع الأرض ، وعليه أن يتحمل ضـغوط الضبط الطبيعى دون أن تسعفه قوة فعل الضغط البشرى ، وهى تقف فى صفه • ويبدو وكأن هناك تحالف ضاغط بين الضبط الطبيعى والضبط البشرى على أوضاع الانسان ، وهو يستخدم الأرض • وفى مثل هذه الحالة يكون الانسان أحوج ما يكون لانهاء هذا التحالف ، واعادة الضبط البشرى لكى يعمل فى صفه • ولو لم يبادر الانسان الى تعديل هذا الوضع ، حتى يتجنب عواقب ضغوط الضبط البشرى والضبط الطبيعى ، تتضرر العلاقة بينه وبين الأرض ، وصولا مـع الاستمرار الى حد تفسخ هذه العلاقة ، وتوقف استجابة الأرض •

هـذا ويلتمس الاجتهـاد الجغرافى الذى يتابع ويتحرى ويتقصى قدرات الانسان فى مجالات استخدام الأرض ، والانتفاع بها فى الانتـــاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، ادراك قوة فعـــل الضبط البشرى • ويتحـرى الاجتهاد الجغرافى موقف هذا الضبط البشرى مع الانسان وهـــو ينصفه ويشد أزره ويقوى ساعده ، فى مواجهة الأرض والضبط الطبيعى وتحدياته • كما يتحرى الاجتهاد الجغرافى موقف هذا الضبط البشرى من الانسان وهو يخذله ويتخلى عنه ولا يعينه فى مواجهة الأرض والضبط الطبيعى وتحدياته •

ومهما يكن من أمر ، فان الضبط البشرى وهـــو فى صف الانسان

ينصفه أو وهو ليس فى متناول الانسان يخذله ، يتأسس على الأبعاد التى تتحدد بها أوضاع حركة الحياة فى المكان والزمان • بمعنى أن تكون هذه الأبعاد ، الاجتماعية والاقتصادية والديموجرافية والحضارية والسياسية ، من وراء ضوابط بشرية متعددة • وبمعنى أن تكون دواعى التغيير الاجتماعى والاقتصادى والديموجرافى والحضارى والسياسى ، من وراء التغيير فى قوة فعل الضوابط البشرية من عصر الى عصر آخر •

ومفيد جدا ، أن يطالع الاجتهاد الجغرافى هذه الضوابط البشرية ، وأن يحسب جدواها ويلتمس قوة فعلها المباشر وغير المباشر • ومفيد جدا مرة أخرى ، أن لا يغيب عن البحث الجغرافى مبلغ تغير قوة فعل هذه الضوابط البشرية ، من مكان الى مكان آخر أو من عصر الى عصر آخر • وأهم من ذلك كله هو أن يتبين الاجتهاد الجغرافى ، كيف يوظف الانسان هذه الضوابط البشرية وهى فى صفه تسعفه وتشد أزره أحيانا ، وكيف يواجه الانسان ضغوط هذه الضوابط البشرية وهى فى صف غير صفه تخذله عندما يتعامل مع الأرض ويلتمس استخدامها ، على مستوى من مستويات التطويع المتفاوتة ، فى المكان والزمان ، أحيانا أخرى •

عندما نحدث عن الانسان وقوة فعله ، وهو يواجه الأرض ويتعامل مع الطبيعة فى المكان والزمان ، ويستعين بالضبط البشرى فى مواجهة الضبط الطبيعى ، لا يعنى ذلك الانسان الفرد وحده • بل قل يعنى الانسان العضو الشريك فى تشكيلات المجتمع البسيطة أو المركبة • ويدرك الاجتهاد الجغرافى ، أن الانسان وهو يواجه الأرض ويصارع الطبيعة ، ويتعامل مع الضبط الطبيعى ، ويسجل مستوى من مستويات الانتصار فى المكان والزمان ، لا يعمل ولا يتعامل مع الأرض تعاملا يطلب الانتاج ، أو يطلب السكن ، أو يطلب الخدمات ، لحسابه الشخصى فقط •

وقل أن الانسان يعمل ويكدح وينتصر بذاته، ويوظف قدراته ومهاراته، فى تطويع الأرض وفرض سيطرته عليها واستخدامها ، لحساب المجتمع ٠ وفى اطار التفرد على صعيد مجتمع الأسرة البسيط ، يكون الانسان مسئولا مسئولية مباشرة ٠ وفى اطار التوحد على صعيد مجتمع الشعب أو الأمة أو القبلية ، يكون الانسان مسئولا مسئوليه مباشرة آحيانا ، ومسئولية غير مباشرة أحيانا أخرى ٠ بل قل أنه يقدم على استخدام الأرض فى حضور المجتمع ، لحساب المجتمع ٠ ومن ثم يدرك الاجتهاد الجغرافى دور الانسان الوظيفى ، الذى يستخدم الأرض فى الانتاج أو فى تجهيز السكن ، أو فى توفير الخدمات ، ويتحمل أعباء غيره ويلتزم بحاجات يفرضها المجتمع ٠ ومن ثم يكون مطالبا بالاستماع لصوت المجتمع ، ويلبى مطالبه ويجاوبه ٠

ويجسد هذا الاستماع لصوت المجتمع ، وهذه الاستجابة التى تباشر استخدام الأرض فى المكان والزمان معنى أن تكون الضوابط البشرية التى تسعف الانسان فى آداء هذه المهمة ٠ ويتحرى الاجتهاد الجغرافى دراسة هذه الضوابط البشرية حتى يتبين له معنى أن توظف فى دعم موقف الانسان، عندما يتعامل مع الأرض ويتحرى استخدامها ٠

* * *

المجتمع الضابط الاجتماعى :

تقاليد وقيم ومبادىء وعقيدة ، وايقاعات نبض حركة الحياة الاجتماعية فى المكان والزمان ، هى التى تصنع وتشكل الضابط الاجتماعى ٠ بمعنى أن يكون المجتمع مصدرا أصيلا للضابط الاجتماعى ، الذى يحدد توجهات العمل والتعامل مع الأرض ، على كل المستويات فى المكان والزمان ، بقصد استخدام الأرض ، لحساب المجتمع ٠ وقل أيضا أن المجتمع وهو مصدر هذا الضابط الاجتماعى ، ويحدد قوة فعله ، يثق كثيرا فى ضغوطه ، وفى حتمية تأثيره على تعامل الانسان مع الأرض ، وتحرى الانتفاع بها ، بشكل أو بآخر٠

بل قل أن المجتمع الذى يوظف هذا الضابط الاجتماعى ، لكى يمضى التعامل مع الأرض ، على درب الصواب الاجتماعى ، ولا يخذل الهدف الاقتصادى ، يحرس الالتزام به . بمعنى أن يعترض المجتمع على التعامل مع الأرض واستخدامها وطلب الانتفاع بها ، فى غيبة الضابط الاجتماعى .

ومن شأن الضابط الاجتماعى بكل خصوصية ارتباطه بالمجتمع فى المكان والزمان ، أن يكون فى صحبة الانسان وتوجهاته الايجابية ، وهو يتعامل مع الأرض . ويتحرى هذا الضابط الاجتماعى ، تأمين مسألة استخدام الأرض والانتفاع بها فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، دون الخروج عن تقاليد وقيم ومبادىء وعقيدة المجتمع . وقل أن هذا الضابط الاجتماعى يتحرى دعم الانسان وتأمين حسن التوجه المناسب الفعال ، فى مواجهة طبيعة الأرض ، وفى بلوغ الغاية من تطويعها والانتفاع بها ، لحساب المجتمع ، دون اثارة التناقض ، بين مصلحة الانسان فى استخدام الأرض من ناحية ، والأصول الاجتماعية المعمول بها وترسخها تقاليد وقيم وعقيدة المجتمع من ناحية أخرى .

هكذا يبدو هذا الضابط الاجتماعى ، وكأنه سلاح من أسلحة الانسان التى يتسلح بها فى مواجهة الضابط الطبيعى على صعيد الأرض فى المكان والزمان . وفى حضور هذا الضابط الاجتماعى ، يتحقق الضبط والانضباط المتبادل ، بين الانسان والأرض . ويكفى أن تكون ارادة المجتمع وقيمه وتقاليده ، من وراء هذا الضابط الاجتماعى ، فيشد أزره فى التعامل مع الأرض ولا يخذله أبدا ، وهى تجاوب حاجة المجتمع . وفى حضور هذا الضابط الاجتماعى ، يكون استخدام الأرض لحساب الانسان ، مشروعا تباركه الجدوى الاجتماعية ، فى المكان والزمان .

وفى غياب الضابط الاجتماعى من غير قصد ، أو تغييبه بقصد ، عن الوقوف فى صف الانسان، وهو يتعامل مع الأرض، يوقع هذا الاستخدام

فى الخطأ ، ويحرمه من الاستجابة الحميدة ، لحساب المجتمع ، ويحق للمجتمع أن يعلن اعتراضه على الوقوع فى هذا الخطأ الاجتماعى • ويحق له أيضا أن يحرم هذا الاستخدام ، أو أن يجرمه ، ويفرض عليه شيئا من العقاب • بل قل يبدو استخدام الأرض فى غيبة هذا الضابط الاجتماعى ، غير مشروع ، يرفضه المجتمع ويفتقد فيه الجدوى الاجتماعية ، فى المكان والزمان •

ومن يستخدم مساحة من الأرض القابلة للزراعة ، فى انتاج محصول غير مشروع ، يجسد - على سبيل المثال - معنى التعامل مع الأرض فى غيبة الضابط الاجتماعى • وقل أنه يضرب بهذا الضابط الاجتماعى عرض الحائط ، فيتضرر به المجتمع ويرفضه ويعاقب عليه • بل قل يبدو هذا الضابط الاجتماعى ، وهو فى صحبة الانسان ، مسئولا عن وضع الحد المناسب ، الذى يفصل ويميز بوضوح ، بين نوعين من استخدام الأرض • ويجسد النوع الأول التعامل الذى يفسد فى الأرض ، ويستخدمها على النحو المناقض لحاجة المجتمع • ويجسد النوع الثانى التعامل الذى يصلح فى الأرض ، ويستخدمها على النحو المناسب لحاجة المجتمع •

وكأن الافساد فى الأرض ، سواء تمثل فى تلوث البيئة ، أو تمثل فى الاستخدام الجائر ، أو تمثل فى سوء اختيار الهدف من الانتفاع بالأرض ، لا يكاد يتأتى الا فى غيبة الضابط الاجتماعى • وقل أن الضابط الاجتماعى وهو صوت المجتمع ، يعبر عن حاجة المجتمع ، ويحرس مصلحة المجتمع ، ويوجه استخدامات الأرض المتنوعة ، فى الوجهة الصحيحة ، التى لا تنتهك قيمه وتقاليده وعقيدته • بل قل أن حسن التزام قوة العمل ، وهى تستخدم الأرض بهذا الضابط الاجتماعى ، يرشد حسن الوصول الى حساب الجدوى الاجتماعية ، دون تعارض أو تناقض مع حساب الجدوى الاقتصادية ، فى المكان والزمان • وفى الاعتقاد الجغرافى أن حساب الجدوى الاقتصادية وحدها ، واسقاط حساب الجدوى الاجتماعية ، لا يحقق أبدا الانتفاع الأنسب أو الرشيد بالأرض •

والفرق الاجتماعى ، بين مجتمع البداوة ومجتمع الاستقرار ، أو بين مجتمع الريف ومجتمع الحضر ، أو بين مجتمع الزراعة ومجتمع الصناعة ، أو بين مجتمع متدين ومجتمع غير متدين ، يجسد معنى الفرق بين الضابط الاجتماعى الذى يتباين وتتفاوت قوة فعله المباشر وغير المباشر ، من مجتمع الى مجتمع آخر • والفرق الاجتماعى بين أوضاع المجتمع فى المكان ، وهى تختلف من عصر الى عصر آخر ، يجسد التغيير الذى ينبغى أن تتأثر به قوة فعل وتوجهات الضابط الاجتماعى ، الذى يحرس استخدام الأرض ، لحساب المجتمع • بمعنى أن الضابط الاجتماعى ، لا يمثل قوة ضبط جامدة ، بل انها تتغير من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر • وقل أن من بين أهم مواصفات الاستخدام المناسب للأرض ، فى المكان والزمان ، هو أن يتأتى فى حضور الضابط الاجتماعى اليقظ ، الذى يكفل الحد الأنسب لمصلحة المجتمع • بل قل ينبغى أن تتغير مواصفات الاستخدام السائد ، فى حضور الضابط الاجتماعى المتغير ، من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر •

وغياب الضابط الاجتماعى عن الوقوف فى صف الانسان ، وهو يستخدم الأرض ، واستخفاف الانسان بتصويبات الضابط الاجتماعى والتفريط فيها ، يطعن فى الجدوى الاجتماعية لاستخدام الأرض • وقد لا يعنى ذلك الغياب أو الاستخفاف ، أن يقف الضابط الاجتماعى فى صف الضوابط الطبيعية ، ويشاركها فى مواجهة صعبة ومثيرة ، تتحدى ارادة المجتمع فى مجالات استخدام الأرض • ولكن يبدو أن هذا الغياب وهذا الاستخفاف ، يجسد خطرا ، يحرم المجتمع من الترشيد ، الذى يوجه استخدام الأرض ، فى الوجهة الأجدى ، من وجهة النظر الاجتماعية • بل قد يفضى التفريط فى الضابط الاجتماعى الى استخدام غير مناسب للأرض ، ولا تكاد تنفع به حركة الحياة فى المكان والزمان ، على صعيد الأرض •

وعلى صعيد سيناء ، حيث تتحرى عمليات التنمية ، القدر المناسب من ترويض البداوة واشاعة الاستقرار ، هناك المثل الصارخ ، الذى يعلن عن وقوع استخدام الأرض فى السكن ، وتحسين مستوى الاسكان ، فى خطيئة اهمال الضابط الاجتماعى • وفى غياب هذا الضابط الاجتماعى ، الذى يبتنى على أسس وأصول وقواعد ، يفرضها واقع البداوة وتحولها المتأنى الى شىء من الاستقرار ، أقيمت عمائر ومساكن متعددة الطوابق • وقد تبدو هذه المساكن جميلة فى ربوع المكان ، ولكن فى غيبة الضابط الاجتماعى يتجلى الخطأ ، حيث لم يحسب استخدام الأرض فى تجهيز السكن وتطويره ، حساب المواصفات الأنسب للمجتمع السيناوى • بل قل فى غيبة الضابط الاجتماعى ، تكون هذه المساكن غريبة على الأرض ، وغريبة على المجتمع • وفى الاعتقاد الجغرافى ، أن حضور الضابط الاجتماعى وحسن الاستماع اليه ، كان فى وسعه أن يحمى التنمية من الوقوع فى الخطأ • كما كان فى وسعه أن يعترض على نقل الصورة التى يتأتى عليها اعداد السكن مناسبا للاستقرار فى المدن الصغيرة على ضفاف النيل ، أو فى ربوع السهل الفيضى ، لكى تكون الصورة نفسها وتتكرر وهى طبق الأصل ، على صعيد سيناء •

وعلى صعيد جزيرة العرب ، حيث تتحرى السعودية التنمية واضافة قطاع الصناعة الى البنية الاقتصادية ، هناك المثل الجيد ، الذى يعلن عن وضع الضابط الاجتماعى فى محله ، لترشيد استخدام الأرض وحسن توطين الصناعة • وقل أن وضع توصية الضابط الاجتماعى فى اعتبار فريق المخططين ، قد استوجب حسن اختيار مساحات الأرض الأنسب لتوطين الصناعة • وجاء توطين الصناعة فى اقليم الجبيل على الخليج العربى ، وفى اقليم ينبع على البحر الأحمر ، حتى يتسنى الفصل بين مواطن الصناعة ، وكل ما يتأتى فى صحبتها من تغيير ومتغيرات اجتماعية من ناحية ، ومواطن البداوة بكل ما تستغرق فيه من جمود وتشبث بالتقاليد والأعراض

والاعتراض عن التغيير من ناحية أخرى • ويكون حضور الضابط الاجتماعي وعدم التفريط فيما يوحى به من توصيات ، قد حقق شيئا مناسبا من التنسيق ، الذى يكفل التعايش السوى بين دواعى التجديد والانتفاع به ، ودواعى التقليد وعدم الطعن فيه ، أو الذى يحافظ على التوازن بين استخدام للأرض يلتمس التجديد والتحديث ، واستخدام للأرض يستغرق فى التقليد والتخوف من الجديد •

ووضع الضابط الاجتماعى فى اعتبار الانسان وهو يواجه الأرض ، أو وهو يلتمس حسن التعامل مع تحديات الضبط الطبيعى ، بقصد استخدامها لحساب المجتمع ، يؤكد حسن الاقتراب من الجدوى الاجتماعية للانتفاع بها فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات • وتأمين الجدوى الاجتماعية فى صحبة الجدوى الاقتصادية ينمى مستوى هذا الانتفاع لحساب الفرد ، ولحساب المجتمع ، فى المكان والزمان • وفى كثير من الأحوال يسبق الاهتمام بالجدوى الاجتماعية التى يفضى اليها استخدام الأرض ، الاهتمام بالجدوى الاقتصادية • بمعنى أن يلتمس المجتمع الجدوى الاجتماعية من استخدام الأرض ، وهو على حق ، قبل أن يلتمس الجدوى الاقتصادية منه •

وضوابط بشرية أخرى ، ديموجرافية واقتصادية وحضارية وسياسية ، تشارك الضابط الاجتماعى فى حسن توجيه التعامل مع الأرض واستخدامها ، وتامين حق المجتمع فى الانتفاع بها • وصحيح أنه لا يجوز التفريط فى هذه الضوابط البشرية ، ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو تقدم هذا الضابط الاجتماعى ، تقدما يحافظ على أسبقيته على كل الضوابط البشرية الأخرى • وقل أنه الضابط الأهم ، لأنه يبتنى على قيم وتقاليد وعقيدة المجتمع ، ويكون مسئولا عن توجيه استخدام الأرض ، توجيها رشيدا ، يجاوب ارادة ومصلحة المجتمع • بل قل أنه الضابط الأهم ، لانه يملك قوة الفعل المؤثر ، الذى يجعله وكأنه الديدبان الذى يحرس استخدام

الأرض فى المكان والزمان :

أولا — حتى لا ينتهك الانتفـــاع بالأرض فى المـكان والزمان ، القيم والتقاليد والعقيدة ، التى يتشبث بها المجتمع ويرفض التفريط فيها ٠

ثانيا — حتى لا ينتهك الآداء والعمل سـلامة الأرض ، ويعيث فيها فسادا ، ويفشل فى تأمين استمرار استخدامها ، والانتفاع بها ٠

* * *

السكان الضابط الديموجرافى :

يبتنى هذا الضـــابط الديموجرافى ، على محصلة الأوضاع التى يفرضها انتشار السكان وتوزيعهم الجغرافى ، على صعيد مسـاحة الأرض المعنية من ناحية ، ومحصلة الأوضاع التى يعلن عنها نمو السكان واتجاهاته على صعيد نفس الأرض من ناحية أخرى ٠ بمعنى أن يكون حضور حركة الحياة وتوزيع الكثافات السكانية فى المكان ، وان يكون نمو وتغير الاوضاع الديموجرافية فى الزمان ، من وراء قوة فعل تعامل الانســان مع الأرض واستخدامها فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ٠ بل قل لا فهم أو استيعاب لقوة العمل وهى جزء من كل البنية السكانية ، الا بتقصى الحقائق السكانية ، وتحرى الضابط الديموجرافى ومبلغ تأثيره على أنماط استخدام الأرض ٠

وتأسيس الضابط الديموجرافى ، على معطيات الواقع الســكانى ، ومتغيرات الحقيقة الديموجرافية ، التى تتفاوت من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، يكفل استشعار وتحوى مبلغ تغير قوة فعل أو تأثير هذا الضابط ، على تعامل الانسان مع الأرض ، وهو يباشر استخدامها وتأمين الانتفاع بها ٠ وقوة فعل أو تأثير الضابط الديموجرافى ، على صعيد أرض تشـــهد شيئا من الزحام والاكتظاظ والكثافات الســكانية المرتفعة والنمو الديموجرافى المتعجل ، تبدو غير قوة فعل أو تأثير الضـــابط الديموجرافى ،

على صعيد أرض تشهد شيئا من النقص والتخلخل والكثافات السكانية المنخفضة والنمو الديموجرافى البطىء • وكأن من شأن الضابط الديموجرافى، أن يكون فى صحبة حركة الحياة يبصرها ، حتى تحافظ على التوازن الأنسب ، على صعيد مساحة الأرض المعنية ، بين الواقع السكانى الذى تحدث عنه الحقيقة الديموجرافية فى جانب ، وأنماط الاستخدام التى يباشرها الانسان وتتأتى على صعيد هذه المساحة فى جانب آخر •

وأذكر كيف يوفر الواقع السكانى وما تعلن عنه المتغيرات الديموجرافية بشكل قاطع وموثوق به ، حجم قوة العمل المتاحة ، التى يتعين الاعتماد عليها وتحمل مسئولية التعامل مع الأرض ، وتسخيرها فى الانتاج • ويكون الضابط الديموجرافى مسئولا عن أن تكون قوة العمل الفاعلة ، هى الأنسب لحجم العمل المتاح ، فى المكان والزمان ، حتى لا يكون الخلل زيادة فى قوة العمل يتضرر بها العمل والعمال ، أو نقصانا فى قوة العمل يتضرر به العمل والعمال •

وفى حالة **التخلخل السكانى** ، واستشعار العجز أو النقصان فى حجم قوة العمل ، بالنسبة لحجم العمل المتاح على صعيد المساحة المعنية ، يدعو الضابط الديموجرافى فى مواجهة هذا الخلل ، الى التماس وسيلة أو تكنولوجيا مناسبة ، تقلل الحاجة الى قوة العمل ، وتتجنب تقليص حجم العمل • وكأن هذا الضابط الديموجرافى هو الذى يبصر من أجل تدارك الموقف ، ويستوجب مباشرة الزراعة الواسعة أو الزراعة الآلية • واشراك الآلة مع قوة العمل فى استخدام الأرض فى الانتاج الزراعى ، ومباشرة الزراعة الواسعة هو الذى يكفل تغطية حجم العمل المتاح ، ولا يفرط فى مساحة من الأرض •

وفى حالة **الاكتظاظ السكانى** ، واستشعار الوفرة أو الزيادة فى حجم قوة العمل ، بالنسبة لحجم العمل المتاح ، على صعيد المساحة المعنية ، يدعو

الضابط الديموجرافى فى مواجهة هذ الخلل ، الى التماس تكنولوجيا مناسبة ، توفر العمل وتوسع قاعدته ، ولا تحرم قوة العمل من فرص العمل • وكأن هذا الضابط الديموجرافى ، وهو الذى يبصر من أجل تدارك الموقف ، ويستوجب مباشرة الزراعة الكثيفة والاعتماد على الأيدى العاملة فى انجاز العمليات الزراعية • والتخفيف فى مجال التماس الميكنة الزراعية ، وتحمل الأيدى العاملة مسئوليات العمل واستخدام الأرض فى الانتاج الزراعى ، ومباشرة الزراعة الكثيفة ، هو الذى يكفل تغطية حجم العمالة المتاحة ، ولا يحرم أحدا من العمل •

وأذكر مرة ثانية ، كيف يوفر الواقع السكانى وما تعلن عنه المتغيرات الديموجرافية بشكل قاطع ، وموثوق به ، حجم الأسرة ومتوسط عدد أفرادها ، الذى يتعين الالتزام به ، فى مجال التعامل مع الأرض وتجهيز المسكن فى الريف أو فى الحضر • ويكون الضابط الديموجرافى مسئولا ، عن أن يكون حجم المسكن وتصميمه من الداخل ، هو الأنسب لحجم الأسرة بكل ما يعنيه السكن والمأوى ، فى المكان والزمان • بل ويكون هذا الضابط الديموجرافى ، وكأنه الديدبان الذى يحرس حسن تجهيز المسكن ، حتى يلائم أوضاع الأسرة واستقرارها واحتمالات نموها ، حتى لا يكون الخلل ضيقا يضيق أو يختنق به السكان ، أو اتساعا فضفاضا يشكو منه السكان •

وفى حالة التكدس السكانى ، واستشعار الزيادة فى حجم الأسرة ، والزيادة فى أعداد الأسر بمعدلات كبيرة وسريعة بالنسبة للمساحة المتاحة من الأرض لوجود المستوطنة ، على صعيد الريف أو على صعيد الحضر ، يدعو الضابط الديموجرافى فى مواجهة هذا الموقف الى التماس وسيلة أو أسلوب مناسب لتجهيز المساكن التى تنمى ايجابيات التكدس ، وتتجنب سلبياته • وكأن هذا الضابط الديموجرافى ، هو الذى يبصر من أجل تدارك الأمر ،

ويستوجب حسن التنسيق بين مباشرة التوسع الأفقى والتوسع الرأسى فى البنـاء لتلبية الطلب على السكن ، الذى يتزايد فى المكان ، من عصر الى عصر آخر . بل قل يبقى هذا الضـابط الديموجرافى مسئولا عن المحافظة على حسن العناية بالتوازن والتوازى والتزامن ، بين تجهيز المسـاكن وعرضها من ناحية ، وطلب السكن والانتفاع به من ناحية أخرى .

وفى حالة التخلخل السـكانى ، واستشعار النقص فى حجم الأسرة ، والزيادة فى أعداد الأسر بمعدلات صغيرة وبطيئة بالنسبة للمساحة المتاحة من الأرض لوجود المستوطنة ، على صعيد الريف أو على صعيد الحضر ، يدعو الضـابط الديموجرافى فى مواجهة هذا الموقف الى التماس وسيلة أو أسلوب أو توجه مناسب لتجهيز المساكن ، التى تنمى ايجابيات التخلخل ، وتتجنب سلبياته . وكأن هذا الضـابط الديموجرافى ، هو الذى يبصر من أجل تدارك الأمر ، ويستوجب تفضيل مباشرة التوسع الأفقى على التوسع الرأسى فى البنـاء ، لتلبية الطلب على السكن الذى يبدو بطيئا فى المكان ، من عصر الى عصر آخر . بل قل يبقى هذا الضـابط الديموجرافى مسـئولا عن كبح جماح التوسع الأفقى والحيلولة دون التمادى فيه لكى لا يضيف الى سلبيات التخلخل ، عواقب التشتت والتباعد السكانى .

وأذكر مرة ثالثة ، كيف يوفـر الواقع السـكانى ، ومـا تعلن عنه المتغيرات الديموجرافية بشكل قاطع ، وموثوق به ، توزيع السكان ، وحجم الكثافات السكانية ومعدلات النمو السكانى ، التى يتعين الالتزام بها ، فى مجالات التعامل مع الأرض ، واختيار المكان الأنسب على صعيدها لتوطين وعرض الخدمات العامة والخاصة . وينبغى أن يكون الضـابط الديموجرافى ، من وراء انضباط العلاقة الحميدة ، بين توطين الخدمات العامة والخاصة وحسن عرضها على الناس فى جانب ، ومبلغ تهافت الناس كل على قدر حاجته على طلب هذه الخدمات والانتفاع بها فى المكان والزمان فى جانب آخر . وفى

صحبة المتغيرات الاقتصادية والمتغيرات الحضارية والمتغيرات السياسية ، يكون هذا الضابط الديموجرافي ، وكأنه الديدبان الذى يحرس التوازن والتوازى والمتزامن بين نمو الخدمات وتحسين مستواها ، وزيادة عرض انتاجها من ناحية ، ونمو الطلب وزيادة التهافت على هذا الانتاج الخدمى فى المكان والزمان من ناحية أخرى ٠

ولأن استخدام الأرض على أى صعيد ، يكون لحساب الناس فى اطار تداخلهم الواقعى ، فى البنية السكانية ويتأتى بناء على اجتهاد الناس فى التعامل مع الأرض ، فلا يجوز اهمال الحقيقة الديموجرافية فى المكان والزمان ٠ كما لا ينبغى التفريط أبدا ، فى حسن الاستماع الى الضابط الديموجرافى وقوة فعله أو تأثيره ٠ ذلك أنه مطلوب بالحاح ، لضبط وانضباط العلاقة الحميدة ، بين الناس ، وهم يستخدمون الأرض فى طلب الانتاج أو فى طلب السكن أو فى طلب الخدمات فى جانب ، والناس كل الناس أحيانا والناس بعض الناس فى جانب آخر ، وهم ينتفعون بالانتاج أو بالسكن أو بالخدمات ٠

ومعنى انضباط العلاقة بين من يكون فى وسعهم استخدام الأرض ، وهم قوة العمل وجزء من كل الناس ، ومن يكون من شأنهم الانتفاع بمحصلة هذا الاستخدام ، أن يتسنى التنسيق الحسن والمتوازن ، بين العرض وهو محصلة اجتهاد البعض فى جانب ، والطلب وهو حق انتفاع الكل الذى لا ينازعهم فيه أحد فى جانب آخر ٠ وقل فى غيبة هذا الضابط الديموجرافى ، لا يتسنى هذا التنسيق البديع ، بين الأطراف المعنية باستخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، والأطراف المعنية بالانتفاع بهذا الاستخدام ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ٠ بل قل قد يصل الأمر فى غيبة الضابط الديموجرافى ، الى حد من التخبط أحيانا أو الى حد تفسخ العلاقة بين استخدام الأرض ، ومصلحة السكان ، وهم

مسئولون مرة عن مباشرة العمل والانجاز ، وهم مسئولون مرة أخرى عن الانتفاع بثمرات هذا الانجاز ٠

واهمال الحقيقة الديموجرافية ، الذى يعنى غياب الضابط الديموجرافى واهدار قيمته الارشادية ، يجسد التفريط فى قوة فعل هذا الضابط ، وهو يبصر ويرشد العلاقة ، التى ينبغى أن تكون وأن تبقى حميمة ومتوازنة : بين استخدام الأرض استخداما مناسبا ، والانتفاع بهذا الاستخدام انتفاعا مناسبا ٠ ويفضى هذا الغياب أحيانا الى وضع مثير يطعن فى جدوى استخدام الأرض اقتصاديا واجتماعيا ٠ ويتأتى هذا الوضع المثير عندما يتحول الضابط الديموجرافى من وقفة جادة الى جانب حركة الحياة تشد أزره وتبصره . الى وقفة مضادة ينحاز بموجبها الضابط الديموجرافى الى جانب الضوابط الطبيعية وتحدياتها المعلنة فى مواجهة حركة الحيـاة وارادة استخدام الأرض الاستخدام الأنسب ٠ بمعنى أن يكون اهمال وغياب الضـابط الديموجرافى خسارة على حساب حركة الحياة يتخبط بموجبها استخدام الأرض ٠ ويكون انضـمام قوة فعل الضـابط الديموجرافى الى صف قوة فعـل الضـوابط الطبيعية وتحدياتها المعلنة ، امعانا فى الخسارة على حساب حركة الحياة ، يتوقف بموجبها ، حسن استخدام الأرض ٠

ومشـاكل مصر الاقتصادية وتداعياتها على المستوى الاجتماعى — على سبيل المثال — وهى تعانى الخلل من الانتاج ، تتفاقم فى غياب الضـابط الديموجرافى ٠ ومشاكل مصر السكنية فى الريف والحضر وتداعياتها على المستوى الاجتمـاعى والاقتصـادى ، وهى تعـانى الخلـل بين عرض السكن وطلبه ، تستمر فى غياب حسن الاسـتماع الى الضـابط الديموجرافى ٠ ومشـاكل مصر الخدمية وتداعياتها على المستوى الاقتصـادى وعلى المستوى الاجتماعى وعلى المستوى الحضارى ، وهى تعانى الخلل بين العرض المتاح من الخدمات والطلب والتهافت عليها ، تتضاعف فى غياب حسن الاستماع الى الضابط الديموجرافى ٠

ولا شيء يمكن أن يتدارك هذا الخلل وعواقبه الوخيمة ، ويسد الفجوة بين العرض والطلب ، من الانتاج أو من السكن أو الخدمات ، أهم من حسن الاستماع الى الضابط الديموجرافى · وكم تكون الحاجة ملحة الى وعى صحيح وحصيف يحسن الانتفاع بالمؤشرات التى يعلن عنها الضابط الديموجرافى · ومن شأن هذه المؤثرات أن ترشد تحسين أوضاع استخدام الأرض ، وتعديل دواعى الخلل وعدم التوازن بين استخدام الأرض والانتفاع بحصاد هذا الاستخدام · بل قل ليس فى وسع مصر أن تتجاوز المشاكل وتضع حدا لمعاناة الجماهير ، من غير أن تصغى بعناية الى ما يعلن عنه ويحتمه الضابط الديموجرافى ·

ومهما يكن من أمر ، فان وضع الضابط الديموجرافى ، فى وضعه الصحيح ، ضمن مجموعة الضوابط البشرية ، التى تعمل فى صف الانسان ، هو وحده ، الذى يوجه عمليات استخدام الأرض توجها سليما ، حتى تتجنب الوقوع فى عواقب الخطأ الاجتماعى والاقتصادى · والفرق كبير جدا ، بين استخدام الأرض أو تنمية هذا الاستخدام وتحسين مستواه ، ليجاوب الاكتظاظ السكانى والنمو الديموجرافى السريع ، واستخدام الأرض أو تنمية هذا الاستخدام وتحسين مستواه ، ليجاوب التخلخل السكانى والنمو الديموجرافى البطيء · بل قل هناك بالضرورة فرق كبير بين تنمية استخدامات الأرض تنمية يدعمها حضور الضابط الديموجرافى ، تضيف شيئا الى الرصيد وتحسن مستوى المعيشة ، وتنمية استخدامات الأرض تنمية يخذلها غياب الضابط الديموجرافى ، فتلتهم اضافاتها الزيادة الديموجرافية ، ولا يتأتى أى تحسين فى مستوى المعيشة ·

* * *

الاقتصاد الضابط الاقتصادى :

تاسيسا على الواقع الاقتصادى على صعيد المساحة المعنية ، وهو محصلة التعامل بين الانسان والأرض ، وتسخيرها واستخدامها فى طلب الانتاج أو فى اقامة السكن أو فى توفير الخدمات ، فى المكان والزمان ، يكون الضابط الاقتصادى • ومن شأن النظام الاقتصادى وهو يكفل حرية الاقتصاد أحيانا ، أو وهو يكفل توجيه الاقتصاد أحيانا أخرى ، أن يسهم فى تشكيل وتحديد قوة فعل الضابط الاقتصادى ، وفى توظيف هذا الضابط ضمن منظومة الضوابط البشرية التى تنظم وتظلل وتحمى وتدعم دور الانسان في مجالات استخدام الأرض •

ويتحرى هذا الضابط الاقتصادى ، وهو فى صحبة الانسان ، عندما يتعامل مع الأرض ، حسن توجيه مهارات وقوة فعل الانسان فى مجالات تطويع الأرض • كما يتحرى هذا الضابط الاقتصادى دعم تكنولوجيا الانسان فى السيطرة على استعداداتها ، التى تجاوب مباشرة أسباب وأساليب استخدامها • بل قل أنه وهو فى صحبة حركة الحياة ، يتحرى حراسة حسن العلاقة وتأمين التوازن الحميد ، بين العرض ، وهو محصلة الاقدام على مباشرة استخدامات الأرض من ناحية ، والطلب وهو حق يبيحه وينبغى أن يوفره هذا الاقدام لحساب الانسان ، من ناحية أخرى •

وتاسيس الضابط الاقتصادى ، على الواقع الاقتصادى وطبيعة البنية الاقتصادية ، والنظام الحاكم للعمليات الاقتصادية ، التى يباشرها الانسان وتكاد تتفاوت من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، يكفل تغيير قوة فعل هذا الضابط وضغطه وتأثيره على قوة فعل الانسان ، وهو يتعامل مع الأرض على صعيد المساحة المعنية ، ويلتمس توظيفها واستخدامها وتأمين استجابتها فى المكان والزمان • وقوة فعل وتأثير الضابط الاقتصادى على صعيد أرض ثرية تزخر بالوفرة ، وتعجل بالاستجابة للانسان فى

المكان ، تكون غير قوة فعل وتأثير الضابط الاقتصادى ، على صعيد أرض مقترة لا تبشر بالسخاء ، ولا تعجل بالاستجابة للانسان فى المكان الآخر . ويكون من شأن الضابط الاقتصادى ، أن يسعف الانسان فى مجالات استخدام الأرض ، وهو يلتمس حد التوازن الأنسب بين الواقع الاقتصادى وطبيعة البنية الاقتصادية فى جانب ، وأنماط الاستخدام التى يباشرها ، وتتأتى لحساب الانتاج أو لحساب السكن أو لحساب الخدمات ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان فى جانب آخر .

ومن شأن الواقع الاقتصادى الذى يبتنى على اختيار الانسان للنظام الاقتصادى ، وصياغة وترسيخ البنية الاقتصادية ، أن يؤهل الوسيلة ، وأن يوفر أسلوب العمل والنمط التكنولوجى ، الذى يتعين الاعتماد عليه ، فى التعامل مع الأرض واستخدام مواردها المتاحة فى الانتاج ، أو فى اختيار واختبار الموقع لاقامة المستوطنة وتجهيز وبناء المساكن ، أو فى توفير الخدمات العامة أو الخاصة المناسبة . ويكون الضابط الاقتصادى فى صف الانسان ، مسئولا عن أن يكون الاختيار هو الأفضل ، وأن تكون الوسيلة هى الأنسب لانجاز العمل وتأمين استجابة الأرض لنمط الاستخدام المعنى . بل قل أن هذا الضابط الاقتصادى ، يرشد حساب الجدوى الاقتصادى ، حتى يسعف الانسان فى اختيار الهدف من استخدام الأرض ، وفى تجهيز الوسيلة التى تكون على مستوى مناسب ، وفى وسعها أن تشد الأزر فى مواجهة الضوابط الطبيعية ، عندما تتحدى ارادة الاستخدام على صعيد الأرض ، فى المكان والزمان .

وعلى صعيد الأرض التى تشهد قوة فعل الانسان ، وهو يزرع المساحة القابلة للزراعة ، أو وهو يرعى قطعان الحيوان فى المراعى أو وهو يربيها فى حضن الزراعة المختلطة ، أو يتبنى الأشجار فى البساتين أو فى الغابات ، أو وهو يباشر الصيد أو تربية الثروة السمكية ، أو وهو يعدن

ويستخرج المعـادن من التراكيب الصخرية ، يكون الضـابط الاقتصـادى مسئولا عن حراسة الانجاز الاقتصادى ، وتأمين حسن الصحبة بين الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية • بمعنى أن هذه المسئولية ينبغى أن تغطى فى وقت واحد التزام الاستخدام بحدين هما حـد الجدوى الاقتصادية فى اطار تكلفة اقتصادية ، وحـد الجدوى الاجتماعية لحساب المنفعة الجماعية • وقل ينبغى أن يتحرى الضـابط الاقتصادى كل ما من شأنه أن يكفل حسن توجيه الانجاز لحساب الانتاج من الموارد المتاحة ، توجها رشيدا ومتوازيا ، على درب الصواب الاقتصادى والاجتماعى • ويبقى هذا الضابط الاقتصادى وعينه لا تغفل ، فى صحبة أيدى الانسـان ، وهى تعتنى باستخدام الأرض، وتلتمس الانتاج الاقتصادى دون ضغط أو التمادى فى الاسـتخدام الجائر الذى يطعن فى قدرة الأرض على مواصلة الاستجابة والعطاء • ويظل الضابط الاقتصادى يقظا ، وهو يحرس حسن عرض الانتاج الاقتصادى على الطلب ، لحساب الاستهلاك الاقتصادى •

وعلى صـعيد الأرض التى يقع عليها الاختيار الأنسب ، وتشهد قوة فعل الانسان ، وهو يباشر توطين الصناعة واقامة المصنع ، ومباشرة الانتاج الصناعى السلعى ، الاستهلاكى أو الانتاجى ، يكون الضـابط الاقتصادى مسـئولا عن حراسة الانجاز الاقتصادى ، وتأمين حسن الصحبة بين الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية • بمعنى أن هذه المسـئولية ، ينبغى أن تغطى فى وقت واحد ، الالتزام فى التوطين وفى التشغيل بحدين ، همـا حـد الجدوى الاقتصادية فى اطار تكلفة اقتصادية ، وحـد الجدوى الاجتماعية لحساب المنفعة الاجتماعية • وقل ينبغى أن يتحرى الضـابط الاقتصادى والعين لا تغفل عن الجدوى الاجتماعية ، كل ما من شأنه أن يكفل حسن توجيه الانجاز لحساب الانتاج الصناعى، توجها رشيدا ومتوازنا ، على درب الصواب الاقتصادى والاجتماعى ، فى المكان والزمان • بل قل يكون هذا الصواب

مطلوبا بعناية ، فى مرحلة التصنيع والانتاج ، وفى مرحلة تشوين وتخزين الانتاج الصناعى السلعى ، وفى مرحلة تحميل ونقل وحسن عرض هذا الانتاج ، فى منافذ التسويق • ويبقى هذا الضابط الاقتصادى يقظا ، فى صحبة الصناعة ، وعينه لا تغفل ، حتى يتسنى عرض الانتاج الصناعى السلعى عرضا اقتصاديا مناسبا على الطلب لحساب الاستهلاك الاقتصادى •

وعلى صعيد الأرض التى يقع عليها الاختيار الأنسب فى الموضع الأنسب ، وتشهد قوة فعل الانسان ، وهو يشيد المبانى ويبنى المساكن ، ويجهز المأوى للانسان فى اطار التشكيل الاجتماعى الأسرى ، يكون هذا الضابط الاقتصادى مسئولا عن حراسة الأرض واستخدامها فى اقامة المستوطنات البشرية • وتمتد هذه المسئولية لكى ترشد اقامة المستوطنة المناسبة على صعيد الريف ، وتسعف توجه سكانها الى مباشرة استخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى أو الانتاج الحيوانى أو الانتاج الغابى أو الانتاج المعدنى • كما تمتد هذه المسئولية أيضا لكى يرشد الضابط الاقتصادى اقامة المستوطنة المناسبة على صعيد الحضر ، وتوجه سكانها الى انتاج الخدمات ، ومباشرة الانتاج الصناعى السلعى • ويبقى هذا الضابط الاقتصادى ، والعين لا تغفل عن الجدوى الاجتماعية فى ربوع القرية أو فى اطار المدينة ، حتى يمضى استخدام الأرض فى الاستيطان ، على درب الصواب الاقتصادى والاجتماعى ، فى وقت واحد • بل قل يكون هذا الضابط الاقتصادى ، وينبغى أن يبقى يقظا فى حراسة حسن العلاقة وتأمين التوازن الحميد فى المستوطنة ، بين عرض السكن والطلب عليه •

وعلى صعيد الأرض ، التى تشهد قوة فعل الانسان ، وهو يختار الموضع أو المساحة الأنسب ، لتوطين واقامة الخدمات وتجهيزها ، فى الريف أو فى الحضر ، وعرض انتاجها عرضا مناسبا على الانسان ، فى المكان والزمان ، يكون الضابط الاقتصادى مسئولا عن حراسة وترشيد استخدام

الأرض وتسخيرها فى توفيرها . وتمتد هذه المسئولية ، لكى تبصر وترشد حسن توزيع هـذه الخدمات المتنوعة جغرافيـا ، وتأمين حسن العلاقة بينه وبين توزيع السـكان على صعيد الأرض فى الريف أو فى الحضر . بل قل ان هـذا الضابط الاقتصـادى ، يكون من وراء حسن التنسيق ، فى اطار توزيع الخدمات التـوزيع الجغـرافى المناسب ، بين نصيب الـريف ونصيب الحضر . وكما يكفل الضـابط الاقتصـادى نصيب الاستقرار من استخدام الأرض فى توفير الخدمات ، يكفل نصيب البداوة من الخدمات . ويعمل هذا الضابط الاقتصـادى فى صحبة الضـابط الاجتماعى لتـأمين حسن توزيع الخدمات وحسن توظيفها على صعيد البـادية ، لكى تخفف من حدة البداوة وانطلاقها المتحـرر ، وتتجنب فى نفس الوقت عواقب تكدس البـدو حول مواطن الخدمات وتفـريغ البـادية من سكانها . ويبقى هـذا الضـابط الاقتصـادى ، وعينه لا تغفل عن الجدوى الاقتصـادية والجدوى الاجتماعية مجتمعتين ، حتى تنال حركة الحيـاة فى الريف وفى الحضر وفى البـادية ، ما تستحقه من انتـاج هـذه الخدمات ، دون الخروج عن درب الصـواب اقتصاديا أو اجتماعيا ، فى المكان والزمان .

واهمال الحقيقة الاقتصادية ، وتعمد المضى فى التعامل بين الانسـان والأرض على درب الخطأ الاقتصادى يفضى الى عواقب وخيمة ، ولا يتأتى هذا الخطأ الاقتصـادى أبدا الا فى غيبة الضـابط الاقتصـادى ، واهدار قيمته وتضييع جدواه . وتجسد عواقب هذا الخطأ الاقتصادى خطر التفريط بقصد أو من غير قصد ، فى قوة فعل هذا الضابط الاقتصادى ، وهو يبصر محكم العلاقة التى ينبغى أن تكون وتبقى حميمة ومتوازنة ، فى أى مساحة معنية من الأرض بين الانسـان والأرض ، أو بين استخدام الأرض وهو واجب على كاهل الانسـان ، والانتفـاع بهذا الاستخدام وهو حق ضرورى لحسـاب الانسـان . وكأن حضور الضـابط الاقتصـادى لا ينبغى التفـريط فيه أو اهماله ، لأنه هو الـذى يحرس استخدام الأرض ، ويستوجب الواجب

ويلزم به حركة الحيـاة ، ويحق الحق ويحافظ عليه ويؤمنه لحسـاب حركة الحيـاة ٠

وقد يفضى غيـاب الضـابط الاقتصادى بقصد أو من غير قصد ، الى وضع مثير وخطير ، يطعن فى جدوى اجتهاد الانسان وهو يستخدم الأرض٠ وفى هذا الوضع الخطير ، يتحول الضابط الاقتصادى من وقفة يقظة ، وكأنه الديدبان الى جانب الانسـان يشـد أزره ويبصره وهو يستخدم الأرض ويطوعها ، الى وقفة مضادة ينحاز بموجبها هذا الضابط الى صف الضوابط الطبيعية ، وتحدياتها المعلنة ضـد ارادة الاستخدام الاقتصادى ٠ وهـكذا يكون اهمـال أو غيـاب أو تغيب الضابط الاقتصـادى خسارة مؤكدة على حسـاب حركة الحيـاة ، حيث يمضى أمر استخدام الأرض على درب الخطـأ الاقتصادى ، ولا تتحقق الجدوى الاقتصادية ٠ كما يكون انضمام قوة فعل الضابط الاقتصادى الى صف قوة فعل الضوابط الطبيعية ، امعانا فى الخسارة على حساب حركة الحياة ، حيث تتفاقم التحديات المعلنة ، ويفتقد استخدام الأرض الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية ٠

ومشاكل مصر الاقتصادية ، وهى تعانى من خلل شديد بين العـرض والطلب من الانتاج ، تتفاقم فى غيبة الضابط الاقتصادى عن ميدان استخدام الأرض فى الانتـاج ٠ ومشاكل مصر السكنية ، وهى تعـانى من خلل بين العرض والطلب على السكن ، تستمر ولا تنتهى فى غيبة الضابط الاقتصادى عن ميـدان استخدام الأرض فى السـكن والاستيطان ٠ ومشـاكل مصر الخدمية ، وهى تعـانى من خلل بين العـرض والطلب على الخدمات العـامة والخاصة ، تتـداعى ولا تجد حلا ناجعـا ، فى غيبة الضابط الاقتصادى عن ميدان استخدام الأرض فى اقامة وتوزيع وتنويع وتكامل الخدمات ٠ ولا شىء يمكن أن يتـدارك هـذا الخلل ، ويسد الفجوة بين العـرض والطلب ، من استخدام الأرض فى الانتاج ، أو استخدام الأرض فى الاستيطان والسكن ، أو استخدام الأرض فى توفير الخدمات ، أهم من وعى حصيف يعيد الضابط

الاقتصادى الى وضعه الصحيح ، ويسند اليه الاسهام فى تدارك هذا الخلل . وفى وسع هذا الاسهام أن يوظف الضابط الاقتصادى مع غيره من الضوابط البشرية الأخرى ، فى تحسين أوضاع استخدام الأرض ، وشد أزر الانسان حتى يتجاوز المحنة وينهى دواعى المعاناة .



الابداع الضابط الحضارى :

يصور الواقع الحضارى ، توجهات حركة الحياة ، وهى تحيا على صعيد الأرض ، وتتعامل معها وتستخدمها وتسخرها فى طلب الانتاج ، أو فى طلب الخدمات ، وصولا الى صناعة الحضارة بشقيها المادى والمعنوى . ويدلل الانسان فى أى مكان ، وفى أى زمان ، على أنه صاحب سلوك وآداء حضارى . ويبتنى هذا السلوك أو هذا الآداء ، على حسن توظيف العقل فى ابداع الوسيلة أو الحيلة أو فى صياغة التكنولوجيا المناسبة ، التى تسعف فى التعامل مع الأرض وتسخيرها وتأمين الانتفاع بها .

وتبرهن حركة الحياة صانعة الحضارة وانجازاتها البديعة ، على المضى المستمر ، على درب التطور الحضارى الذى يضيف الجديد ، ويباشر التغيير فى الأسلوب أو فى النمط الحضارى السائد . ويبدو وكأن الأرض وخواصها وما تنطوى عليه من دواعى التغيير ، والضوابط الطبيعية التى تواجه حركة الحياة ، وتتحدى ارادة تطويعها وتسخيرها واستخدامها حسب اختياراتها ، هى التى تستنفر قدرات الانسان على الابداع الحضارى الأنسب . وقل أن مستوى هذا الابداع الحضارى هو الذى يشحذ كفاءة الوسيلة ، فى استخدام الأرض ومبلغ تطويعها وتأمين الحد الأقصى لاستجابتها ، لحساب الانسان .

وتاسيسا على هذه الأوضاع ، يشهد هذا الابداع الحضارى ،

وهو اضافة ، أو وهو تجديد ٠ أو وهو تطوير ، أزر الانســان فى مواجهة الأرض والضوابط الطبيعية ، حتى يتسنى الوصول الى حد يبيح للانسان حق استخدام الأرض والانتفاع بها ٠ وتتعوة حركة الحياة على تطوير هــذا الابداع الحضارى ، من عصر الى عصر آخر ، وهى تلتمس التمادى فى تحسين مستوى استخدام الأرض ، فى مقابل التمادى فى تحسين مستوى الانتفاع بهذا الاستخدام المتطور ٠ ومتابعة تجارب حركة الحياة الحضارية ، من عصر الى عصر آخر ، تكشف عن أبعاد التغيير فى الأسلوب الحضارى فى مباشرة استخدام الأرض ، فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ٠ كما تكشف أيضا عن معنى الواقع الحضارى المتغير مع تغير أنماط ومستويات استخدام الأرض فى المكان ، من عصر الى عصر آخر ٠

ومن صميم هذا الواقع الحضارى ومتغيراته ، وما يشهده من اضافات وتجديدات وابداعات ، على صــعيد استخدام الأرض ومســتوى استجابتها للتكنولوجيا المتاحة ، تنشأ الحاجة الى الضابط الحضارى ٠ ويتحرى هــذا الضابط الحضــارى ، وهو فى صحبة الانســان صانع الحضــارة وتجاربها المتطورة ، مباشرة المهمة المفيدة ، المنوطة به ، على صعيد استخدام الأرض٠ ويتحمل هــذا الضابط الحضــارى مسئولية ، المحافظة على أقصى قدر من التوازن ، بين تغيير حضارى يصلح فى الأرض أحيــانا ، وتغيير حضــارى يفسد فى الأرض أحيانا أخرى ٠ بمعنى أن حركة الحياة ، تلتمس التغيير الحضارى ، وترى فيه شيئا ضروريا ، يقوى السواعد الفاعلة التى تستخدم الأرض ، وتكفل مزيدا من الاستجابة ، دون أن تترك لهــذا التغيير الحبل على الغارب ٠

ويمسك الضابط الحضارى بزمام هــذا التغيير فى مجالات استخدام الأرض ، ويكون مسئولا عن تلافى أو عن تجنب الآثار الجانبية ، التى تنشأ على هامش التغيير الحضارى ٠ كما يكون هذا الضابط الحضارى مسئولا ، عن السيطرة على سبل ووســائل التغيير الحضارى ، حتى يتيقن من مسيرة

حضارية رشيدة وموفقة ، على درب الصواب الحضارى فى مجال التعامل مع الأرض وحسن تسخيرها والانتفاع بها • وقل أن هذا الضابط الحضارى ، هو الأولى أو هو المسئول عن التنسيق الحسن على أصعدة استخدام الأرض ، بين المضى على درب الصواب الحضارى ، والمضى على درب الصواب الاجتماعى والاقتصادى •

والابداع الحضارى المادى أو المعنوى ، سواء كان من انجاز دواعى تفجرها التحديات الصعبة ، التى تستنفر قوة فعل الانسان ، وهو يستخدم الأرض ، ويبتغى تطويعها ، ويلتمس الانتفاع بها ، أو كان من هدايا المصادفة البحتة ، التى تسعف الانسان ، وهو يستخدم الأرض ، ويفلح فى تطويعها ، ويلتمس الانتفاع بها ، يكون فى جميع الأحوال فى حاجة الى الضابط الحضارى فى صحبته • وتحمل هذه الصحبة الضابط الحضارى مسئولية حراسة توظيف الابداع الحضارى فى مباشرة استخدام الأرض • وتغطى هذه الحراسة ، تأمين حسن توظيف الابداع الحضارى فى مباشرة استخدام مناسب ، لا تتضرر به الأرض ، وتتضرر معه مصلحة الانسان فى الأرض فى المكان والزمان •

ومعلوم أن الابداع الحضارى الذى يتأتى اضافة الى رصيد الانسان الحضارى ، ويتوالى من عصر الى عصر آخر ، يقوى قبضة الانسان ، ويزين له أن يطور سيطرته على الأرض ، أو أن يمعن ويتمادى فى تطويع الأرض • ويكفل هذا الابداع الحضارى ، الوسيلة أو التكنولوجيا التى تغرى الانسان بتحسين مستوى استخدام الأرض • وقل أنها تدعو الابداعات الحضارية الى شحذ قوة فعله والدخول فى مواجهة جديدة ، مع قوة فعل الأرض والضوابط الطبيعية ، لكى يزحزح حد المصالحة عن موضعه ، لحساب حركة الحياة ، وعلى حساب الأرض •

وفى حضور الضابط الحضارى ، وحسن الاستماع اليه ، ينجح الابداع الحضارى فى تحريك حد المصالحة ، تحريكا يبيح تطوير أو تنمية

أساليب استخدام الأرض ، والتعامل معها ٠٠ وقل فى حضور هذا الضابط الحضارى يتأتى هذا التغيير الى ما هو أفضل ، دون تجاوزات تتأتى وتبيح الاستخدام الجائر ، من غير وعى حتى تفسد الأرض ٠ وقضايا تلوث البيئة ، أو قضايا تبديد الموارد المتاحة والكف عن العطاء ، أو قضية التلف الذى أصاب طبقة الأوزون ، ما كانت تكون لكى تهدد مصلحة الانسان ، فى حضور هذا الضابط الحضارى ٠ ويكفى أن يتحمل الضابط الحضارى ، كبح جماح الآثار الجانبية للابداع الحضارى الذى يكفل التمادى فى استخدام الأرض وتطويعها ، لكى تبقى الحاجة الى حسن الصحبة بين الابداع الحضارى والضابط الحضارى ٠

وعلى صعيد الأرض ، التى تشهد تعامل الانسان مع الأرض ، وهو يستخدمها ويطوعها لحساب الانتاج ، يكفل الابداع الحضارى تجديد الوسيلة أو التكنولوجيا الأحسن ، لتنمية استجابة الأرض وتحسين كم وكيف الانتاج ٠ وقد تتمثل هذه الوسيلة التى ينتهى اليها الابداع الحضارى ، فى اضافة المخصبات ، أو فى حسن استنباط واختيار الأنواع والسلالات الأحسن من النبات والحيوان ، أو فى صنع واعداد المواد المناسبة لمباشرة الوقاية والعلاج ، أو فى تطوير تكنولوجيا الأداء والعمل فى حقل الانتاج ٠ بمعنى أن هذا الابداع الحضارى من شانه أن يقوى استجابة الأرض ، أو أن يحسن مستوى الأداء ، أو أن يعمل على الوجهين من أجل تحسين مستوى استخدام الأرض ٠

ويفلح ذلك كله ، فى تحسين مستوى الاستخدام وتنمية الانتاج ، وتصعيد مستوى استجابة الأرض للانسان ، وهو يزرع أو وهو يرعى أو وهو يتعامل مع الغابات أو وهو يباشر الصيد ، أو وهو يعدن ويستخرج المعادن والخامات المعدنية ٠ ولكن تبقى الحاجة الى الضابط الحضارى ، الذى من شانه فى المكان والزمان :

أولا ـ أن يحول دون الوصـــول فى التعـامل مع الأرض الى حد الاستخدام الجائر ٠

ثانيا ـ أن يحرس المعين على صعيد الأرض ، وعينه لا تغفل أبدا ، حتى يؤمن تجديد حيويته فلا يكف عن الاستجابة والعطاء ٠

ومن ثم قل لا يكون فى وسع الانسان أن يتنازل أبدا عن الضـابط الحضارى ، وهو يستخدم الأرض لحساب الانتاج ٠ ويكون حسن الاستماع لهذا الضابط الحضارى ، أكثر من مهم وضرورى ، عندما يقدم الانسان على تغيير مستوى استخدام الأرض الى ما هو أفضل ٠ بل قل يكون من شأن هذا الضابط الحضـارى مسئولا عن تأمين التوازن الحميد ، بين حق حركة الحياة فى الانتفـاع المناسب بالابداعات الحضـارية ، فى تحسـين مستوى استخدام الأرض فى الانتـاج فى جانب ، وحماية حركة الحياة من سلبيات هـذا الاستخدام الـذى ينتهــك أو يضر أو يسىء الى استجابة الأرض ، واستعداداتها للعطـاء فى اطار الجدوى الاجتماعية والاقتصـادية فى جانب آخـر ٠

وعلى صـــعيد الأرض ، التى تشـهد تعـامل الانسـان مع الأرض ، وهو يختـار المسـاحة الأنسب لاقامة المصـانع وتشغيلها ، يكفل الابداع الحضارى ومتغيراته المتوقعة ، التى تتوالى من حين الى حين آخر ، الوسيلة او الاسلوب الأحسن ، لتحسـين أوضــاع الصـناعة وتنمية انتـاجها ٠ وقد تتمثل هذه الوسيلة ، فى نقل المصنع من موضع الى موضع أحسن ، أو فى توظيف تكنولوجيـا مستجدة ، أو فى توفير خدمات أفضـل للنقل والشحن والتشوين ، أو فى تطوير ادارة الانتاج الصناعى السلعى ٠ بمعنى أن هذا الابداع الحضارى من شأنه ، أن يحسن أوضاع الصناعة فى المكان ، او أن يحسن مستوى الأداء ، أو أن يعمـل على الوجهين فى وقت واحـد ، من اجل تحسين مستوى استخدام الأرض الأنسب لتوطين الصناعة ٠

ويفلح ذلك كله ، فى تأمين حسن اختيار المساحة الأنسب لتوطين الصناعة ، وتصعيد مستوى استجابة الأرض للانسان ، وهو يباشر الصناعة الخفيفة ، أو وهو يباشر الصناعة الثقيلة ، لحساب الانسان ٠ ولكن تبقى الحاجة الى الضابط الحضارى ، الذى من شانه فى المكان والزمان :

أولا - أن يؤمن تطوير القيمة المضافة من الصناعة ، وترسيخ قطاع الصناعة فى صلب البنية الاقتصادية ٠

ثانيا - أن يحمى الأرض وحركة الحياة على صعيد الأرض من سلبيات الصناعة ، وهى تلوث البيئة ٠

ومن ثم قل لا يكون فى وسع الانسان ، أن يتنازل أبدا عن الضابط الحضارى ، وهو يختار مساحة الأرض لاقامة المصانع ، أووهو ينسق بين استخدام الأرض فى السكن واقامة المستوطنات ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات وتجهيز البنية الأساسية من ناحية وتخصيص الأرض المنتخبة لاقامة المصانع ٠ بل قل من شأن هذا الضابط الحضارى أن يكون مسئولا عن تأمين التوازن الحميد والتنسيق المناسب ، بين توطين الصناعة المناسبة ، فى المكان المنتخب فى جانب ، وترسيخ أوجه استخدام الأخرى فى الريف وفى الحضر فى جانب آخر ٠ ويفضى هذا التوازن الى علاقة تكامل بين كل أنماط استخدام الأرض ٠ بمعنى أن يوثق الضابط الحضارى الصلة أو العلاقة بين الصناعة واستخدام الأرض فى الانتاج على صعيد الريف ، واستخدام الأرض فى السكن على صعيد الحضر ، واستخدام الأرض على كل الأصعدة فى توفير وحسن توزيع الخدمات ٠

وعلى صعيد الأرض ، التى تشهد تعامل الانسان مع الأرض ، وهو يختار المساحة الأنسب ، لانشاء وتاسيس المستوطنة فى الريف أو فى الحضر ، واقامة المساكن وتوزيعها ، يكفل الابداع الحضارى ومتغيراته ، التى تتوالى من عصر الى عصر آخر ، الوسيلة أو الأسلوب

الأنسب لترشيد استخدام الأرض فى السكن أو لتنميته • وقد تتمثل هذه الوسيلة فى مباشرة تخطيط المستوطنة ، أو فى تحسين نمط البناء وتجهيز السكن ، أو فى مباشرة تكنولوجيا البنـاء الأفضل ، أو فى السيطرة على توجهات الاتساع الأفقى وحسن التنسيق بين هذه التوجهات وعلو البنايات والارتفاع الرأسى • بمعنى أن هذا الابداع الحضـارى من شأنه ، أن يطور استجابة الأرض ، أو أن يحسن مستوى الأداء ، أو أن يعمل على الوجهين ، فى وقت واحد ، من أجل تحسين مستوى استخدام الأرض فى السكن •

ويفلح ذلـك كله ، فى تحســين استخدام الأرض فى الاستيطـان والسكنى ، وفى تصعيد استجابة الأرض للانسان وهو يقيم المستوطنـات الريفية (القرى) ، وهو يقيم المستوطنات الحضرية (المدن) ، أو وهو يباشر التوسيع الأفقى أو التوسيع الرأسى فى القرى وفى المدن • ولـكن تبقى الحاجة الى الضابط الحضارى الذى من شأنه ، فى المكان والزمان :

اولا – أن يحول دون نمو المستوطنات نموا عشوائيا وصولا الى حد سوء استخدام الأرض فى السكن •

ثانيا – أن يكفل تحديث المسـاكن ، والاضـافة الى القـرية أو الى المدينة ، دون تجاوزات تطعن فى الجدوى الاجتمـاعية والجدوى الاقتصـادية للسكن ، أو تطعن فى حسن انتفاع الانسـان به ، وهو يعيش فى الريف او وهو يحيا فى الحضر •

ومن ثم قل لا يكون فى وسع الانسان أن يتنـازل أبدا عن الضـابط الحضارى ، وهو يخصص مساحة الأرض المناسبة ، لانشـاء المستوطنة على صعيد الأرياف ، أو لاقامة المستوطنة على صعيد الحضر ، أو وهو ينسق بين اســـتخدام الأرض فى السكن واقامة المستوطنـات المنـاسبة فى جانب ، واستخدام الأرض فى توفـير الخدمات وتجهيز البنية الأسـاسية لحسـاب الاستيطان والاقامة فى القرية أو فى المدينة ، فى جانب آخر • بل قل يبقى

من شأن الضابط الحضارى ، أن يحرس استجابة الأرض للتغير الذى يفضى اليه الابداع الحضارى ، ويعتمد عليه الانسان فى تحسين أوضاع السكن والاستيطان فى الريف أو فى الحضر • كما يتحرى هذا الضابط الحضارى ، توثيق صلة الاستيطان فى القرية وظهيرها الريفى ، وتوثيق صلة الاستيطان فى المدينة واقليم المدينة •

وعلى صعيد الأرض ، التى تشهد قوة فعل الانسان وتعامله مع الأرض ، وهو يختار المساحة فى الموضع الأنسب ، لاقامة الخدمات العامة أو الخاصة فى توزيع جغرافى بديع ، وتجهيزها وعرض انتاجها عرضا مناسبا على حركة الحياة فى المكان والزمان ، يكفل الابداع الحضارى ومتغيراته ، التى تتوالى من عصر الى عصر آخر ، الوسيلة أو الأسلوب الأنسب والأحسن لتنمية استخدام الأرض فى توفير الخدمات • وقد تتمثل قدرات هذه الوسيلة المستحدثة ، فى تحسين مستوى الخدمة ، أو فى اضافة خدمات جديدة ، أو فى اعادة النظر فى انتشار وتوزيع الخدمات جغرافيا على صعيد الأرض • وقد تستحدث هذه الوسيلة أحيانا كل دواعى التوعية أو الاغراء ، التى تزين الانتفاع بهذه الخدمات • بمعنى أن هذا الابداع الحضارى ، من شأنه ، أن يقوى استجابة الأرض ، أو أن يطور مستوى الأداء ، أو أن يعمل على الوجهين ، من أجل تحسين مستوى استخدام الأرض ، لحساب الخدمات •

ويفلح ذلك كله ، فى تحسين مستوى استخدام الأرض وتنمية انتاج الخدمات ، وتصعيد مستوى استجابة الأرض للانسان ، وهو يجهز خدمات البنية الأساسية على صعيد الريف ، أو على صعيد الحضر ، أو وهو يقيم الخدمات التى تجاوب مستويات المعيشة السائدة فى الريف أو فى الحضر • ولكن تبقى الحاجة الى الضابط الحضارى فى المكان والزمان ، الذى من شأنه:

أولا ـ أن يحول التعامل مع الأرض لتوفير خدمات البنية الأساسية ، أو خدمات الحياة اليومية الى حد الاستخدام الجائر •

ثانيا - أن يحرس ويحافظ على حق حركة الحياة على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة ، كل فيما يخصه أو يستحقه فى اطار الأنسب لمستوى المعيشة •

ومن ثم قل لا يكون فى وسع الانسان أن يتنازل أبدا عن الضابط الحضارى ، وهو يستخدم الأرض لحساب الخدمات • ويكون حسن الاستماع لهذا الضابط الحضارى وتوجيهاته المعلنة ، أكثر من مهم وضرورى ، لكى يؤمن حسن الانتفاع بالخدمات ، دون تجاوزات تتسبب فى اهدار قيمة الخدمات أو تطعن فى جدواها الاجتماعية ، أو تسبب فى سوء توزيع حصص الناس من هذه الخدمات • كما يتحرى هذا الضابط الحضارى ، بث روح الوعى الحضارى بين أصحاب المصلحة فى الخدمات ، من أجل حسن استيعاب ناتج هذه الخدمات ، أو من أجل تنمية حسن الانتفاع بهذه الخدمات •

واهمال بعض جوانب الحقيقة الحضارية ومتغيراتها ، على صعيد الناس فى المكان والزمان ، يطعن فى سلامة استخدام الأرض فى توفير الخدمات ، على درب الصواب الحضارى إلى ما هو افضل • وقل أن هذا الاهمال يعنى قبل أى شىء آخر ، غياب الضابط الحضارى ، واهدار قيمته الفاعلة لحساب الانسان ، وتضييع جدواه • بل قل أن هذا الغياب ، الذى يجسد التفريط فى قوة فعل الضابط الحضارى ، الذى يكون فى وسعه أن يبصر ، أو أن يرشد العلاقة ، حتى تبقى حميمة ومتوازنة فى أى مساحة معنية ، وفى أى عصر ، بين استخدام الأرض فى توفير وحسن توزيع الخدمات ، وهو واجب يلتزم به الانسان فى جانب ، والانتفاع بناتج هذا الاستخدام ، وهو حق مشروع للانسان على صعيد الأرض فى جانب آخر • وكأن حضور هذا الضابط الحضارى ، يستوجب الواجب ويلزم به حركة الحياة ، حتى يتأتى استخدام الأرض على المستوى الأنسب ، ويحق الحق ويؤمنه لحساب حركة الحياة حتى يتسنى حسن الانتفاع بناتج هذه الخدمات فى المكان والزمان •

وغياب أو تغييب الضابط الحضارى ، يكون غير مجد ، عندما يتحرى المجتمع الأخذ بالتغيير الحضارى ، من أجل مباشرة استخدام الأرض فى توفير الخدمات فى صحبة الحضور الريفى أو فى صحبة الحضور الحضرى ، أو من أجل مباشرة تحسين مستوى هذا الاستخدام . ويفضى هذا الغياب بقصد أو من غير قصد ، الى وضع خطير ومثير فى وقت واحد ، حيث يتحول هذا الضابط الحضارى من وقفة رشيدة ، وكأنه ديدبان حارس الى جانب حركة الحياة يشد أزرها ويبصرها ، وهى تستخدم الأرض وينسق بين الانتفاع بها فى الانتاج وفى السكن وفى الخدمات ، الى وقفة مضادة ينحاز بموجبها الى صف الضوابط الطبيعية وتحدياتها المعلنة فى مواجهة حركة الحياة .

وهكذا يكون اهمال أو غياب أو تغييب الضابط الحضارى خسارة مؤكدة على حساب حركة الحياة ، حيث يمضى استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، على درب الخطأ الحضارى . وتتداعى عواقب هذا الخطأ الحضارى لكى تتضرر بها الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية لاستخدام الأرض ، ويدفع المجتمع ثمنا باهظا لهذا الخطأ . كما يكون انضمام قوة فعل الضابط الحضارى ، الى صف قوة فعل الضوابط الطبيعية فى مواجهة الانسان وهو يستخدم الأرض ، خسارة على حساب حركة الحياة فى المكان والزمان . والامعان فى الخسارة ، معناه أن تتفاقم التحديات المعلنة ، وأن يفسد التغيير الحضارى افسادا شديدا ، ضد ارادة حركة الحياة ، فى مجالات استخدام الأرض وتطويع مستوى من مستويات الانتفاع بها .

ومشاكل مصر الاقتصادية ، وهى تضغط على الموارد المتاحة وتتخوف من الوصول الى حد الاستخدام الجائر ، وتعانى من خلل شديد بين انتاج يتواضع واستهلاك جائر يتضخم ، تتفاقم فى غيبة الضابط الحضارى . ومشاكل مصر السكنية ، وهى أزمة مستعصية ، تعانى من خلل شديد بين نقصان العرض من السكن ، وزيادة الطلب على السكن ، فى الريف والحضر

على السواء ، تستمر ولا تبشر أى بادرة بانفراج الأزمة ، فى غيبة الضابط الحضارى • ومشاكل مصر الخدمية ، وهى تعلن عن حرمان لا يساير حاجة العصر ، وتعلن عن خلل شديد بين تواضع العرض من انتاج الخدمات وتهافت الطلب عليها ، ولا تجد حلا مناسبا ، تستمر فى غيبة الضابط الحضارى •

ولا شىء يمكن أن يتدارك هذا الخلل ، ويضع حدا لهذه المشاكل التى تفضى فى نهـاية المطـاف الى سوء استخدام الأرض ، غير التماس وحسن توظيف الضابط الحضـارى • وفى وسع وعى يتبغى أن تتحلى به حـركة الحيـاة ، أن تضع الضابط الحضـارى فى الوضع الصحيح مع الضـوابط البشرية الأخرى ، حتى يتسنى سد الفجوة بين العرض والطلب من الانتاج أو من السكن • وقل أن اعادة هـــذا الضابط الحضارى ، وحسن توظيفه بعناية ، هو الذى يرشـد تحسين أوضـاع استخدام الأرض ، حتى يتأتى تجاوز المحنة وانهاء المعاناة ، التى تشقى بها حركة الحياة فى مصر •



هذا ويكون فى وسعنا الآن — على كل حال — أن ندرك بوعى ، معنى أن يبادر الانسان ، وهو يقدم على التعامل ، وأن تجاوب الأرض على هـذه المبادرة فلا تخذل حركة الحياة فى المكان والزمان • وتكون مبادرة الانسان ، وفى يمينه الوسيلة التى يتعامل بها مع الأرض ، وفى صحبته كل الضوابط البشرية ، الاجتماعية والديموجرافية والاقتصـادية والحضـارية ، هى التى تقوى سـاعده وتشد أزره ، وترشد الوسيلة أو تبصر التكنولوجيـا التى يتعامل بها مع الأرض •

وفى مثل هذا الوضع السوى ، يواجه الانسان وفى صحبته الضوابط البشرية ، الأرض وفى صحبتها الضوابط الطبيعية وتحـدياتها المعـلنة ، فى المكان والزمان • وتعجم وسيلة الانسان الأرض ، على صعيد المسـاحة المعنية ، وتلتمس سبل تطويع التحديات الطبيعية المعلنة ، حتى يتيسر لها أن تلين • وتسعف الانسان الضوابط البشرية ، فى انجاز هـذه المهمة ،

حتى تستجيب له الأرض ولا تخذله . وتبقى هـــذه الضوابط البشرية في صفه وعيونها لا تغفل ، لكي تحرس مضى عمليات استخدام الأرض ، التي تجاوب الانسان وتطاوعه ، على درب الصواب ، بل قل تظل هـــذه الضـــوابط الطبيعية وتحدياتها المعلنة في غفلة تكبح جماحها الضـــوابط البشرية . فلا تطعن في العلاقة بين الانســـان والأرض ، ولا تضيع جدوى استخدام الأرض .

ولأن الضوابط الطبيعية ، وتحدياتها المعلنة ضـــد ارادة استخدام الأرض ، وفي وسعها أن تطعن في جدوى هذا الاستخدام ، تتأتى تأسيسا على خواص الأرض والسنن الحاكمة لها ومتغيراتها ، فان هـــذه الضوابط لا تغيب أبدا . بل قل انهـــا لا تستسلم الا اذا كان في وسع الانســـان أن يطوعها . ومع ذلك تبقى هذه الضوابط الطبيعية ، وهي جزء من قوة فعل الأرض التي يواجهها الانسان . وينبغي أن يتحرى الانسان الأسلوب الأنسب للتعامل معهـــا ، حتى يطوعها فتطاوعه ، وتجاوبه الأرض ، وتبيح للانسان حق استخدامها الأنسب ، لحساب الانتاج ، أو لحساب السكن ، أو لحساب الخدمات .

ولأن الضـــوابط البشرية ، وقدراتهـــا الفاعلة مع وسائل استخدام الأرض ، وفي وسعها أن تشد أزر هذا الاستخدام تتأتى تأسيسا على تراكم رصيد من الخبرات والمهارات يفجر الابداعات الحضارية المجددة ، فان هـــذه الضوابط ترافق الانسان ، وتكون في صحبته تشد أزره أحيانا ، وتغيب عن صحبته وتخذله أحيانا أخرى . وقل أن وعي الانســـان بهذه الضوابط البشرية ، وهي نابعة من واقع حياته وأوضـــاعه الاجتماعية والاقتصـــادية والديموجرافية والحضارية على صعيد المســـاحة المعنية في المكان والزمان ، هو الذي يؤمن حضورها في صفه ، لكي تشد أزره ولا تخذله عندما يطوع الأرض فتجاوبه ، ويمضي استخدام الأرض في درب الصواب .

ولأن الضوابط الطبيعية ، وتحدياتها المعلنة ، ضد ارادة استخدام الأرض في المـكان والزمان ، تتـأتى تأسيسا على خواص الأرض والسنن

الحاكمة لها ، وهي قابلة للتغير وتستسلم لدواعي هذا التغيير ، من عصر الى آخر ، فان قوة فعل هذه الضوابط الطبيعية تتغير ، وتتفاوت تحدياتها المعلنة ، دون أن تغيب عن مواجهة الانسان أبدا • بل قل تبقى هذه الضوابط وتحدياتها ، وهى جزء من قوة فعل متغير على صعيد الأرض ، التى يواجهها الإنسان ، ويطلب استمرار التعامل معها واستخدامها ، أو يلتمس غزوها وبداية قصة التعامل معها • وفى ظل هذا التغيير المرتقب من عصر الى عصر آخر ، ينبغى أن يتحرى الانسان الأسلوب الأنسب فى الزمان ، للتعامل مع الأرض • بمعنى أن يمتلك الانسان القدرة على استيعاب التغيير والمحافظة على استجابة الأرض • ومن ثم يتهيأ له فى المكان والزمان ، الاستمرار فى استخدام الأرض وتأمين جدواه اقتصاديا واجتماعيا ، لحساب حركة الحياة •

ولأن الضوابط البشرية وقدراتها الفاعلة مكتسبة تفجرها تحديات الضوابط الطبيعية المعلنة ، ومتغيرة فى ظل ابداع بشرى متغير فى مواجهة تحديات الضوابط الطبيعية المتغيرة من عصر الى عصر آخر ، فانها تعمل فى صف الانسان وتشد أزره لكى يسيطر على الأرض ويمتلك فرص تطويعها • ومع ذلك هناك احتمال غياب الضوابط البشرية عن الوقوف فى صف الانسان ، سواء وهو يتعمد تجاهلها والتفريط فيها أحيانا ، وهو لا يملك الوعى الذى يبقى عليها من غير قصد فى صفه أحيانا أخرى • وويل للانسان الذى يفرط فى وقفة الضوابط البشرية الى جانبه ، أو الذى تغيب عنه وتخذله فيواجه تحديات الضوابط الطبيعية ويفتقد القدرة المناسبة على تطويعها • ثم ويل للانسان مرة أخرى اذا افتقد الوعى بجدوى الضوابط البشرية ، وتعرض لضغوطها وكأنها تعمل ضده • وعندئذ ندرك جيدا كيف يتخبط استخدام الأرض فى غيبة الضوابط البشرية أحيانا ، وكيف يفقد الانسان أحيانا أخرى حق استخدام الأرض •

هذا ، وينبغى أن يكون فى وسع الخبرة الجغرافية ، أن ترقب

أو أن تطالع بعناية ، العلاقة بين الانسان والأرض ، بعين جغرافية مدققة ، تمـلك القدرة على التحليل والتركيب • كما ينبغى أن تتقن هــذه العين الجغرافية وتجيد تقويم وقفة الانسان فى مواجهة الأرض فى المكان والزمان• وتضع العين الجغرافية فى حسابها ، أن تعرف كل شىء عن خواص الأرض وعن الضوابط الطبيعية ، وهى التى تتغير من فصل الى فصل آخر أو من عصر الى عصر آخر ، ولكنها فى جميع الأحوال لا تغيب أبدا عن العمل بقوة فعل مناسب فى صف الأرض التى يواجهها الانســان ويلتمس علاقة معهــا يبدأ بموجبها استخدامها وتسخيرها ، أو يلتمس تطوير علاقة معها ، يتطور بموجبها هذا الاستخدام وهذا التسخير •

وتضع العــين الجغرافية فى حسابها أيضــا ، أن تعرف كل شىء عن الانسان وأوضاعه ، وعن الضوابط البشرية وهى التى تتغير من حين الى حين آخر ، وتجــاوب مكتسبات التطور الحضــارى • وينبغى أن تتحــرى حضور الضوابط البشرية فى صف الانسان وكيف تشــد أزر التعامل مع الأرض حتى تجاوبه حسب مستوى وسيلته التى يسخر بها الأرض • كما يجب أن تتحرى أيضا غياب الضوابط البشرية أحيــــانا بقصد أو من غير قصد ، وكيف يخذل غيابها الانسان وهو يتعامل مع الأرض ، حتى يتخبط استخدام الأرض ويبلغ حد الامتناع عن الاستجابة •

وهكذا نفهم جيــدا مسئولية الاجتهاد الجغرافى ، وهو يتــابع بمهارة قضية استخدام الأرض • ويــكون الجغرافى من خــلال القــدر المناسب من التقويم الجغرافى ، الذى يحكم على وضع الانســـان فى مواجهة الأرض التى يلتمس استخدامها ، أو التى يلتمس تطوير استخدامه لها ، مسئولا عن :

أولا ـ التمعن والتـــدقيق فى وقفة الانســــان فى مواجهة الأرض ، والتماس استعدادات وسائله وقوة فعلها • ويتمادى هذا التدقيق فى تحرى حضور أو غياب الضــــوابط البشرية عن الوقوف فى صفه فتشــد أزره

أو تخذله فى مواجهة الضـوابط الطبيعية وتحدياتها المعلنة ، وهو يتعامل مع الأرض فعـلا أو وهو يقـدم على التعـامل معها • ويفضى هـذا التدقيق والتمعن الى حسن التقويم وبيان ما ينبغى أن يوصى به الجغرافى ، لتعـديل أوضاع الانسـان فى المواجهة وتلافى أسباب ودواعى العجز ، أو ما ينبغى أن يوصى به لشحذ قوة فعل الانسـان وصولا الى حد الاستجابة الأفضل ، عندما يستخدم الأرض أو عندما يلتمس تطوير الاستخدام •

ثانيا ـ التمعن والتـدقيق فى وقفة الأرض فى مواجهة الانسـان ، والتماس خواصها ومواصفاتها واستعداداتها للاستجابة والعطاء ، وتحرى قوة فعل كل الضوابط الطبيعية الحاكمة ، التى لا تغيب عن العمل فى صف الأرض عندما يقدم الانسان على استخدامها وتسخيرها • ويفضى هذا التمعن والتدقيق الى حسن التقويم ، وبيان ما يمكن أن يوصى به الجغرافى ، وكأنه يفضح الضوابط الطبيعية فى المكان والزمان ، حتى يكون فى وسع الانسان ادراك حجم التحدى المعلن الذى تبديه الأرض • كما يكون الرأى الجغرافى ، مسئولا عن ترشيد الابداع الحضارى الذى يتعين توظيفه فى التعـامل مع الضوابط الطبيعية ، وصـــولا الى تطويع الأرض ، وتأمين حد الاستجابة الأفضل لحساب الانسان فى طلب الانتاج أو فى طلب السكن أو فى طلب الخدمات •



الفصل الثالث

الاجتهاد الجغرافى ودراسة أنماط استخدام الأرض

- مفهوم استخدام الأرض فى عيون جغرافية
- استخدام الأرض فى الانتاج
- استخدام الأرض فى توطين الصناعة •
- استخدام الأرض فى السكن واقامة المستوطنات
- استخدام الأرض فى توفير وتوزيع الخدمات •

الفصل الثالث

الاجتهاد الجغرافى ودراسة استخدام الأرض

يعتنى علم الجغرافية دائما ، بدراسة الأرض وخواص المنظور الجغرافى الطبيعى على صعيد المساحة المعنية • وتتحرى هذه الدراسة الجغرافية بالضرورة ، أن تكون هذه الدراسة ، لحساب حركة حياة الانسان على صعيد الأرض • بمعنى أن تكون الدراسة الجغرافية هادفة ، وهى تحسن عرض الرؤية الجغرافية الواضحة للأرض ، بوصفها المسرح الذى يشهد وجود الانسان ، ويسجل أنشطته • ومن ثم قل أن علم الجغرافية يتجنب دراسة الأرض الفارغة ، التى لا يتيسر وجود الانسان فى ربوعها • ومع ذلك لا يتردد علم الجغرافية فى القيام بهذه الدراسة على صعيد الأرض الفارغة ، كما استشعر حاجة الانسان لغزو وتعمير هذه الأرض ، ومباشرة العلاقة التى تبشر باستخدام الأرض والانتفاع بها •

ويعتنى علم الجغرافية أيضا ، بدراسة الانسان وخواص المنظور الجغرافى البشرى ، على صعيد المساحة المعنية من الأرض • وتتحرى هذه الدراسة الجغرافية بالضرورة ، أن تكون الدراسة مسئولة عن حسن تعقب وجود الانسان على صعيد الأرض • بمعنى أن تكون الدراسة الجغرافية هادفة ، وهى تحسن عرض الرؤية الجغرافية لنبض وأداء الانسان على المسرح ، الذى يشهد وجود الانسان ويسجل أنشطته • ومن ثم قل أن علم الجغرافية يتجنب دراسة الانسان وهو منفصل الصلة والسبب عن الأرض التى تحتويه فى ربوعها • ومع ذلك لا يتردد علم الجغرافية عن القيام بهذه الدراسة للانسان عندما يعلن عن ارادة غزو الأرض الجديدة والتماس العلاقة التى تبشر باستخدام الأرض بعد تطويعها •

وعلم الجغرافية الذى يتدارس الأرض لحساب الانسان ، ويتدارس الانسان وجوده ونشاطه على صعيد الأرض ، لا يكاد يستحدث شيئا عندما يعكف على دراسة استخدام الأرض ، ويتقصى العلاقة الوثيقة وتوجهاتها المتباينة ، التى تسفر عن استخدام الأرض ، فى المكان والزمان ، وتطويعها التطويع المناسب ، لحساب الانسان ووجوده الذى تنبض به الأرض · ومع ذلك ، فان الجديد الذى تستحدثه الجغرافيـة المعاصرة بالفعل ، ويتمثـل فى صياغة المتهج الأنسب ، الذى يوغل به البحث الجغرافى عمقا وتدقيقا ، فى دراسة أنمـاط استخدام الأرض ، وتحـديد مستوى هـذا الاستخدام وحساب جدواه اقتصاديا واجتماعيا ، لحساب الانسان ، ومن خـلال مهارة وحسن أداء الانسان فى المكان والزمان ·

مفهوم استخدام الأرض فى عيون جغرافية

ومن خـلال المنهج الأنسب ، تلتمس الجغرافية المعـاصرة ، الاقتراب وتقصى العـلاقة بين الانسـان والأرض ، فى المكان والزمان · وتكشف الدراسة الجغرافية أول ما تكشف وتعتنى به ، مبـلغ التنوع فى استخدام الأرض · ذلك أن الأرض تسخر والموارد المتـاحة فيها تكفل الانتاج ، وأن الأرض تسخر وصعيدها المناسب يكفل انشـاء المستوطنات وتأمين السـكن والمأوى ، وأن الأرض تسخر ، ووجود حركة الحياة على صعيدها ، يستوجب توفير الخدمات التى تتنعم بهـا · ولا ينبغى أن تهمل الدراسـة الجغرافية أبدا ، أى وجه من أوجه هذا الاستخدام المتنوع على صعيد الأرض ·

وتتعقب الدراسة الجغرافية ، هـذه الأنماط المتنوعة من استخدامات الأرض فى المـكان والزمان · ومن خـلال تخلى الباحث الجغرافى بمهـارات التحليل وتفكيك أوصال الصورة الجغرافية على صعيد الأرض ، وبمهارات التركيب وتجميع أجزاء هذه الصورة الجغرافية على صعيد الأرض ، فى وقت واحد ، تلتمس الدراسة الجغرافية وهى تطل على أنماط استخدام الأرض :

أولا ـ وضوح رؤية دور الانسان الوظيفى ، وهو يتعامل مع الأرض ،

والكيفية التى يتسنى له بها فى المكان والزمان ، أن يواجه الأرض فيطوعها حتى تجاوبه ٠

ثانيا - وضــوح رؤية خواص الأرض الطبيعية ، وهى محل اهتمـام الانسان ، والكيفية التى يتسنى لها فى المكان والزمان ، أن تواجه الانسان حتى يطوعها ويمكن لوجوده فى ربوعها وتجاوبه ٠

وفى اطار التــزام جغرافى حقيقى ، بقــاعدة الضبط والانضــباط المتبادل ، يدرك الاجتهاد الجغرافى جيــدا ، معنى المواجهة بين خواص الأرض وقوة فعل هذه الخواص وهى مســئولة عن الضوابط الطبيعية فى جانب ، وقدرات الانســان ورصيد مهــاراته المتراكمة وتكنولوجيته المتطــورة ، وهى مسئولة عن الضوابط البشرية ٠ بمعنى أن يلتمس الاجتهــاد الجغرافى بموجب هذا الادراك ، دور الأطرافالمعنية ، فى اطار علاقة وثيقة وحميمة ، بين الانسان وهو الحريص على تطويع الأرض وتأمين حق وجوده فى ربوعها والانتفاع بها فى جانب ، والأرض فى المكان والزمان ، وهى تطاوع من يكون فى وسعه أن يعرف خواصها ويحسن التعامل معها وتسخيرها لهدف يبتغيه حتى تجاوبه ولا تخذله أو تقتر عليه فى جانب آخر ٠

وقاعدة الانضباط والضبط المتبــادل ، التى تعنى أن الأرض تضبط وتنضبط وأن الانســــان يضبط وينضبط ، تمثل محور الاقدام الجغــرافى على تقصى العــلاقة بين الانســان والأرض فى مجــالات استخدامات الأرض المتنوعة ٠ ومع ذلك يبقى الاجتهاد الجغرافى حريصا على ما يلى :

أولا - القاء مسئولية اقامة العــلاقة بين الانسان والأرض على كاهل الانسان وحده ٠ وقل أن الانســان هو الذى يسأل الأرض ويقترب منهــا ويعجم عودها وينتظر الاجابة منهــا ٠ وعلى الانســان حسن اختيار الأرض التى يسألها ٠ وعلى الانسان وحده ، حق القــاء السؤال على الأرض لــكى تجاوبه ٠

ثانيا - القاء مسئولية القبول بالعلاقة مع الانسان ، على كاهل الأرض وحدها • وقل أن الأرض هى التى تجاوب الانسان وترد عليه فى وسعها أن تجاوب أحيانا ، وفى وسعها أن تسكت أحيانا أخرى • وليس على الأرض حرج أبدا عندما تسكت ولا ترد على الانسان وتكون وكأنها ترفض وجوده •

ويقدم الاجتهاد الجغرافى الذى يعتنى بدراسة العلاقة بين الانسان والأرض ، وهو على استعداد لمباشرة العمل الجغرافى التطبيقى • وقل أنه يتحرى تعقب الأنماط المتباينة من استخدامات الأرض ، والتماس حسن تصنيف وتحليل وترتيب هذه الأنماط من خلال العمل الجغرافى التطبيقى ، على صعيد المساحة المعنية من الأرض • بل قل أنه فى اطار هذا التصنيف ، يميز الاجتهاد الجغرافى بين :

١ - استخدامات الأرض التى تجاوب الهدف الاقتصادى الانتاجى ، لحساب الانسان ، فى ربوع المساحة المعنية • ويتوجه الفعل البشرى لتطويع الأرض وهو حريص على التصالح معها ، وتأمين استجابتها • ثم يتوالى بذل الجهدوتوظيف الوسيلة وتسخير التكنولوجيا المناسبة لكل شكل من أشكال التعامل مع موارد الأرض • ويسفر هذا الاستخدام عن انتاج المواد الخام فى شكلها الأولى ، أو عن انتاج المواد المصنعة فى الشكل المناسب للاستهلاك البشرى • ولأن هذا هو الشغل الشاغل الذى يشغل اهتمام الباحث الجغرافى المتخصص فى الجغرافية الاقتصادية ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى الأخذ بتحفظ شديد من معين هذا التخصص دون تعارض بين اهتمام الدراسة الجغرافية الاقتصادية بالانتاج والاستهلاك ، واهتمام الدراسة الجغرافية باستخدام الأرض فى مجالات الانتاج الأولى أو الثانى •

٢ - استخدامات الأرض ، التى تجاوب الهدف الاجتماعى الاستيطانى ، لحساب الانسان ، فى ربوع المساحة المعنية • ويتوجه الفعل

البشرى ، لتطويع الأرض ، وهو حريص على اختيارها والتصالح معها ، وتأمين استجابتها • ثم يتوالى بذل الجهد ، وتوظيف الوسيلة ، وتسخير التكنولوجيا المناسبة ، لكل شكل من أشكال اقامة المستوطنات البشرية ، على صعيد الأرض • ويسفر هذا الاستخدام عن اقامة المستوطنة على الصعيد الريفى ، أو عن اقامة المستوطنة على الصعيد الحضرى ، لحساب الاستيطان والانتفاع بالسكن والتنعم بالمأوى • ولأن هذا هو الشغل الشاغل ، الذى يشغل اهتمام الباحث الجغرافى المتخصص فى جغرافية السكن ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى الأخذ بتحفظ شديد من معين هذا التخصص دون تعارض بين اهتمام جغرافية السكن بالاستيطان فى القرية أو فى المدينة ، واهتمام استخدام الأرض ، بالاستيطان على صعيد الريف فى القرية أو على صعيد الحضر فى المدينة •

٣ ـ استخدامات الأرض ، التى تجاوب الهدف الاجتماعى الحضارى ، لحساب الانسان ، فى ربوع المساحة المعنية • ويتوجه الفعل البشرى ، لتطويع الأرض ، وهو حريص على اختيارها والتصالح معها ، وتأمين استجابتها • ثم يتوالى بذل الجهد ، وتوظيف الوسيلة ، وتسخير التكنولوجيا المناسبة ، لكل نوع من أنواع الخدمات ، على صعيد الأرض • ويسفر هذا الاستخدام عن انشاء وتوزيع الخدمات فى أحضان المستوطنات الريفية أو المستوطنات الحضرية ، وتأمين حق الفرد وحق الجماعة فى التنعم بهذه الخدمات التى تجاوب مكانته الحضارية ، وهو يرسخ سيادته على الأرض • ولأن هذا هو الشغل الشاغل ، الذى يشغل اهتمام الباحث الجغرافى فى جغرافية الخدمات ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى الأخذ بتحفظ شديد ، من هذا التخصص ، دون تعارض بين اهتمام جغرافية الخدمات فى ربوع الريف والحضر ، واهتمام استخدام الأرض بتوفير وحسن توزيع الخدمات لحساب أهل الريف فى القرى ، أو لحساب أهل الحضر فى المدن •

هذا ، ويعد اتساع القاعدة على صعيد الأرض لكى تشمل هذه

الأنماط المتنـوعة من إستخدامات الأرض ينبغى أن نطل بعين جغرافية على هـذه الأنماط ، وأن ندقق فى كنه وماهية كل نمط من أنماط استخدام الأرض ؛ وصولا الى تحرى أوضاع الطرفين الشريكين فى مسألة استخدام الأرض ٠

* * *

استخدام الأرض فى الانتاج :

استخدام الأرض فى الانتاج ، معناه أن يتعامل الانسان معها التعامل المناسب وتجاوبه ٠ وينبغى أن يبادر الانسان أولا الى اختبـار استعدادات الأرض ، وتحديد مبـلغ قابليتهـا لأن تكشف عن مصـادر الثروة الكامنة فيها ٠ وهناك وسائل متنوعة ، تسعف هذا الاختبار ، على صعيد الأرض ٠ وكانت هذه الوسائل فى الماضى بدائية ، ولكن التطور الحضارى والاضافات العلمية ، توفر فى الوقت الحاضر الوسائل المتقـدمة ، للكشف عن خواص الأرض وعن المصـادر الكامنة فيها ٠ ومن خـلال هـذا التوظيف الحسن للوسـائل المستخدمة ، أصبح فى وسع الانسـان ، أن يميز بثقة ، بين الأرض القابلة التى تجاوب الانسان وتعطيه ، والأرض غـير القـابلة التى لا تجاوب تعامل الانسان معها وتخذله ٠

وتوجه الانسـان الى التعامل مع الأرض التى تعلن عن اسـتعدادها الفورى للاستجابة ، يسبق التوجه الى التعامل مع الأرض التى تستوجب شيئا من التطويع أو الاصـلاح حتى تطـاوعه ٠ ثم تبقى عين الانسـان وهى لا تغفل عن الأرض غير القابلة ، فى انتظار التطور الحضارى والابداع أو الاضافة المستحدثة التى يكون فى وسعها أن تحول الأرض غير القـابلة الى أرض قابلة ، حتى يتسنى غزو هـذه الأرض ومباشرة التعامل معها ٠ بمعنى أن هنـاك الاحتمال الذى تقوى فيه الوسـائل المتطورة ، سـواعد

الانسان وهو يباشر توسيع قاعدة المساحات التى يتعامل معها ، فيسخرها ويستخدمها لحساب الانتاج .

وكان صلاحية الأرض أو قابليتها للاستخدام ، تكون على ثلاثة مراتب متباينة . ومن شأن استعدادات الانسان وهو يواجه هذه الأرض ، أن تتفاوت بالقدر المناسب للتفاوت بين هذه المراتب المتباينة . بمعنى أن يدرك الاجتهاد الجغرافى الفرق بين :

مواجهة الانسان للأرض التى تعلن عن استعداد فورى للاستجابة ،

مواجهة الانسان الأرض ، التى تستوجب شيئا مناسبا من التطويع ،

ومواجهة الانسان للأرض التى يلتمس تخويلها من عدم القابلية الى القابلية .

وفى كل مرتبة من مراتب هذه المواجهة ، يتحمل الانسان مسئوليات الضبط والانضباط المتبادل ، وصولا الى حد الاتفاق الذى يستبيح به حق استخدام الأرض ، وهو مطمئن تماما الى الاستجابة ، وأن هذه الأرض لن تخذله .

ولان الانسان هو الذى يعجم عود الأرض ، وهو الذى يواجه الضوابط الطبيعية ويحدد أبعاد الضبط والانضباط المتبادل على صعيد مراتب الأرض المتباينة ، وهو الذى يحسب حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية يبقى مسئولا عن :

أولا - المحافظة على حيوية المعين ، وحسن التعامل مع الأرض ، وتامين استجابة الموارد التى لا تنضب . وقل أن هذه المحافظة تعنى فيما تعنى ، شيئا مناسبا من التوازن بين العناية التى تبقى وتجدد حيوية المورد من ناحية ، والاستخدام المناسب الذى لا يجور فيحمل الأرض ضغطا فوق طاقتها من ناحية أخرى . بل قل أن التفريط فى هذا التوازن ، والأخذ بأسباب الاستخدام الجائر ، واهمال تجديد حيوية المعين ، يجسد أسوأ معانى الافساد فى الأرض . ويطعن هذا الافساد ، فى صميم العلاقة بين الانسان والأرض ، حتى ينضب المعين وتكف الأرض عن الاستجابة .

ثانيا – المحافظة على حيــوية المعين ، وحسن التعـامل مع الأرض ، استجابة الموارد التى تنضب وتكف عن العطاء بعـد مضي العمر الافتراضى المحدود · وقل أن هذه المحافظة تعنى فيما تعنى ، شيئا مناسبا من العناية بالتوازن ، بين الكم المحسوب من الثروة الكامنة وحساب العمر الافتراضى لاستمرار الاستجابة من ناحية ، والاستخدام المناسب الذى لا يجور فيحمل الأرض ضغطا فوق طاقتها من ناحية أخرى · بل قل أن التفريط فى هــذا التوازن ، والأخذ بأسباب الاستخدام الجائر ، واهمال تأمين السحب الذى لا يتجاوز حد المحافظة على حساب العمر الافتراضى ، يجســد أسوأ معــانى الافساد فى الأرض · ويطمن هذا الافساد ، فى صميم العلاقة بين الانسان والأرض ، ويعجل باستنزاف المعين ، حتى ينضب قبـــل الأوان ، وتكف الأرض عن الاستجابة ·

ومن شان الاجتهاد الجغرافى ، أن يدقق فى موقف الانسان وهو يبادر بسؤال الأرض ، ثم وهو يواجه خواص الأرض والضوابط الطبيعية وصولا الحد الأنسب للضبط والانضباط المتبادل · وفى مجال تقصى حقيقة سؤال الانسان الأرض أن تجاوبه ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى الاستماع الى الردود الصادقة عن أسئلة كثيرة تســأل عن كيف ومتى ولماذا يقــدم الانســان على سؤال الأرض وكأنه يخطب ودها · وتسعف الاجتهاد الجغرافى وترد عليه ، الدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع ، والدراســة الوثائقية والاطلاع على المصادر والدراسة الميدانية وحسن قراءة نتائج العمل الجغرافى العملى ·

وفى مجال تقصى مبلغ نجاح الانسان فى مواجهة الأرض ، وتطويع المعين بعد بلوغ الحد الأنسب للضبط والانضباط المتبــادل ، يلتمس الاجتهــاد الجغرافى مرة أخرى الاستماع الى أســئلة كثيرة أخــرى تسال عن وســائل ومهارات وتكنولوجيا الانسان التى توظف حتى يتسنى له تطويع الأرض ، ووضع أسس العلاقة بينه وبين الأرض · وتسعف الاجتهاد الجغرافى ، وترد عليه مرة أخرى ، الدراسة المكتبية والاطلاع على المراجع ، والدراسة الوثائقية

والاطلاع على المصادر ، والدراسة الميدانية وحسن قراءة نتائج العمل الجغرافى العملى على صعيد الأرض ٠

ثم يواصل الاجتهاد الجغرافى بعد ذلك كله ، تحليل الصورة الجغرافية للنمط السائد من استخدام الأرض فى الانتاج ٠ ومن خلال هذا التحليل الجغرافى ، يسأل الاجتهاد الجغرافى أسئلة كثيرة ، ويلتمس الاجابة من الطرفين الشريكين فى العلاقة التى يتحقق بها استخدام الأرض ٠ ويوجه الاجتهاد الجغرافى أسئلة كثيرة ، وكأنه يسأل الأرض عن خواصها وعن السنن الحاكمة لها ، وعن الضوابط الطبيعية ومتغيراتها على المدى القصير ، وعلى المدى الطويل ٠ ويوجه الاجتهاد الجغرافى أسئلة كثيرة أخرى ، وكأنه يسأل الانسان عن قدراته ومهاراته وعن تكنولوجيته ، وعن الضوابط البشرية وهى تشد أزره أو وهى تخذله ، فى مواجهة الأرض فى المكان والزمان ٠ وفى الدراسة الميدانية التى يباشرها الجغرافى وهو صاحب مهارة فى التحليل والتركيب ، يجيد المتلقى جمع الردود والاجابات على هذه الأسئلة ٠

وتسعف هذه الردود الجغرافى ، فى تقصى مستوى أداء الانسان وهو يجنى ثمرات استخدام الأرض فى الانتاج ، وفى تقصى مبلغ استجابة الأرض ، وهى تطاوع الانسان ولا تخذله أو تبخل عليه ٠ ويعقب الاجتهاد الجغرافى فى هذا التقصى ، بسؤال يسأل عن مبلغ استعداد الأرض ، للمضى على درب الاستجابة لوسائل وتكنولوجية الانسان التى فى وسعها أن تتطور ٠ كما يعقب الاجتهاد الجغرافى على هذا التقصى مرة أخرى ، بسؤال يسأل عن مبلغ الحاح الانسان ، فى المضى على درب الابداع العلمى الحضارى ، فى مجال تطوير الأداء فى طلب الانتاج الأفضل كما وكيفا ٠

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطالع صور استخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى ، حسن التميز بين الصور التى تصور الزراعة البدائية والصور التى تصور الزراعة الراقية الكثيفة أو الواسعة ، والصور

التى تصور الزراعة العلمية المتطورة • وفى كل صورة من هذه الصور ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، مهارات الانسان ومستوى أدائه وتعاملة مع الأرض من ناحية ، وخواص الأرض ومبلغ إستعدادها للإستجابة لوسائل الانسان من ناحية أخرى • بل قل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، تقصى نتيجة المواجهة بين الانسان وهو يسأل الأرض ، والأرض وهى تجاوبه ، وكيف تعلن عن الحد الذى انتهى اليه أمر الضبط والانضباط المتبادل بينهما • وفى الوقت الذى يحسب فيه الاجتهاد الجغرافى حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، يتحرى مبلغ استعداد الانسان لتغيير مستوى تعامله مع الأرض ، ومبلغ استعداد الأرض للاستجابة لهذا التغيير •

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطالع صور أستخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى ، حسن التمييز مرة أخرى ، بين الصور التى تصور زراعة المحاصيل الحقلية ، والصور التى تصور زراعة المحاصيل البستانية • وفى كل صور من هذه الصور ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، الضوابط الحاكمة لهذا التنويع ، ومبلغ العناية بحسن التنسيق بين المحاصيل الحقلية والمحاصيل البستانية ، على صعيد الأرض المنزرعة • بمعنى أن يسأل الاجتهاد الجغرافى أسئلة كثيرة تسأل عن معنى ومغزى التنوع ، وتسأل عن مبلغ سلامة الجمع والتنسيق والتعاقب بين أنواع المحاصيل الحقلية فى التركيب المحصولى • وتسعف الاجابات التى تجيب على هذه الأسئلة ، الجغرافى فى حساب الجدوى الاقتصادية والاجتماعية • لصورة استخدام الأرض فى مباشرة الانتاج الزراعى • كما تمهد لرأى جغرافى مناسب يبلور التوصيات التى فى وسعها أن توصى باجراء التعديل فى التركيب المحصولى ، أو باستحداث محصول واحلال محصول آخر فى التركيب المحصولى ، أو باستحداث محصول جديد ووضعه فى موضعه الصحيح بين المحاصيل فى التركيب المحصولى •

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى وهو يطالع صور استخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى ، حسن التمييز مرة ثالثة ، بين الصور التى تصور توظيف الزراعة فى خدمة الحيوان ، والصورة التى تصور توظيف الحيوان فى خدمة الزراعة • وفى كل صورة من هذه الصور ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى معنى ومغزى هذا التباين بين حصة المحاصيل العلفية فى اطار التركيب المحصولى• ولا تفوته حساب الجدوى الاقتصادية والاجتماعية التى تعلن عنها كل صورة من هاتين الصورتين • وأسئلة كثيرة يلتمس الاجتهاد الجغرافى الاجابات عنها ، لكى يدقق فى الفرق بين القيمة المضافة لعائد الانتاج الزراعى والحيوان فى خدمة الزراعة ، والقيمة المضافة لعائد الانتاج الحيوانى والزراعة فى خدمة الحيوان • وتسعف هذه الاجابات الرأى الجغرافى الذى يبلور التوصية المناسبة ، التى فى وسعها أن تبصر مسألة تحسين مستوى العلاقة بين الزراعة والحيوان من أجل تحسين مستوى استخدام الأرض فى طلب الانتاج الزراعى والحيوانى •

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطالع صور استخدام الأرض فى طلب الانتاج الحيوانى ، حسن التميز بين الصور التى تصور الصيد فى البر والبحر ، والصور التى تصور اقتناء الحيوان وتربيته • وفى كل صورة من هذه الصور ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، مهارات الانسان وخبراته ومستوى أدائه وتعامله مع الثروة الحيوانية فى البر والبحر من ناحية ، وخواص المرعى والمصايد على صعيد الأرض ، ومبلغ استعدادها للاستجابة لوسائل الانسان من ناحية أخرى • وقل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، تقصى نتيجة المواجهة بين الانسان وهو يسأل صيد البر والبحر[1] ، أو وهو يسأل

---

(١) تمثل السفينة ، وسيلة الانسان التى أبدعها فى ظل الضبط والانضباط المتبادل وهو يواجه البحر ، والانتفاع بعطائه • وبداية من توظيف الزورق الصغير فى استخدام مضايد المياه الضحلة ، الى توظيف السفينة الكبيرة فى استخدام مصايد المياه العميقة فى عرض البحر ، يدرك الاجتهاد الجغرافى معنى ومغزى مسئولية الانسان عن تغيير وتطوير مستوى استخدام المصايد على صعيد الأرض •

اقتناء الحيوان على صعيد المراعى(١) ، أو وهو يخمل الزراعة مسئولية تربية الحيوان وتربية الأسماك فى جانب ، أو وهو يستبأل الأرض على صعيد البحر ، أو الأرض على صعيد المراعى وهى تجاوبه فى جانب آخر .

بل قل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، كيف تعلن هذه المواجهة بين الانسان والأرض ، عن الحد الذى ينتهى اليه أمر الضبط والانضباط المتبادل بينهما حتى تكون العلاقة التى تيسر للانسان الحق فى استخدام الأرض والانتفاع بعطائها . وفى الوقت الذى يحسب فيه الاجتهاد الجغرافى ، حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، لمحصلة هذا الاستخدام ، يتحرى مبلغ استعداد الانسان لتطوير وسائله وتنمية تكنولوجيته وتغيير مستوى تعامله من أجل الانتاج الأفضل ، ومبلغ استعداد الأرض للاستجابة لهذا التغيير دون اعراض أو اعتراض على التمادى فى طلب الحصول على الانتاج الحيوانى الأفضل .

واذا كان الاجتهاد الجغرافى فى حاجة الى طرح أسئلة كثيرة ، لكى يحلل ما تعلن عنه صور الرعى على كل مستوياته ، فهو فى حاجة الى طرح أسئلة أكثر وتقصى حقائق متنوعة ، لكى يحلل ما تعلن عنه الصور التى تتولى فيها الزراعة مسئولية اقتناء الحيوان وتربيته . وفى ظل القدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل ، يكون اختيار الحيوان الأنسب الذى يلتحق بالزراعة وهو فى خدمتها ، وتكون العلاقة بين الزراعة والحيوان هى علاقة بين المخدوم والخادم . وفى ظل نفس القدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل ، يكون التدقيق فى الاختيار الأنسب للحيوان الذى تتبناه الزراعة وهى فى خدمته . وتكون العلاقة بين الحيوان والزراعة ، هى علاقة تضع

---

(١) يجسد الاختيار والاستئناس والترويض ، وسيلة الانسان التى أبدعها فى ظل الضبط والانضباط المتبادل ، وهو يواجه المراعى وطلب الانتاج بالحيوان . وبداية من مباشرة الرعى البدائى الى مباشرة الرعى التقليدى ، ثم الى مباشرة الرعى الاقتصادى المتطور ، يدرك الاجتهاد الجغرافى ، معنى ومغزى مسئولية الانسان عن تغيير مستوى استخدام المراعى .

الزراعة فى خدمة الحيوان وصــولا الى الحد الأقصى من الجدوى الاقتصــادية والجدوى الاجتماعية(١) ، فى استخدام الأرض والانتفاع بها ٠

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطالع صـــور استخدام الأرض ، فى طلب الانتاج الغابى ، حسن التمييز ، بين الصور التى تصــور غرس الأشجار فى ربوع البساتين ، والصور التى تصور دور الزراعة فى احلال الأشجار المنتخبة محل الغابات المدارية ، والصور التى تصور دور الزراعة فى المحافظة على الغابات البـــاردة ، وتأمين استمرار انتاجها ٠ وفى كل صورة من هذه الصور ، يلتمس الاجتهــاد الجغرافى ، التــدقيق فى مهارات الانسان وخبــراته ومستوى أدائه وتعامله مع الثروة الغــابية من ناحية ، والتدقيق فى خواص الأرض والنمو الشجرى ومبلغ استعداداتها للاستجابة لوسائل الانسان من ناحية أخرى ٠ وقل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، تقصى نتيجة المواجهة بين الانسان وهو يسأل حق الانتفاع بالشجرة فى البستان او فى الغــابة على صعيد الأرض فى جانب ، والأرض التى تضم البســاتين او التى تزخر بالأشجار فى جانب آخر ، وهى تجاوب الانسان ولا تخذله ٠ بل قل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، كيف تعلن هذه المواجهة بين الانســان والأرض ، عن الحد الــذى ينتهى اليه أمر الضبط والانضــباط المتبــادل بينهما ، حتى تــكون الحالة التى تيسر للانســان الحق فى استخدام الأرض والانتفاع بمعين الثروة الغابية ٠

وفى الوقت الذى يحسب فيه الاجتهاد الجغرافى ويدقق فى ، حســاب الجــدوى الاقتصــادية والجــدوى الاجتمــاعية ، لمحصلة هـــذا الاستخدام ، يتحرى أيضا مبلغ استعداد الانســان لتطوير وســائله وتنمية تكنولوجيته وتغيير مستوى تعامله مع الأشجار على صعيد الأرض فى ربوع البســاتين أو فى ربوع الغابات ، من أجل الانتاج الأفضل ، ومبلغ استعداد الأرض

---

(١) يجسد التمادى فى حسن اختيار الحيوان ، وتحميل الزراعة مسئولية تربية الحيوان والعناية بالانتاج الحيوانى النوعى المتخصص ، وسيلة الانسان التى أبدعتهـا فى ظل الضبط والانضباط المتبادل ، لبلوغ الحد الأقصى فى تحسين مستوى الانتاج الحيوانى ٠

والنمو الشجرى للاستجابة لهـــذا التغيير ، دون إعراض أو اعتراض على التمادى فى طلب الحق المشروع والحصول على الانتاج الشجرى الأفضل ٠

وإذا كان الاجتهاد الجغرافى فى حاجة الى طرح أسـئلة كثيرة ، لـكى يحلل ما تعلن عنـه عمليـــات الزراعة وهى مسـئولة عن غرس الأشجار فى المزارع الواسعة ، أو لكى يحلل ما تعلن عنه عمليـــات الزراعة وهى مسئولة عن المحافظة على الأشجار وتجـــديد حيوية الوجود الغابى ، فهو فى حاجة الى طرح أسئلة أكثر وتقصى حقائق متنوعة ، عن حتمية المحافظة على التـــوازن بين صيانة الأرض وتجنب الافســـاد فى الثروة الغـــابية من ناحية ، وتأمين الحق فى غرس الأشجار أو فى تجديد الحيوية لتأمين المحافظة على الغابات من ناحية أخرى ٠

وفى ظل القدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، الذى يحسب حسابه الاجتهاد الجغرافى ، يكون اختيـــار الشجرة الأنسب التى تعتنى بها الزراعة على صعيد البساتين أو فى المزارع الواسعة ، وتكون العـــلاقة بين الزراعة والأشجار فى البســـاتين أو فى الغابات ، هى علاقة جدوى اقتصادية واجتماعية متبادلة ٠ وفى ظل القـــدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، يكون تحرى علاقة انتقال الزراعة ومعها الخبرة والتجربة ومراكز البحوث الى مواقع الغابات لكى تحافظ عليها ، وتؤمن تجديد حيويتهـــا وعطائها ، هى علاقة جـــدوى اقتصادية واجتماعية متبادلة ، لحساب حركة الحياة ٠

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يطالع صـــور استخدام الأرض ، فى طلب الانتاج الحجرى ، حسن التمييز ، بين الصـــور التى تصـــور قطع الأحجار أو التحجير بأساليب تقليـــدية ؛ والصور التى تصور قطع الأحجار أو التحجير بأساليب مستحدثة ومتطورة ٠ وفى أى من هاتين الصـــورتين ، يلتمس الاجتهاد الجغرفى ، التدقيق فى مهارات الانسان وخبراته ومستوى أدائه وتعـــامله مع التراكيب الصخرية من ناحية ، والتـــدقيق فى خواص الأرض ونوع التراكيب الصخرية ، ومبلغ استعداداتها للاستجابة لوسائل

الانســـان من ناحية أخرى • بمعنى أن يتقصى الاجتهـاد الجغرافى نتيجة المواجهة الايجابية فى المكان والزمان ، بين الانسان وهو يسال حق الانتفاع بالتراكيب الصخرية المتنوعة ـ النـارية أو الرسوبية أو المتحولة ـ على صعيد الأرض فى جانب ، والأرض التى تضم هــذه التراكيب الصخرية فى جانب آخر ، وهى تجاوب الانسان على قدر وسيلته ولا تخذله •

وقل يلتمس الاجتهاد الجغرافى ولا يسكت أبدا حتى يتبين له ، كيف تعلن هــذه المواجهة بين الانســان والأرض ، عن الحد الــذى ينتهى اليه فى المكان والزمان ، أمر الضبط والانضباط المتبـادل بينهما ، حتى تكون الفرصة التى تيسر للانسان الحق فى استخدام التراكيب الصخرية المعنية والانتفاع بها • وفى الوقت الذى يحسب فيه الاجتهاد الجغرافى ، حســاب الجدوى الاقتصــادية والجدوى الاجتماعية ، لمحصلة هذا التحجير ، يتحـرى أيضـا مبلغ استعداد الانســان لتطوير وسائله وتنمية تكنولوجيته وتغيير مستوى تعـامله مع التراكيب الصخرية على صــعيد الأرض دون الوقوع فى سوآت الاســتخدام الجائر فى طلب كم الانتــاج الأكبر ، والتعجيل باستنزاف المعين • كما يتحرى أيضا مبــلغ استعداد التراكيب الصخرية ومحتواها ، للاستجابة لهذا التغيير الرشيد ، دون اعراض أو اعتراض على التمادى فى طلب الحق المشروع ، والحصول على الانتاج كما وكيفا •

واذا كان الاجتهاد الجغرافى فى حاجة الى طرح أسئلة كثيرة ، لــكى يحلل ما تعلن عنه عمليــات التحجير ، وهى مسئولة عن قطع الأحجار ، فهو فى حاجة الى طرح أسئلة أكثـر عن حتمية المحافظة على التــوازن بين تجنب الافساد والاستخدام الجائر الذى يعجل بنفاد المعين والكف عن العطاء من ناحية ، وتأمين الأخذ المناسب للكم الأنسب الذى لا يتجاوز حد الأمد المحسوب لنفاد المعين والكف عن العطاء من ناحية أخرى • وفى ظل القدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل بين الانســان والأرض فى المكان والــزمان ، يــكون اختيــار التراكيب الصخرية التى تستحق التحجير •

ويتحرى الاجتهاد الجغرافى ، مهارة هـذا الاختيار التى تبتنى على حسن التنسيق بين التحجير وهو شكل من أشكال استخدام الأرض ، وكل أنماط الاستخدام الأخرى المتاحة ، على نفس الصعيد . بمعنى أن يتقصى الاجتهاد الجغرافى مبلغ التوازن والتكامل بين كل أنماط استخدام الأرض بما فيهـا التحجير ، وهى تشترك فى حسن ضياغة التركيب الهيكلى لانتفاع الانسان بالموارد المتاحة فى المكان والزمان ، على صعيد الأرض .

ويتحرى الاجتهـاد الجغرافى ، وهو يطالع صـور استخدام الأرض ، فى طلب الانتاج المعدنى ، حسن التمييز ، بين الصور التى تصور التعدين أو استخراج المعـدن أو استخراج الخامات المعـدنية بأساليب تقليدية ، والصور التى تصور التعدين واستخراج الخامات المعدنية بأساليب متطورة ومستحدثة من ناحيـة أخـرى . وفى أى من هاتين الصـورتين ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى التدقيق فى مهارات الانسـان وخبراته ومستوى أدائه وتعامله مع التراكيب الصخرية وهو يبحث أو وهو يستخرج المعدن والخام المعدنى من ناحية ، والتدقيق فى خواص الأرض ونوع التراكيب الصخرية ومحتوياتها من المعـدن النقى أو من الخامات المعدنية ، ومبلغ استعداداتها للاستجابة لوسائل الانسان من ناحية أخرى . بمعنى أن يتقصى الاجتهـاد الجغـرافى نتيجة المواجهة الايجـابية فى المكان والزمان ، بين الانسـان وهو يسـال حق الانتفـاع بالتراكيب الصخرية المتنوعة على صعيد الأرض الباطن منهـا والظـاهر فى جانب ، والأرض والطبقات التى تضم هـذه التراكيب الصخرية فى جانب آخر ، وهى تجاوب الانسان على قدر وسيلته وكفاءتها ، ولا تخذله .

وقل يلتمس الاجتهـاد الجغرافى ، ولا يسكت حتى يتبين له ، كيف تعلن هذه المواجهة الايجابية ، بين الانسان والأرض ، عن الحد الذى ينتهى اليه فى المكان والزمان ، أمر الضبط والانضباط المتبـادل بينهما ، حتى تكون الفـرصة التى تيسر للانسـان الحق المكتسب فى استخدام التراكيب

الصخرية المعنية والانتفاع بها • وفى الوقت الذى يحسب فيه الاجتهاد الجغرافى ، حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، لمحصلة هذا التعدين ، يتحرى أيضا مبلغ استعداد الانسان لتطوير وسائله وتنمية تكنولوجيته وتغيير مستوى تعامله مع التراكيب الصخرية على صعيد الأرض ، دون الوقوع فى خطيئة الاستخدام الجائر ، فى طلب كم الانتاج الأكبر ، والتعجيل باستنزاف المعين • كما يتحرى أيضا مبلغ استعداد التراكيب الصخرية المعنية ، ومحتواها للاستجابة لهذا التغيير الرشيد الذى لا يطعن فى المعين ويجور عليه ، ودون اعراض أو اعتراض على التمادى فى طلب الحق المشروع ، والحصول عليه من الانتاج المعدنى •

واذا كان الاجتهاد الجغرافى فى حاجة الى طرح أسئلة كثيرة ، لكى يحلل ما تعلن عنه عمليات التعدين ، وهى مسئولة عن استخراج المعادن الخالصة أو عن استخراج الخامات المعدنية توطئة لاستخلاص المعدن ، فهو فى حاجة أيضا الى طرح أسئلة عن حتمية المحافظة على التوازن ، بين تجنب الافساد والاستخدام الجائر الذى يعجل بنفاد المعدن فى المعين والكف عن العطاء والاستجابة من ناحية أخرى • وفى ظل القدر المناسب من الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، فى المكان والزمان ، يتقصى الاجتهاد الجغرافى مسألة اختيار التراكيب الصخرية التى تستحق التعدين ، واجراء الاختبارات التى ترشد هذا الاختيار وصولا الى التعامل معها • بمعنى أن يتحرى الاجتهاد الجغرافى العمل والعوامل ومسئولية الخبرة الفنية التى تكون من وراء هذا الاختيار على صعيد الأرض • كما يتحرى الاجتهاد الجغرافى ، مهارة هذا الاختيار ، التى تبتنى على حسن التنسيق بين مباشرة التعدين وهو شكل من أشكال استخدام الأرض فى جانب ، وسائر أنماط استخدام الأرض الأخرى المتاحة أو السائدة على نفس الصعيد فى جانب آخر • بمعنى أن يتقصى الاجتهاد الجغرافى مبلغ التوازن والتكامل بين أنماط استخدام الأرض المتنوعة بما فيها التعدين ، وهى تشترك مجتمعة فى حسن صياغة التركيب الهيكلى لانتفاع الانسان ، بالموارد

المتاحة فى المكان والزمان ، على صعيد الأرض .

* * *

استخدام الأرض فى توطين الصناعة :

استخدام الأرض والتعامل مع الموارد المتاحة التى تتجدد وتواصل العطاء ، أو التى لا تتجدد وتنضب وتكف عن العطاء ، يجسد خطوة على درب الانتاج لحساب الانسان . ثم تكون الصناعة وحسن اختيار المكان وتوطين الصناعة ، خطوة أخرى مهمة لأنها تصبح مسئولة عن تجهيز واعداد الخام فى الشكل الأنسب للاستهلاك البشرى . وصحيح أن هذه العلاقة بين انتاج الخام وتصنيعه توثق الصلة بين استخدام الأرض فى الانتاج فى جانب ، واستخدام الأرض فى توطين الصناعة فى جانب آخرى . ولكن الصحيح أيضا أن توثيق الصلة بينهما ، لا يعنى بالضرورة الجمع والتنسيق دائما بين استخدام الأرض فى الانتاج واستخدام الأرض فى توطين الصناعة على صعيد الأرض فى المكان والزمان . ويكفى أن تكون وسيلة النقل وهى تعمل فى اطار الجدوى الاقتصادية متاحة ، لكى تتيسر الصلة وتتحقق العلاقة بين استخدام الأرض فى الانتاج على صعيد ، واستخدام الأرض فى توطين الصناعة على صعيد آخر .

وأهمية وسائل النقل وهى تعمل فى اطار الجدوى الاقتصادية ، وتوثق الصلة بين استخدام الأرض فى انتاج الخام واستخدام الأرض فى توطين الصناعة لا تقل أبدا عن أهمية هذه الوسائل وهى تعمل فى اطار الجدوى الاقتصادية ، وتوثق الصلة بين انتاج الصناعة السلعى ومنافذ التوزيع وتسويق هذا الانتاج ووضعه بين أيدى الانسان صاحب الحق المشروع فى الاستهلاك . وكان اختيار مساحة الأرض التى تشهد توطين الصناعة ، يبتنى بالضرورة على حسن توثيق الصلة بين استخدام الأرض فى الانتاج ، وتيسر الحصول على المواد الخام من ناحية ، وتوثيق الصلة بين موطن الانتاج الصناعى وتيسير أمر تسويق الانتاج الصناعى السلعى على

المستوى المحلى أو على المستوى الاقليمى أو على المستوى العالمى من ناحية أخرى • بل قل أن توفير مقومات الصناعة وحسن اختيار المساحة لتوطين واقامة الصناعة ، هو الضمان الأكيد الذى يقدم لنجاح هذه الصناعة •

وفى مجال استخدام الأرض فى توطين الصناعة ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى حسن التمييز بين توطين الصناعة الصغيرة والصناعات الريفية ، وهى لا تكاد تتجاوز فى الغالب حد التسويق على الصعيد المحلى المحدود فى جانب ، وتوطين الصناعات الكبيرة ، وهى تلتمس التسويق وانتشار منافذ التوزيع على أوسع مدى وصولا الى الصعيد العالمى الرحب فى جانب آخر • وفى أى من هاتين الحالتين ، هناك بالقطع دواعى الضبط والانضباط المتبادل الذى تبتنى عليه توثيق العلاقة بين الانسان والأرض ، وهو يوطن الصناعة فى الموقع المنتخب ، ومع ذلك يبقى هناك الفرق الجوهرى بين توطين الصناعة الصغيرة ، وتوطين الصناعة الكبيرة • بل قل يبقى الفرق بين ضوابط تكون من وراء توطين الصناعات الصغيرة ، وضوابط تكون من وراء توطين الصناعات الكبيرة •

وتأسيسا على استثمار هذا الفرق ، يتحرى الاجتهاد الجغرافى ويتابع المواجهة بين الانسان والأرض ، عندما يكون الهدف توطين الصناعة الصغيرة • بمعنى أن يتقصى الضبط والانضباط المتبادل ، وهو من وراء اختيار نوع الصناعة الأنسب على الصعيد المحلى ، ثم وهو مرة أخرى من وراء اختيار الموقع الأنسب فى المكان والزمان • ومع شىء من التدقيق ، ينكشف للباحث الجغرافى دواعى اختيار المكان المناسب وتوطين الصناعة فى أحضان المستوطنات البشرية على صعيد القرية أحيانا أو على صعيد المدينة أحيانا أخرى • بل قل يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يعقب على هذه الرؤية الجغرافية تعقيبا يعلن عن الرأى الجغرافى ، وهو يحكم على توطين هذه الصناعة ومبلغ النجاح والتوفيق فى اختيار المكان المناسب لها على صعيد الأرض فى الريف أو فى الحضر •

وعلى صعيد الريف ، حيث يكون الاختيار الذى يوطن الصناعات الصغيرة أو الصناعات الريفية ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، العلاقة بين استخدامات الأرض فى الانتاج السائد فى الريف ، واستخدام مساحة منتخبة فى توطين الصناعة • وتحرى هذه العلاقة يستوجب التماس التأثير المتبادل على درب الحضور الديموجرافى ، وعلى درب الانجاز الاقتصادى وعلى درب المستوى الحضارى • والتماس هذا التأثير المتبادل بين الاستخدامات الريفية للأرض فى الانتاج وفى الاستيطان على صعيد القرية ، واستخدام مساحة معينة فى توطين الصناعات الصغيرة الريفية ، يسعف الاجتهاد الجغرافى فى استشعار مبلغ سلامة التحام قطاع الصناعة مع قطاعات الانتاج الاقتصادى الأخرى ، ومبلغ سلامة وقوة البنية على صعيد الأرض اقتصاديا وديموجرافيا وحضاريا • بمعنى أن يملك الاجتهاد الجغرافى أسلوب العمل الذى يتيقن به من أن الصناعة لا تعيش الغربة على صعيد الريف ، ولا تطعن فى جدوى استخدامات الأرض التى تعايشها على نفس الصعيد •

وعلى صعيد الحضر ، حيث يكون الاختيار الذى يوطن الصناعات الكبيرة ، بنوعيها الخفيفة والثقيلة ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى دواعى اختيار المدينة ، ودواعى اختيار المساحة التى توطن فيها هذه الصناعة على صعيد هذه المدينة المنتخبة • كما يلتمس الاجتهاد الجغرافى أيضا ، تقصى العلاقة بين وجود الصناعات وتداخلها فى البنية الحضرية فى جانب ووجود البنية السكنية ، بما تضمه من خدمات عامة ومرافق البنية الأساسية فى جانب آخر • وتحرى هذه العلاقة ، يسعف الاجتهاد الجغرافى فى التماس تأثير توطين الصناعة على الوجود الحضرى ، وهو ايجابى يفجر ويطور التحضر وينشط اتجاهات نموه الديموجرافى ، أو وهو سلبى يفسد فى الأرض ويلوث البيئة • ومن خلال حصر وحسن حساب الايجابيات والسلبيات ، يملك الاجتهاد الجغرافى أسلوب العمل الذى يتيقن به من أن الصناعة لا تعيش على

صعيد الحضر ، ولا تطعن فى جدوى استخدامات الأرض ، التى تعايشها على نفس الصعيد الحضرى .

وفى جميع الأحوال ، يحسب الاجتهاد الجغرافى حساب تطور التكنولوجيا فى دنيا الصناعة ، وكيف تخفف من ضغوط الضوابط الطبيعية ، أو كيف تحرر توطين الصناعة من بعض الضوابط الطبيعية . ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يتقصى مبلغ حسن التنسيق بين الصناعة وتوطينها فى مساحة الأرض المنتخبة ، فى جانب ، وسائر استخدامات الأرض التى تباشر حركة الحياة الانتفاع بها على صعيد المستوطنة الحضرية فى جانب آخر ، على درب الحضور الديموجرافى ، وعلى درب المستوى الحضارى .

ومن خلال هذا التقصى فى المكان والزمان ، يكون الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن التمييز بين سوء التوطين الذى يجسد معنى التهرب من الضبط والانضباط المتبادل مع الأرض على صعيد المستوطنة الحضرية ، وحسن التوطين الذى يجسد جدوى الالتزام بالضبط والانضباط المتبادل مع الأرض على صعيد المستوطنة الحضرية . بمعنى أن يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يفضح سوء توطين الصناعة أحيانا وهى تثقل على الوجود الحضرى ، او أن يطرى حسن توطين الصناعة أحيانا أخرى وهى تدعم الوجود الحضرى وتطور أوضاعه الى ما هو أفضل . بل قل يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يوصى أو ينصح بما ينبغى أن يأتى لكى يتسنى تخفيف حدة سوء توطين الصناعة ، أو لكى يتسنى كبح جماح سلبيات سوء توطين الصناعة فى المكان والزمان .

★ ★ ★

استخدام الأرض فى السكن والاستيطان

اذا كان من شأن الانسان ، أن يكد ويكدح ويباشر استخدام الأرض فى الانتاج لكى يجاوب حاجته للاستهلاك ، فانه يباشر استخدام الأرض

وهو شديد اللهفة على السكن الــذى يحتويه ، ويغطى خصوصية وجوده واقامته دون تعــارض مع عمومية وضعه فى التركيب الهيــكلى للتشــكيل الاجتماعى ، على صعيد المستوطنة • وقل أن المسكن وتأمين المسكن الــذى يضم أو يحتوى الانسان فى الشكل البسيط الجامع لشمل الأسرة ، يمثل مطلبا من المطالب التى ترد على قائمة الضروريات • والتماس هــذا المطلب الضرورى ، استوجب اختيار مساحة الأرض التى يستخدمهــا ويبتنى على صعيدها المسكن المناسب ، الذى يأوى اليه لكى يلتقط أنفاسه ، أو لــكى يستشعر الأمن •

وفى المرحلة العتيقة ، التى افتقد الانسان فيها القدرة على الانتاج الاقتصادى من عمل يديه ، وعاش حياته فى اطار التفرد الذى يحتوى الأسرة ، واعتمد على الانتــاج الطبيعى وعطــاء الطبيعة ، التمس السكن ، وهو حق ضرورى لوجوده فى المكان والزمان • والتماس السكن معناه اختيار مساحة مناسبة من الأرض ، ومعناه الاستيطان واقامة السكن المناسب على صعيد الأرض • ومباشرة الاستيطان واقامة المسكن ، فى ظل العلاقة بين الانسان وهو يمد يديه الى الطبيعة لكى تعطيه وتلبى حاجته من الانتــاج الطبيعى ، والأرض التى كان انتاجها يتعرض لفعل المتغيرات زيادة أو نقصــانا ، كان لا يعنى أبدا الاستقرار • بمعنى أن الانســان عرف وباشر الاستيطــان فى المكان والزمان لبعض الوقت ، حتى تكون الضغوط التى كانت تطعن فى وجوده ، وتدعوه الى الانتقال ومباشرة السكن والاقامة فى مكان آخر •

وانتهاء هذه المرحلة ، بعد أن امتلك الانســان القدرة على الانتــــاج الاقتصادى من عمل يديه ، كان معناه انهــاء التفرد فى اطار الأسرة • ومن غير تفريط فى الشمل الاجتماعى الذى يضم الأسرة ، جاء التحول الــذى جمع الأسر فى تشكيل اجتماعى مركب ، ألف بينها فى مصــلحة مشتركة اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا • وسواء جاء هذا التحول فى شكل قبيلة على صعيد البــــداوة ، أو فى شكل شعب على صــعيد الاستقرار ، فانه

استوجب تغييرا حقيقيا فى التوجه الضرورى للسكن واقامة المسكن ومباشرة الاستيطان • وجاء هذا التغيير لكى ينهى الاستيطان المبعثر وانعدام الصلة بين المساكن ، ويبدأ الشكل المناسب للاستيطان المتكتل • والاستيطان المتكتل معناه اختيار مساحة الأرض فى المكان المناسب ، ومعناه تجميع المساكن فى كتلة سكنية متراصة على صعيد الأرض فى المكان المناسب •

هكذا كانت البداية التى تجسد معنى قيام المستوطنة واختيار مساحة الأرض واستخدامها فى انشاء المساكن فى تجمع مناسب ، يلملم الأسر وهم سكان المستوطنة • وصحيح أن اقامة المستوطنة قد استوجب استجابة الأرض وخواص الأرض والضوابط التى تعلن عنها ، لاحتواء المستوطنة • وصحيح أيضا أن اقامة المستوطنة ، قد جاوب حاجة الانسان الفرد فى اطار الأسرة ، والانسان الجماعة فى اطار المجتمع ، للاقامة والسكن واستشعار الأمن الاجتماعى على صعيد المستوطنة • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن اقامة المستوطنة ، كان عليه أن يجاوب الدور الوظيفى المتاح وهو مسئولية من يقيم فى المستوطنة • وكأن اقامة المستوطنة وتوظيف الأرض فى هذا الغرض قد ابتنى على :

اولا – حق الانسان فى الاستيطان ، والتنعم بالسكن الذى يؤمن وجوده فى اطار التوحد على الصعيد الاجتماعى ، وهو حق مشروع كفله الاجتهاد فى بناء وترسيخ المدنية على صعيد الأرض فى المكان والزمان •

ثانيا – اختيار مساحة الأرض المناسبة فى المكان المناسب ، وتوظيف الأرض فى اقامة المساكن ، وتأهيل المستوطنة التأهيل المناسب للناس وأحوالهم المعيشية وأدائهم الفعال فى خدمة الدور الوظيفى الذى تقوم من أجله المستوطنة فى المكان والزمان •

وفى ظل هذا الفهم ، يدرك الاجتهاد الجغرافى معنى استخدام الأرض فى السكن ، وكيفية التمييز بين المستوطنة الريفية على صعيد الاستقرار

أو على صعيد البداوة فى جانب والمستوطنة الحضرية على صعيد الاستقرار فى جانب آخر • كما يدرك الاجتهاد الجغرافى معنى الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان ووسائله وتكنولوجيته ، والأرض وخواصها والسنن الحاكمة لها ، حتى يتيسر أمر اختيار المساحة المناسبة لاقامة المستوطنة ، وتحمل الاستيطان فيها مسئولية الدور الوظيفى المنوط بها فى المكان والزمان • وتاسيسا على التباين بين المستوطنات ، يدرك الاجتهاد الجغرافى ، مبلغ التفاوت الكبير بين الضبط والانضباط المتبادل ، الذى يقدم لقيام كل نمط من أنماط المستوطنات البشرية وخصوصية توظيفها على الصعيد الذى تقوم فيه •

***

استخدام الأرض فى الاستيطان على صعيد البادية :

صحيح أن حركة الحياة على صعيد البادية تلتزم بالحركة الفصلية والطواف على صعيد المرعى الفسيح ، وفى صحبتها القطيع • وصحيح أن هذا التحرك المنضبط على صعيد المرعى ، لا يستوجب استيطانا مستقرا مقيما فى مستوطنة • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن البدو على صعيد البادية لا يتنازلون عن حق الاقامة المؤقتة فى موقع منتخب وهم يباشرون الرعى والانتقال الفصلى ، ولا يتنازلون عن حق الاقامة المؤقتة مرة أخرى ، فى موقت منتخب آخر ، وهم ينتجعون على صعيد الأرض التى يتاح فيها الشىء المناسب من الماء الجوفى • ويدرك الاجتهاد الجغرافى جيدا ، معنى هذا الاستيطان المؤقت استجابة لطلب السكن وحق الاقامة ، ومعنى اختيار الموقع المنتخب على صعيد المرعى ، والضوابط الحاكمة فى مواجهة حركة الحياة وهى تباشر هذا الاختيار فى المكان والزمان •

ومواجهة البدو للأرض على صعيد المرعى ، وهم يباشرون الرعى

والانتقال الفعلى ، لا تكلفهم جهدا كبيرا حتى يتـأتى الضبط والانضباط المتبادل ، توطئة لاختيار الموقع المنتخب للاستيطان المؤقت ، على مدى عدد من الأيام . وكل ما يلتزم به هذا الاختيـار ، هو وفرة الكم المناسب من الماء ، والكثافة المناسبة من الكلأ ، فى المكان والزمان . ويبقى الاستيطان مؤقتا فى هذا الموقع المنتخب ، حتى يستوجب القطيع التحرك الى مساحة أخرى من المرعى . وتكون منازل البدو مناسبة لهـذا الاستيطان المؤقت ، تستوعبهم فى الاقامة ، وتسعفهم فى الترحال .

ومواجهة البـدو للأرض على صعيد المرعى ، وهم يطلبـون الانتجاع فى أحضـان المـاء الجوفى الدائم ، تكلفهم جهدا كبـيرا حتى يتأتى الضبط والانضباط المتبادل ، توطئة لاختيار الموقع المنتخب للاستيطان المؤقت ، على مدى عدد من الشهور أو الأسابيع . ويتوجه هذا الجهد الـكبير الى التماس الماء الباطنى ، والسيطرة عليه أو التحكم فيه ، وتقنين سحبه بالكم المناسب لحساب الانسان والقطيع . ويبقى الاستيطان مؤقتا فى هذا الموقع المنتخب ، فى فترة الجفاف والشح وانقطاع سقوط المطر واحتراق الحشائش والأعشاب فى المرعى . وتكون اقامة البدو فى منازل مناسبة لهذا الاستيطان المؤقت ، على صعيد النجع الذى هم فيه يستقرون وكلهم اشـفاق ولهفة على بداية موسم المطر ، ودعوته المفتوحة لمعاودة الترحال فى ربوع المرعى .

وصحيح أن الضبط والانضباط المتبـادل بين الانسـان والأرض على صعيد البادية ، يكون مطلوبا ، حتى يتسنى وقوع الاختيـــار على مواضع الاقامة المؤقتة . وصحيح أيضا أن هذا الاختيار ، يجسد العـلاقة الحميمة بين الانسان والأرض التى يستبيح بها الانسان استخدام الأرض فى السكن والاستيطان . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن يدرك الاجتهاد الجغرافى ، العوامل التى تطعن فى هذه العلاقة وتدعو الى تفسخها ، عندما يستوجب الأمر التحـرك والانتقـــال من مكان الى مكان آخر على صـــعيد المرعى ،

أو عندما يكون التحـــرك من مواضع الاقامة حول الآبار الى ربوع المرعى الفسيح ٠

ولأن استيطان البـــدو وهم يتعقبون القطعـــان على صـــعيد المرعى فى الرحلة الفصلية ، يكون مؤقتا فلا يتجاوز عددا من الأيام ، فلا يعنى هذا الاستيطان انشـــاء مستوطنة وتشـــييد المسكن ٠ وقل ربما لا تتكرر الاقامة ومباشرة هذا الاستيطان المؤقت فى نفس مساحة الأرض وهم يمرون بها من سنة الى سنة أخرى ٠ بل قل يتأتى هذا الاستيطان المؤقت الـذى لا يتجاوز عددا من الأيام حتى يحين موعد الرحيل الى موقع جديد ، بشكل عشوائى ٠ وفى كل مرة أو فى كل وقفة يستوجبهـا الطواف فى المرعى ، يكون اختيار المساحة من الأرض للاقامة المؤقتة ٠ ولا يكون لهذا الاختيار علاقة باختيار سبقه فى عام سابق ، أو باختيار مرتقب فى عام لاحق ٠

وهكذا ندرك كيف لا يتحرى الاجتهاد الجغرافى ، وهو يرصد ويسجل استخدام الأرض فى السكن على صعيد البادية ، شيئا من هذا الاستيطان المؤقت الذى يعنى الاقامة لبعض الوقت والتعجل بالظعن والرحيل ٠ بمعنى أن من شأن الاجتهـــاد الجغرافى أن يسقط هـــذا الاستيطان المؤقت الـذى لا يتشبث بالأرض ولا يفرض عليهـــا شيئا من الخصـــوصية والتخصيص لحساب السكن والاقامة ، من الحساب ٠ بل قل أنه يهمل حصره وتسجيله على لوحات وخرائط استخدام الأرض ٠ ولا يبقى على صعيد البادية ، شيئا يهم الاجتهاد الجغرافى ، الا أن يسجل استخدام الأرض فى السكن ، حيث تكون مستوطنة أهل البادية (النجع) ، التى تتسع لهم وتستوعب وجودهم ، ويوفر الماء الجوفى فى الآبار ، فى الفترة الزمنية المناسبة ، تهربا من القحط عندما يحل ويخيم على صعيد المرعى موسم الجفاف الشديد ٠

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى يســـجل على لوحات وخرائط استخدام الأرض فى مواقع هـــذه النجوع ٠ وصحيح أيضا أنه يتقصى ويعاين حركة

الحياة وهى تحيا حياة هادئة لا تكاد تحفل بشىء من العمل • وصحيح أيضا أنه يلتمس شيئا ، وهو يتحرى العـــلاقة بين استخدام الأرض فى الرعى ومباشرة الانتاج الحيوانى فى جانب ، واستخدام الأرض فى مباشرة هـــذا الاستيطان المؤقت فى جانب آخر • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن يتحفظ الاجتهاد الجغرافى ، فى التعليق أو فى التعقيب ، على هـــذا النمط الفريد من أنماط استخدام الأرض فى السكن •

وفى اطار هذا التحفظ ، يتعمد الاجتهاد الجغرافى أحيانا استبعاد هذا النمط من أنماط استخدام الأرض فى السكن • ولا يمثل هـــذا الاستبعاد أو الاهمال ، استخفافا به أو استنكارا لواقع الذى يعلن عنه وجود واقامة حركة الحياة لبعض الوقت نقط ، فى المكان والزمان • وقل لا يكون هـــذا الاستبعاد الا لأن هذا الاستخدام ، يبدو وقد أهمل تحديد ملامح المستوطنة حيث لا خدمات عامة ولا انشاءات ، ولا مظهر من مظاهر البنية التى تجسد وجود كتلة سكنية متراصة ومناسبة على صعيد الأرض • بل قل ان هذه المستوطنة تعج بنبض الحياة فى موسم الجفاف والقحط الشديد ، وتصبح فارغة تماما وكأنها مستوطنة أشباح فى فى موسم المطر •

ورؤية الاجتهاد الجغرافى لهذه المستوطنة المؤقتة ، على صعيد الأرض ، تهمه ويهمه وجودها فى المكان المناسب المنتخب • ويشغل الاجتهاد الجغرافى وجود حركة الحيـــاة ، الذى يعلن صراحة عن حقيقـة العلاقة بين الانسان والأرض ، التى تبيح له حق استخدام الأرض فى السكن • وقـــل أن أهم ما يهمه ، هو التماس كيفية الضبط والانضباط المتبـادل بين الانســـان ووسائله ومهاراته فى جانب ، والأرض وخواصها ومتغيراتهـا فى جانب آخر ، وهو الذى ييسر هذه الاباحة ، وتطويع الأرض لحساب سكن الانسان واقامته • بل قل يواصل الاجتهاد الجغرافى اهتمامه ، لـكى يتحرى مبـلغ توثيق العـــلاقة بين الانســـان والأرض من أجل السكن والاقامة المؤقتة فى فترة زمنية معينة ، ومعنى تفسخ هذه العلاقة تماما ، عندما يحل موسم

المطر ، ويبـادر الناس فى المستوطنة الى الخروج منهـا ومغادرتها فى رحلة الانتقال الفصلى ، ومباشرة الرعى ، فى ربوع المرعى الفسيح ٠

ورؤية الاجتهاد الجغرافى لهذه المستوطنة المؤقتة ، على صـعيد الأرض بعد مغادرة سكانها ، قد لا تهمه كثيرا ٠ ومع ذلك يشغله هذا الخروج ، أو هذه المغادرة ، ومسئولية الانسان عن تفسخ العلاقة والتفريط فى جدوى استخدام الأرض فى السكن ، والتحرر من الاقامة والاستقرار ٠ كما يشغل الاجتهاد الجغرافى تحرى قوة فعل العوامل الطبيعية ، وما تفرضه من ضوابط تشد حركة الحياة ، وتستوجب التجمع والاقامة فى المستوطنة ، فى فترة زمنية معينة ، وتدعو حركة الحياة للتعجل فى الخروج وتفـريغ المستوطنة وهجرها ، فى فترة زمنية معينة أخرى ٠ ومن خلال هذه الرؤية الجغرافية والتمعن فى ما تعلن عنه صورة المستوطنة المتغـيرة من موسم الى موسم آخر ، يكون فى وسع الاجتهـاد الجغـرافى أن يبلور التوصية التى تبصر خطوات التغيير ، التى تطور أوضاع الاستيطان فى نجوع البداوة ، وتحسن مستوى استخدام الأرض فى السكن ٠



استخدام الأرض فى الاستيطان على صعيد الريف :

على صعيد الريف ، يتعامل الانسـان مع الأرض ، ويسخر الموارد المتاحة فيها ، ولا شىء يهمه أكثر من الانتاج ٠ ومباشرة استخدام الأرض لحساب الانتاج على أى من المستويات ، البدائى أو التقليدى أو المتطور ، تستوجب الاستقرار ومداومة الأداء المناسب لـكى يجاوبه المورد المتـاح ، ويجنى ثمرة العطاء ٠ وفى الوقت الذى يوثق فيه الاستقرار العـلاقة بين الانسان والأرض ، فيحرسها ويحافظ عليها ويحميها من دواعى التفسخ ، يتعامل الانسـان مع الأرض على صعيد الريف مرة أخـرى ، من أجـل الاستيطان والسكن ٠

ومن غير غاية تلتمس ترتيب المهم والأهم على صعيد الريف ، يدرك الاجتهاد الجغرافى ، مبلغ الصلة أو العلاقة الوثيقة بين استخدام الأرض فى الانتاج وتحرى الانتفاع بالموارد المتاحة فيها ، فى جانب ، واستخدام الأرض فى السكن وتيسير اقامة المجتمع الريفى فى مستوطنة مناسبة فى جانب آخر • ومع ذلك يتحرى الاجتهاد الجغرافى ، قضية اختيار مساحة الأرض المناسبة التى تخصص للسكن واقامة أهل الريف ، ومبلغ الحرص على مساحة الأرض الأخرى التى تستخدم الموارد المتاحة فيها لحساب الانتاج • وجدوى استجابة الأرض لطلب الانتاج ، هى التى ترشد الاختيار وهو يخصص المساحة الأنسب لاقامة المستوطنة الريفية • بمعنى أن تسبق الجدوى الاقتصادية ، وتكون أهم فى الحساب من الجدوى الاجتماعية فى مجال الاختيار والتخصيص •

وتقوم القرية وهى المستوطنة البشرية التى تحتوى أهل الريف ، على صعيد المساحة التى يقع عليها الاختيار ، لاقامة أو انشاء المساكن • وتكون عمليات انشاء المسكن مسئولية رب الأسرة ، ولا تكاد تنازعه فى هذه المسئولية الشخصية الخاصة أى قواعد أو قيود • ومع ذلك ، هناك ضوابط طبيعية تفرضها خواص الأرض ، منها الضابط المناخى والضابط التضاريسى ، وضوابط بشرية تفرضها أوضاع حركة الحياة ومنها الضابط الاجتماعى والضابط الاقتصادى ، تلعب دورا مؤثرا ، ينتهى إلى الضبط الانضباط المتبادل ، الذى يحدد أهم ملامح استخدام الأرض فى السكن • وكما يجسد هذا الضبط والانضباط المتبادل العلاقة الحميمة التى تعلن عن شكل ونمط ومستوى استخدام الأرض فى اقامة المسكن وتجهيزه التجهيز الأنسب لحساب الأسرة ، يلتمس هذا الضبط والانضباط المتبادل أيضا ، تأمين حسن العلاقة التى تفضى الى القدر المناسب من التنسيق بين مسكن الأسرة ومساكن سائر الأسر ، على الصعيد المشترك اجتماعيا واقتصاديا ، وحضاريا •

وقل أن هذا الضبط والانضباط ، هو وحده الذى يحقق الحد الأدنى

من التخطيط العام الذى يخضع له انتشار المساكن على صعيد الكتلة السكنية للقرية • بمعنى أن انشاء المساكن وتوزيعها العام على صعيد المساحة المخصصة للكتلة السكنية يكون أقرب الى العشوائية • وبمعنى أن ليس ثمة خطة متفق عليها ، موضوعة من داخل القرية أو من خارجها ، لكى تنسق توزيع المساكن وامتداد الطرق وتوفير الخدمات العامة أو الخاصة ، على صعيد القرية •

وفى غياب التخطيط ، أو فى اطار العشوائية ، على صعيد الريف تفتقد الكتلة السكنية شيئا كثيرا من الانتظام • وتبدو الطرق ضيقة ، وقد افتقدت الاستقامة فى الغالب • واضافة الى الطرق الضيقة التى تنتشر فى ربوع القرية على المحاور الطولية والمحاور العرضية ، هناك الطرق التى تبدو مسدودة ، لكى تؤكد معنى العشوائية فى انشاء هذه الطرق ، وفى توزيع المبانى والمنشآت ، على صعيد هذه المستوطنة الريفية • ويغلب على هذه الطرق أن تكون ترابية ، ولا يستثنى منها الا الطريق الرئيسى الذى يصل بين المستوطنات الريفية ، أو الذى يصل بين المستوطنة الريفية والمدينة • ومن حول الكتلة السكنية على صعيد المستوطنة الريفية (القرية) ، يتواصل امتداد الطريق الدائرى الذى يطوقها • وتبدأ من هذا الطريق أو تنتهى اليه ، الطرق التى تنتشر على محاور متعددة لكى تغطى الزمام على صعيد مساحات الأرض التى تستخدم فى الانتاج •

وعلى امتداد الطريق الدائرى ، الذى يطوق الكتلة السكنية ، تنتشر مساحات خالية من الأرض • وتمثل هذه المساحات الخالية المحصورة بين الكتلة السكنية فى جانب ، والطريق الدائرى فى جانب آخر ، أرض المرافق التى تستخدم فى موسم الحصاد ، على وجه الخصوص • ومع ذلك فانها تستخدم لأغراض أخرى ، فى غير مواسم الحصاد • وقد تشهد انعقاد السوق الأسبوعى مثلا ، أو تصبح مرتعا يلهو فيها الشباب ، أو يقام فيها حشد الاحتفالات الدينية أو الاجتماعية التى تهم أهل القرية • وسواء كانت أرض المرافق جزء من الملكية الخاصة للأسر والعائلات ، أو كانت هذه الأرض تمثل ملكية عامة ، فانها توفر خدمات متنوعة يتهافت عليها طلب

أهل القرية ، ولا يجوز التعدى عليها أبدا ، أو التفريط فى جدواها الاجتماعية والاقتصادية .

وفى ظل الضبط والانضباط المتبادل ، بين الانسان ووسائله وضوابط حضوره فى جانب ، والأرض وخواصها وضوابط طبيعتها فى جانب آخر ، يتفاوت أمر استخدام الأرض فى اقامة المستوطنة الريفية على صعيد المساحة المنتخبة . وهناك فرق كبير بين القرية على صعيد الأرض الرتيبة ، والقرية على صعيد الأرض المضرسة الوعرة . وهناك فرق كبير مرة أخرى بين القرية على صعيد الأرض المطرية ، والقرية على صعيد الأرض المروية بالماء السطحى أو بالماء الجوفى . ورغم هذا التفاوت وحسن استشعار الجغرافى للعوامل التى تفسره ، يظل الطابع الريفى سائدا ، من حيث الشكل على أقل تقدير . وقل ان أوضاع وسلوك ونشاط وتقاليد أهل الريف تلعب دورا كبيرا فى صياغة وترسيخ هذا الطابع الريفى السائد ، الذى يخيم على المستوطنة الريفية .

وفى ظل الضبط والانضباط المتبادل ، يملك كل واحد من أهل الريف ، حق انشاء المسكن الذى يخصه على النحو الذى يناسبه . وقد تلعب القدرة الاقتصادية أو المكانة الاجتماعية أو الأوضاع الديموجرافية دورا فى انشاء المسكن وتجهيزه للاقامة . ولكن هناك فى نهاية المطاف القدر المشترك من الاتفاق على الشكل العام الذى يستوجب تخصيص جزء من المسكن للأسرة ، وجزء آخر للحيوانات التى تحرص الأسرة على اقتنائها ، وجزء ثالث للآلات والأدوات التى تسعف العمل فى حقل الانتاج ، وجزء آخر لتشوين المحاصيل أو لحفظ الانتاج . ويضيف الأثرياء استجابة للمكانة الاجتماعية ، اضافة تتمثل فى تجهيز الجناح الخاص لحساب الضيوف والغرباء الوافدين من أهل الحضر . ولا يكاد يتجاوز علو المسكن أكثر من دورين ، على أن يكون الدور الأرضى هو الأهم الذى يشهد نبض حركة الريف أثناء ساعات النهار ، ويخصص الدور العلوى لحركة الحياة أثناء

ساعات الليل • ويبقى بعد ذلك كله ، الحرص على خصوصية المسكن نهو لحساب الأسرة فقط ، ولا محل أبدا للايجار وايواء الأغراب •

وفى مقابل الخصوصية التى تخيم على كل مسكن من المساكن المتعددة على صعيد المستوطنة الريفية ، تكون العمومية التى تشرك أهل الريف فى أفراحهم وفى أحزانهم • كما تشركهم هذه العمومية التى تسقط حواجز الغربة بينهم فى مواجهم المسئوليات وهم يباشرون استخدام الأرض ، فى الانتاج • ولا هم يهمهم أهم من أن يؤمن استخدام الأرض فى الانتاج ، استخدام الأرض فى السكن ، أو أهم من توثيق الصلة بين الاستقرار والانتاج على صعيد الريف فى المكان والزمان • وتأسيسا على هذه الصلة ، تبقى المستوطنة الريفية منتعشة بنبض الحياة فيها ، فى صحبة انتعاش استخدام الأرض فى الانتاج ، وديمومة استجابة الأرض على صعيد الريف• بل قل أن أى انتكاسة يتعرض لها استخدام الأرض فيتواضع الانتاج أو تنتهى استجابة المعين ، يعرض المستوطنة للانتكاس وتواضع حركة الحياة فيها • وكم من مستوطنات ريفية عاشت الانتعاش على صعيد الريف ، حتى نضب المعين وكانت الضغوط التى أنهت دواعى استمرار وجود المستوطنة الريفية •

هذا ، واذا كان من شأن الاجتهاد الجغرافى أن يتحرى الضبط والانضباط المتبادل الذى يؤدى الى أو الذى يوثق العلاقة بين الانسان والأرض فى مجال استخدامها فى السكن والاستيطان على صعيد الأرياف ، فهو مسئول أيضا عن تحرى دواعى أنتعاش القرية أحيانا ، أو دواعى انتكاس القرية أحيانا أخرى • ويشمل هذا التحرى التفسير من خلال دراسة تحليلية ، كما يلتمس أيضا الربط بين انتعاش أو انتكاس الاستيطان الريفى فى اطار علاقة وثيقة بين استخدام الأرض فى السكن واستخدام الأرض فى الانتاج • ويتمادى الاجتهاد الجغرافى فى حساب الجدوى الاجتماعية والاقتصادية حتى يصبح فى وسعه أن يتبنى الرأى ويبلور

التوصية التى تتحرى تحسين مستوى اعداد المسكن ، أو التى تتحرى انهاء عشوائية الانشاء وتوظيف التخطيط من أجل مستوطنة ريفية أفضل وانسب تجاوب التطور والتغيير المناسب لروح العصر • وقد يشمل هـذا التقويم الجغرافى حساب قوة فعل أو تأثير المتغيرات السائدة ، وهى تبث المزيد من دواعى الانتعاش على صعيد المستوطنة الريفية ، أو وهى تمهد للتحول من مستوطنة ريفية الى مستوطنة حضرية أو من قرية ريفية الى مدينة حضرية •



استخدام الأرض فى الاستيطان على صعيد الحضر :

اذا كان استخدام الأرض لحساب الانتاج ، من خلال التعامل مع الموارد المتاحة ، قد استوجب اقدام الانسان على استخدام الأرض فى السكن وتأمين اقامة واستقرار أولئك الذين تحملوا مسئولية الانتاج ، فان هـذا الاستقرار فى المستوطنات الريفية ، قد استوجب طلب النظام ، والتماس الأمن والأمان ، وتحرى الشىء المناسب من التنعم ، على صعيد الأرض • بل قل أن الاستقرار وهو حريص على صناعة المدنية ، كان وما زال باحثا عن اضافة الخدمات المتنوعة التى تلبى حاجته المتعددة ، وهى تجاوب قوة تأثير المتغيرات الحضارية • وقد تعمد الاستقرار توطين هـذه الخدمات فى المستوطنة التى تحتوى وجوده ، حتى تكون فى متناول الأيدى ، وهى تلتمس التنعم بحصاد المدنية •

وسواء أضيفت هـذه الخدمات ، وتأتى استخدام مساحات خاصة لتوطين وتوفير الخدمات فى المستوطنة الريفية أو أقيمت المستوطنة المستجدة على صعيد الاستقرار ، لكى تحتوى الخدمات المتنوعة ، فان ذلك يعنى شكلا جديدا من أشكال الاستيطان • ويدرك الاجتهاد الجغرافى جيدا ، معنى اضافة الخدمات المتنوعة لحساب الاستقرار فى المستوطنة الريفية ، وكيف يتأتى التغيير الحضارى ، والتحول من الشكل الريفى للمستوطنة الى الشكل

الحضرى للمستوطنة ، فى المكان والزمان • كما يدرك الاجتهاد الجغرافى أيضا معنى نشأة المستوطنة الجديدة التى تحتوى الخدمات المتنوعة ، وكيف يتأتى التجديد الحضارى واستحداث الشكل الحضرى للمستوطنة • بل قل يدرك الاجتهاد الجغرافى جيدا ، أن نشأة المستوطنة الريفية كانت أسبق من نشأة المستوطنة الحضرية ، وهما معا لحساب الاستقرار •

وتوطين الخدمات على صعيد المستوطنة الريفية ، والمضى على درب التحول الحضرى ، يعنى بالضرورة اضافة دور وظيفى يستجد ويستوجب اعادة توزيع قوة العمل • بمعنى أن تستقطب الخدمات فئة أو طائفة من قوة العمل خصما من حساب قوة العمل التى تعمل فى حقل الانتاج • وكلما نمت واتسعت قاعدة الخدمات على صعيد المستوطنة التى تمضى على درب التحضر ، كان ذلك خصما من رصيد التريف ، وامعانا فى التحضر • وزيادة حصة الخدمات المتنوعة على صعيد المستوطنة الحضرية من قوة العمل ، هو تغيير فى دورها الوظيفى ، وهو نقصان من حصة استخدام الأرض فى الانتاج والتعامل مع الموارد المتاحة ، على صعيد الأرض من حولها •

ومن شأن الاجتهاد الجغرافى ، أن يتبين الاضافات التى تحول المستوطنة الريفية الى مستوطنة حضرية ، وأن يحسب جيدا مغزى وجدوى هذا التحول اجتماعيا وديموجرافيا واقتصاديا • وفى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يتابع التحول من الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض الذى يؤمن استخدام الأرض لحساب الاستيطان والاقامة فى المستوطنة الحضرية •

وعلى صعيد هذا التحول الوظيفى والتخصصى من استخدام الأرض الذى ييسر الاستيطان الريفى الى استخدام الأرض الذى يبرر توجه الاستيطان على درب التحضر ، يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يحسب شيئا عن معدلات هذا التحول ، وأن يتعقب عواقب التعايش بين كلاسيكية التريف

وهى تجنح الى شىء من الجمود وبطء الاستجابة للمتغيرات فى صحبة التغير الحضرى ، وتقـدمية التحضر وهو يجنح الى شىء من المرونة ، ويتعجـل الاستجابة للمتغيرات وتامين كل حقائق التغير الحضرى .

وعلى صعيد مثل هـذه المستوطنة الحضرية التى كانت فى الأصل مستوطنة ريفيـة ، يستشعر الاجتهـاد الجغرافى الحاجز المادى والنفسى وهو يجسد الأصالة فى جانب ، والاضافة الحضرية وهى تعلن عن المعاصرة فى جانب آخر . وينبغى أن يحسن الاجتهاد الجغرافى ، تقصى مبلغ ضغوط التوجهات الحضرية لـكى ترسخ ملامح التحضر ، ومبلغ صمود الأصـالة الريفية لكى تعلن عن اعراضها عن دواعى التحضر . ومن ثم يكون فى وسعه أن يحسب احتمالات أو توقعات المضى على درب التحضر فى مقـابل انحسار التريف أحيانا ، أو أن يحسب احتمالات وتوقعات انتصار التريف فى مقابل الردة الحضرية أحيانا أخرى . ومع ذلك تكاد تبشر الدراسة الجغرافية التى تدقق فى تحليل النماذج المتعـددة ، بأن توقعـات الردة الحضرية ضئيلة ، وأن أضواء التـألق الحضرى ترجح كفة التغيير ، وتؤمن ديمومة المستوطنة الحضرية التى تحل محل المستوطنة الريفية .

ويجسـد الشكل الآخر للمستوطنة الحضرية (المدينة) ، النشأة التى تكون فى الأصل لحساب التحضر . ونقول ان التعامل بين الانسان والأرض ، والوصـول الى الضبط والانضباط المتبـادل بينهما الـذى ييسر توطين الخدمات ، على صعيد الأرض فى المسـاحة المعنية ، هو الـذى يغرس بذرة الوجود الحضرى . وسواء كانت هـذه الخدمات مطاوبة لحسـاب التشكيل الاجتمـاعى ، أو لحسـاب الهدف الاقتصـادى ، أو لحساب الغرض الدينى أو لحساب الضبط الادارى والسـياسى ، فانها تشهد تهافت حركة الحياة عليها فى المكان والزمان . وقل أن توطين هـذه الخدمات بعضها أو كلها ، يستوجب استيطان من يهمهم انتاج هذه الخدمات وعرضها على كل أولئك الذين يتهافتون على طلبها والتنعم بها . ومن شأن هذه المستوطنة أن تشهد

الوفود القادمة اليها من الاقليم الفسيح المحيط بها ، ولا هم لهم غير طلب الانتفاع بانتاج هذه الخدمات . ومن خلال قدوم الوفود وايابها ، تتوثق العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين المستوطنة الحضرية ، والاقليم الفسيح على صعيد الريف من حولها .

وتوثيق العلاقة بين المستوطنة الحضرية والاقليم الفسيح من حولها ، يعنى فيما يعنى استشعار المصلحة المتبادلة ، بين الحضر والريف . ويستوجب هذا الاستشعار ، تأمين حق الريف فى الحصول على الحصة المتناسبة من الخدمات فى مقابل عرض فائض الانتاج الريفى على أهل المستوطنة الحضرية ، وتأمين حق الحضر فى عرض انتاج الخدمات المتاحة ، فى مقابل طلب فائض الانتاج الريفى من جموع الوافدين على المستوطنة الحضرية . وقد تغرى أضواء التحضر واستشعار حلاوة الحياة الحضرية الناعمة ، بعض الوافدين ، بالاقامة فى المستوطنة الحضرية والانضمام الى بنيتها السكانية . ويفضى هذا الانضمام الى البنية السكانية الى شىء من التعجل فى النمو السكانى ، على صعيد المستوطنة الحضرية . بل قل إنه يرسخ التحضر ، ويؤمن الامعان والتمادى فى التحضر .

وهكذا يستوعب الاجتهاد الجغرافى ، روح الانفتاح التى تهيمن على صعيد المستوطنة الحضرية ، وكيف تنشأ قنوات الاتصال ، فتوثق العلاقة بين المستوطنة الحضرية ، والاقليم الفسيح على صعيد الريف والمستوطنات الريفية من حولها . وقل يدرك الاجتهاد الجغرافى مبلغ الارتباط الحقيقى بين انتعاش هذه العلاقة ، وانتعاش الحياة الحضرية فى المستوطنة الحضرية . وانتعاش هذه العلاقة يعنى زيادة ونمو حركة الوافدين الى المستوطنة الحضرية من الاقليم الفسيح من حولها وهم يطلبون الخدمات منها ، أو وهم يعرضون فائض انتاجهم عليها . وسواء استوجبت هذه الحركة اقامة الوافدين يوما واحدا أو عدة أيام ، حتى يتحقق الغرض الذى قدموا من أجله ، فانهم يعيشون حياة الغربة فى المستوطنة الحضرية . وفى مقابل

طلب كرم الضيافة وحسن الاقامة ، يطلب الاستيطان الحضرى من الوافدين حسن السلوك والامتثال للنظام ·

ويطور طلب كرم الضيافة وحسن الاقامة والتنعم بانتاج الخدمات ، بل قل ينعش الأوضاع السائدة ، ويضيف الجديد ويوسع قاعدة الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية · ويجاوب الاستيطان الحضرى طلب الوافدين وعينه لا تكاد تغفل عن سلوكهم كأغراب · وقد استوجب ذلك فى مرحلة بناء السور ووضع الأبواب وحراسة وحصر وفود القادمين ووفود المغادرين· واستوجب طلب الأمن فى مرحلة أخرى ، وضع النظام وفرض الضوابط التى تحرس وفود القادمين الى المستوطنة الحضرية ، وترقب اقامتهم وتحركاتهم ، وتتابع مغادرتهم فى رحلة الاياب والمغادرة ·

وفى مثل هذه المستوطنة الحضرية ، التى لا محل للاستيطان الريفى فيها ، أو التى تشغل موقع أو تحتل مكان عاشت فيه مستوطنة ريفية ، يكون التحضر أصيلا · وأصالة التحضر تعفيه فى المكان والزمان من مواجهة التريف ، وتثبت أقدام المضى الحضرى على درب الامعان فى التحضر · وحتى لو فرضت المتغيرات دواعى الانتعاش أحيانا ، ودواعى الانتكاس أحيانا أخرى ، فلا تكاد تفقد المستوطنة مقومات وجودها الحضرى ، ولا تتحمل وطأة وضغوط الردة الحضرية · وقل انها تتأرجح بين الازدهار الحضرى وهى مدينة تتمادى فى التحضر ، والانحطاط الحضرى ، وهى مدينة لا تفرط فى التحضر · بل قل ان هذه المستوطنة الحضرية قامت لكى تبقى حضرية فى علياء التقدم أو فى غياهب التأخر فى المكان والزمان ·

والمستوطنة الحضرية سواء جسدت التحول من أصل ريفى أخذ بأسباب التحضر ، أو جسدت النشأة الأصيلة التى بنيت على أصول راسخة للتحضر ، فان هذا الوجود الحضرى لا يكون أبدا فى غيبة الخدمات التى يفضى اليها الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض لاستخدام الأرض فى السكن والاستيطان الحضرى · وقل أيضا ان هذا الاستيطان الحضرى ، لا ينبنى على العشوائية أبدا · بل قل انه يلتمس حسن الاختيار

ومباشرة القــدر المناسب من التخطيط لاقامة المستوطنة الحضرية . ويظل الامعان فى المضى على درب التحضر فى حاجة ملحة الى مزيد من العنــاية بالتخطيط . ولا يمتلك الاجتهاد الجغرافى القدرة على استيعاب هذه العـلاقة بين التحضر والامعـان فى التحضر والتخطيط له فقط ، بل فى وسعه أن يبصر ويرشد التخطيط العمرانى الحضرى لكى يؤمن مضى التحضر على درب الصواب اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا .

صحيح أن انشاء المستوطنة الحضرية التى تستجد فى الوقت الحاضر ، يعتمد اعتمادا كليا على التخطيط بعــد حسن اختيـار المساحة المناسبة . وصحيح أيضا أن مسئولية التخطيط ، تباشر حسن توجه التوسع الرأسى ، وحسن توجه التوسع الأفقى ، وكأنهـا تحرس نمو المستوطنة الحضرية . ولكن الصحيح بعــد ذلك كله ، أن دراسة المستوطنات الحضرية العتيقة ، والتدقيق فى تاريخ حياتها ، وهى تتأرجح بين الازدهار الحضرى أحيـانا ، والاضمحلال الحضرى أحيانا أخرى ، تجسد شيئا مناسبا من الاختيـاز على صعيد الأرض لكى تكون بذرة الوجود الحضرى ، وشيئا مناسبا من التخطيط المتواضع ، لكن يؤمن هذا الوجود الحضرى ، فى المكان والزمان . وهــذا معنـاه أنه لا عشوائية أبدا فى أى مجال من مجالات الاستيطان الحضرى . ومعناه أيضا أن غيــاب حسن اختيـار الموضع أو غيـاب التخطيط حتى ولو كان تخطيطا متواضعا ، يطعن فى سلامة الوجود الحضرى .

والطعن فى سـلامة الوجود الحضرى ، يفتح أبواب المتغيرات لـكى تتواضع أو تضمحل المستوطنة الحضرية ، فى المكان والزمان . وقد يتمادى هذا الطعن الى حد التأثير على الدور الوظيفى ، الذى يبرر وجود المستوطنة الحضرية . والويل كل الويل للمستوطنة الحضرية التى يفتقـد الاستيطان الحضرى فيها مبررات وجودها . ذلك أن هذا الطعن يطعن فى العـلاقة بين الانسان والأرض حتى تتفسخ ، وتصبح الأرض غير صالحة لاستمرار وجود المستوطنة فى المكان والزمان . وهذا معناه أن الاستيطان الحضرى ، يظل

مسئولا عن المحافظة على دور المستوطنة الحضرية الوظيفى ، حتى لا يستنفد أغراضه ، ويحق عليها أن تندثر ، وتبدو وكأنها مستوطنة أشباح .

وما من شك فى أنه اعتبارا من انشاء أقدم المستوطنات الحضرية ، والتى ما زال بعضها قائما فى موضعه ، كان الحس الجغرافى مسئولا عن ترشيد اختيار الموضع المناسب لقيام المستوطنة الحضرية . وقل يظل الحس الجغرافى فى صحبة الاقدام على تصميم أو تخطيط انشاء المستوطنة ، مسئولا عن ترشيد نية الانشاء ، وترشيد تنفيذ هذا الانشاء . بل قل انه فى غياب هذا الترشيد ، يكاد يتعذر حسن توثيق العلاقة ، فى اطار الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، من أجل استخدام الأرض فى السكن والاستيطان على صعيد المستوطنة الحضرية .

هذا ، ويشمر الاجتهاد الجغرافى العلمى التطبيقى عن ساعد الجد ، لكى يبصر عمليات انشاء وتطوير وتنمية المستوطنات الحضرية . وفى هذا المجال الحيوى ، يكون الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن حصر وتقصى خواص الأرض وترشيد اختيار المساحة الأنسب لانشاء المدينة . كما يكون هذا الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن تقصى الضوابط الطبيعية والضوابط البشرية . وهى من وراء المواجهة بين الانسان والأرض والتى تفضى الى تيسير أمر استخدام الأرض وتطويعها ، حتى يتسنى انشاء المستوطنة الحضرية فى المكان والزمان ، على بصيرة . ومن ثم لا يغيب ولا ينبغى أن يغيب الجغرافى عن صفوف الفريق الذى يخطط لانشاء أى مستوطنة حضرية مستجدة ، أو لتنمية أى مستوطنة حضرية موجودة بالفعل .

وفى صحبة تخطيط المدن ، تكون العناية بتصميم الطرق وفتح الشوارع على صعيد المستوطنة الحضرية ، وتلتمس هذه العناية سيولة الحركة على كل المحاور ، وتجنب الاختناقات . كما تكون العناية أيضا بتقسيم المربعات السكنية ومتابعة الامتدادات العمرانية على المستوى الأفقى

وعلى المستوى الرأسى . وتشتمل هذه العناية وضع الضوابط التى ينبغى أن تلتزم به عمليات البناء ، من حيث الشكل والعلو ، أو من حيث حسن التنسيق بين العلو وعرض الشارع . وعلى درب العناية بترشيد انشاء المستوطنة الحضرية ، يكون الاهتمام بحسن توزيع الخدمات وانتشارها على صعيد الفسيح ، حتى تبدو متاحة أو فى متناول الاستيطان الحضرى . كما يكون الاهتمام بحسن توطين الصناعة فى المساحات المناسبة التى تحقق أقل قدر من التلوث على صعيد المستوطنة الحضرية . ويبقى الاهتمام والعين لا تغفل عن تجهيز وتأهيل المرافق التأهيل المناسب لحاجة العصر فى المستوطنة الحضرية .

ولأن المستوطنة الحضرية فى الوقت الحاضر ، تتحمل مسئولية أكثر من دور وظيفى فى مكانها الجغرافى ، يتحرى التخطيط ، تأهيلها لأداء المهام المنوطة بها . ويستوجب الأمر شيئا مناسبا مع ترتيب أولويات الوظائف التى تهم الاستيطان الحضرى ، ويلتمس انجازها ، حتى لا يتأتى التعارض بينها ، أو حتى لا يكون التخبط فى الانجاز . كما يستوجب الأمر أيضا ، شيئا مناسبا من التنسيق كلما أضيف دور وظيفى الى مجموعة الوظائف الأخرى التى تهم الاستيطان الحضرى ، وتحرى عواقب هـذه الاضافة على أوضاع المدينة والتوسع العمرانى من ناحية ، وعلى أوضاع الاستيطان الحضرى الاقتصادية والديموجرافية والاجتماعية من ناحية أخرى . ويظل الاجتهاد الجغرافى وعينه لا تغفل عن فعل المتغيرات على صعيد المستوطنة ، حتى يكون فى وسعه الابقاء أو المحافظة على أقصى درجات الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، من أجل تطويع وتطوير وتأمين استمرار استخدام الأرض فى السكن والاستيطان وتحسين مستواه ، فى المكان والزمان ، لحساب الوجود الحضرى .

★ ★ ★

هذا ، واذا كان من شأن الاجتهاد الجغرافى أن يتحرى حسن التمييز وحسن التعبير عن التفاوت أو الاختلاف بين أنماط استخدام الأرض

فى السكن والاستيطان على صعيد البـــداوة ، وعلى صعيد الريف ، وعلى صعيد الحضر ، فانه يظل معنيـا بحسن التمييز وحسن التعبـير عن تفاوت مستويات هذه الأنماط على كل صعيد من هذه الأصعدة • ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يحسب حساب الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية ، لكى يتسنى التمييز ، بين تفاوت مستويات أنماط استخدام الأرض فى السكن والاستيطان ، وهو ضرورى للانسان على كافة مستويات المعيشة التى تتراوح بين مستوى الكاف ومستوى الكفاية ومستوى الرفاهية • وقل يكفى أن يبلغ هذا التمييز حد الفصل الواضح بين المستوى التقليدى فى استخدام الأرض فى السكن ، والمستوى المتطور فى استخدام الأرض فى السكن •

ويعلن المستوى التقـــليدى عن شىء كثـير من الجمـود ، واعراض الاستيطان فى المستوطنة عن التجديد أو الاضافة • وصحيح أن ذلك الجمود يحافظ على الأصالة ، ولا يفرط فى شىء من التراث ، ويعتز كثـيرا به على صعيد المستوطنة على أى صعيد من الأصعدة • ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن المحافظة على الأصـــالة لا ينبغى أن تبرر التحلى بالجمود والاعراض عن المعاصرة • ومع ذلك يبقى الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن التحرى الجيد الذى يلتمس ويحسن تفسير دواعى هذا الجمود • ويلهم هـذا التحرى الاجتهـاد الجغـرافى ، الكيفية التى تخلع عن استخدام الأرض فى السكن استخداما تقليديا ، لباس هذا الجمود الذى يستغرق فى الأصالة ، ويحرم نفسه من روح المعاصرة •

أما المستوى المتطور من استخدام الأرض فى السكن ، فانه يعلن عن شىء مناسب من التحرر وطلب التجديد ، واقدام الاستيطان فى المستوطنة على الاضافة من حين الى حين آخر • والتحلى بكل دواعى التغيير فى صحبة الشىء المناسب من الانفتـــاح وحسن الأخذ والعطـاء ، لا يعنى شيئا من التعارض بين المحافظة على الأصالة والتماس المعاصرة على صعيد المستوطنة ، وهى على استعداد للتجديد • ويبقى الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن تحـرى

سلوك الاستيطان الذى فى وسعه أن ينسق بين الأصالة والمعاصرة . ويلهم هذا التحرى الاجتهاد الجغرافى ، الكيفية التى ترشد استخدام الأرض فى السكن استخداما مناسبا يمضى على درب الصواب دون تفريط فى استيعاب المتغيرات ، أو تفريط فى الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية لحساب الاستيطان وتطلعاته المنشودة .

وأهم ما يهم الاجتهاد الجغرافى ، ويمثل شغله الشاغل ، هو تحرى توجهات التطور فى استخدام الأرض فى السكن على صعيد المستوطنة المأهولة ، أو على صعيد المستوطنة المستجدة ، ومبلغ استجابة هذه التوجهات للمتغيرات المتنوعة والمرتقبة من عصر الى عصر آخر . كما يهم الاجتهاد الجغرافى تحرى مبلغ التوازن بين الأخذ بأسباب التجديد دون تفريط فى الأصالة من ناحية ، والأخذ بأسباب المحافظة على البيئة دون تفريط فى المعاصرة من ناحية أخرى . هذا بالاضافة الى الاهتمام الجغرافى بحسن التجاوب بين التجديد والتطور والنمو الديموجرافى ومعدلاته السائدة فى المستوطنة المتطورة .

★ ★ ★

استخدام الأرض فى توفير الخدمات :

صحيح أن الخدمات تكون مطاوبة لحساب الانسان ، وهو يستخدم الأرض فى الانتاج ، أو وهو يستخدم الأرض فى السكن ، ولا يكاد يستغنى عنها . وصحيح أن الخدمات وهى تتنوع وتتراوح بين الخدمات الضرورية والخدمات الكمالية تعلن عن مستوى هيمنة الانسان وتسخير الأرض . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو استشعار حاجة الاجتهاد الجغرافى الى نظرة خاصة تتمعن فى استخدام الأرض فى توفير الخدمات ، دون اهمال أو تفريط فى الصلة بين الخدمات وهى لحساب الانسان عندما يستخدم الأرض فى السكن . بمعنى أن الاجتهاد الجغرافى ، لا يهتم بالخدمات التى يتأتى توفيرها أو توزيعها على صعيد المستوطنات فقط ، ويصدق عليها ما يصدق

على استخدام الأرض فى السكن ، بل يهتم أيضـا بالخدمات التى يتأتى انتشارها على أوسع مدى ، فى أنحاء الأرض التى تستخدم فى الانتاج ٠

وفى الاعتقاد الجغرافى أن الخدمات تمثل شيئا من حصاد المدنية ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان ٠ ومن شأنها أن تكون لحساب الانسان الذى يطلبها ، لكى ينتفع بها وتشد أزر وجوده وسيادته ، أو لكى يتنعم بها وتعزز حياته وتنعش مستواه الحضارى ، على صعيد الأرض ٠ وفى كل الأحوال ، يخصص الانسـان مساحات من الأرض التى يباشر تطويعها واستخدامها الاستخدام ، الذى يؤهلها لتوفير الخدمات المناسبة ، فى المكان والزمان ٠ ويتعمد هذا التخصيص حسن التمييز بين نوعين من الخدمات هما :

أولا ـ الخدمات التى تسعف حركة الحيـاة ، والانسان يتعـامل مع الأرض لـكى يطوعهـا ويستخدمها الاستخدام المنـاسب الـذى يسخرها للانتاج ٠

ثانيا ـ الخدمات التى تنعم حركة الحيـاة ، والانسـان يتعامل مع الأرض ، لكى يطوعهـا ويستخدمها الاستخدام المناسب الـذى يسخرها للاستيطان والسكن ٠

* * *

توطين الخدمات لحساب الانتاج :

وفى الاعتقـاد الجغرافى ، أن الخـدمات التى تسعف حركة الحيـاة ، وهى تباشر استخدام الأرض فى الانتاج ، تمثل وسيلة من الوسائل التى يتعين توظيفها توظيفـا مناسبا ، فى مجال الانتـاج ٠ بمعنى أن يستشعر الاجتهاد الجغرافى جدوى الخدمات ، وهى تيسر للانسان أمر الانتفاع بالثروة المتـاحة فى المعين أو فى المورد ، على صـعيد الأرض ٠ ونذكر على سبيل المثال ، مبلغ حاجة الانسان وهو يباشر استخدام الأرض فى الانتاج ، الى

امتداد شبكة الطرق أو شبكة سكك الحديد أو قنوات النقل النهرى ٠ وقل أن حركة الحياة لا تستغنى عن حسن تشغيل وحسن الانتفاع بهذه الخدمة ، وهى ذات جدوى فى مجال تأمين العلاقة بين الانتاج والاستهلاك ، أو وهى ذات جدوى فى مجال تأمين العلاقات الاجتماعية والترابط الاجتماعى ٠

وفى اطار النظرة الجغرافية التى تتمعن فى دراسة استخدام الأرض فى الانتاج ، تبدأ الدراسة الجغرافية وتوجه العناية التى تتحرى توفير الخدمات المناسبة لمباشرة الانتاج ، فى كثير من الأحيان ٠ وعلى صعيد الأرض التى تضم مساحات من الزراعات المروية ، يدرك الاجتهاد الجغرافى قيمة أو جدوى انشاء وتجهيز والمحافظة على شبكة قنوات الرى ، وهى توفر الخدمة التى لا يستغنى عنها الانسان ٠ كما يدرك الاجتهاد الجغرافى على أى صعيد من أصعدة استخدام الأرض فى الانتاج ، كيف يطالب الانسان أولا وقبل أى شىء ، شبكة النقل ووسيلة مناسبة للنقل، على مستوى العلاقة بين مناطق الانتاج والمستوطنة الريفية على المستوى المحلى والاقليمى ، أو على مستوى العلاقة بين مناطق الانتاج والعالم على أوسع مدى ٠

وتستحق هذه الخدمات التى تسعف الانسان وهى وسيلة من وسائل الانتاج ، وقفة جغرافية متأنية ، تتحرى حصر مساحات الأرض التى يخصص استخدامها فى توفير هذه الخدمات ٠ وقد تستوجب هذه الوقفة الجغرافية شيئا من التوازن بين دراسة وحصر استخدام الأرض فى الانتاج ، ودراسة وحصر واستخدام الأرض فى الخدمات ٠ واضافة الى هذا التوازن ، تستوجب الدراسة الجغرافية أيضا شيئا من التوازى تجنبا للخلط أو التداخل بين موضوعية استخدام الأرض فى الانتاج ، وموضوعية استخدام الأرض فى توفير الخدمات لحساب هذا الانتاج ٠ وهذا معناه أن الاستخدام الريفى للأرض فى الانتاج أو الاستخدام الحضرى فى توطين الصناعة ومباشرة أى الاجتهاد الجغرافى ، لا يسقط من حسابه العلاقة بين

استخدام الأرض فى الانتاج من ناحية ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات التى تكون ذات جدوى اقتصادية فى مجال الانتــاج ، أو التى تــكون ذات جدوى اجتماعية لحساب الانسان المنتج من ناحية أخرى .

وتحرى هذه العــلاقة ، لا يعنى أبدا الخلط بين الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض توطئة لاستخدام الأرض فى الانتاج ، والضبط والانضباط المتبادل بين الانســـان والأرض ، توطئة لاســتخدام الأرض فى الخدمات . ومن شــأن الاجتهــاد الجغرافى أن يتحرى ضــوابط خواص الأرض ومبلغ انضباط الانسان بها فى اطار وضوح رؤيته لـكفاءة وسائل الانسان فى مواجهة الأرض . ومن شأن الاجتهاد الجغرافى أيضا أن يتحرى ضوابط قدرات الانسان ومبلغ انضباط الأرض بها فى اطار وضوح رؤيته لطبيعة الأرض فى مواجهة الانســان . ولأن قدرات الانســان وقوة فعل ضوابطه ، تتفاوت من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر الى عصر آخر ، فان الضبط والانضباط المتبــادل من خــلال المواجهة يتفــاوت ســـاعة تطويع الأرض . وفى ظل هذا التفاوت ، تتفاوت مستويات تنفيذ الخدمات ، على صعيد الأرض ، وتتفــاوت مستويات تشــغيل أو توظيف هــــذه الخدمات والانتفاع بها .

ويتمادى الاجتهــاد الجغرافى فى تحــرى الخدمات التى تسعف حركة الحياة فى المكان والزمان ، والانســـان يتعامل مع الأرض لــكى يطوعهــا وتطاوعه ، ويستخدمها الاستخدام الذى يسخرها للانتــاج ، حتى يصبح فى وسعه أن يميز ويصنف هذه الخدمات ، ويضع الاجتهاد الجغرافى خدمات النقل ، سواء تتمثل فى شبكة طرق أو فى شــبكة خطوط حديدية أو فى موانى نهرية أو موانى بحرية أو فى موانى جوية ، على رأس القــائمة التى تضم هذه الخدمات . بل قل أنها فى تقدير الاجتهــاد الجغرافى أنها الخدمة التى يتعين الانتفاع بها على صعيد أى مســاحات من الأرض التى تستخدم لحساب الانتاج ، دون تمييز بين انتاج المواد الأولية أحيانا ، وانتاج السلع

المصنعة أحيانا أخرى ، ويعقب الاجتهاد الجغرافى على ذلك ، ببيان محصلة الانتفاع بهذه الخدمة ، وحساب جدواها اقتصاديا واجتماعيا ، وهى فى خدمة الانتاج ٠

ومن عمومية الانتفاع بخدمات النقل على كل صعيد من أصعدة استخدام الأرض فى الانتاج ، ينتقل الاجتهاد الجغرافى ، الى رصد وحصر الخدمات الأخرى وخصوصية الانتفاع بها ٠ وهذه الخصوصية تعنى لزوم هذه الخدمات لنمط معين من أنماط استخدام الأرض ٠ وشبكة قنوات توزيع ماء الرى ، على سبيل المثال ، هى خدمة تستغرق فى الخصوصية التى تخص استخدام الأرض فى الانتاج الزراعى على صعيد المساحات المروية ٠ ومن شان الاجتهاد الجغرافى أن يتحرى كفاءة هذه الخدمة ، ومبلغ الحاجة اليها ، حتى يتسنى للانسان مباشرة الرى وتأمين الكم المناسب من ماء الرى للمحاصيل المنزرعة ٠ بل قل ينبغى أن يقدر الاجتهاد الجغرافى قيمة هذه الخدمة الايجابية وهى تقف فى صف الانسان ، الذى يستخدم الأرض المروية فى الانتاج الزراعى ٠ كما يحسب الاجتهاد الجغرافى سلبيات هذه الخدمة ، وهى موطن للأمراض المتوطنة يلوثها الانسان فتطعن فى سلامته الصحية ٠

وكما يكون الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن حصر مساحات الأرض التى تستخدم فى توطين الخدمات : وعن رصد مبلغ نجاح الانسان فى حسن اختيار هذه المساحات ، يكون مسئولا أيضا عن تحرى مبلغ التزام توطين الخدمات بالضبط والانضباط المتبادل وصولا الى الحد الأنسب لهذا التوطين وحسن الانتفاع به فى مجالات الانتاج ٠ ويسعف هذا التحرى الاجتهاد الجغرافى باعلان الرأى السليم الذى يحكم على مستوى وكفاءة هذه الخدمات وهى جزء لا يتجزأ من البنية الأساسية على صعيد الأرض التى يطوعها الانسان فتطاوعه ويستخدمها فى الانتاج ٠ بل قل يكون هذا الرأى الجغرافى وكأنه التوصية التى تلعب دورا مناسبا فى صدد تحسين مستوى هذه

الخدمات لحساب تحسين الأوضاع لحساب الانتاج ، على صعيد الأرض المستخدمة ٠

وانطلاقا من هذا المنطق ، يكون الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن ترشيد الاقدام على غزو مساحات من الأرض بقصد التعامل معها وتطويعها لحساب الانتاج ٠ ويشمل هذا الترشيد الجغرافى ، حسن اختيار مساحات الأرض التى تخصص لتوطين الخدمات الضرورية التى لا يستغنى عنها تطويع الأرض ومباشرة استخدامها فى الانتاج ٠ كما يشمل هذا الترشيد الجغرافى أيضا ، التماس وحسن الكشف عن الحد الأنسب أو الأمثل للضبط المتبادل بين الانسان والأرض ، حتى يتسنى توطين واقامة هذه الخدمات ، على أسس سليمة ، تجاوب تطلعات الانسان لاستخدام الأرض فى الانتاج ٠ وقل أنه كلما كان الاجتهاد الجغرافى مدققا فى البحث الذى يبتنى عليه هذا الترشيد ، جاءت التوصيات الجغرافية مناسبة ، وتأتى توطين هذه الخدمات وتأمين توزيعها الجغرافى على بصيرة ٠

ومهما يكن من أمر فان هذه الخدمات ، تبدو لازمة وضرورية ، ولا يكاد يستغنى عنها الانسان وهو يباشر استخدام الأرض فى الانتاج ٠ ويحسب الاجتهاد الجغرافى حساب هذه الضرورة ، ومعنى عدم التفريط فيها ٠ وفى اطار هذا الحساب ، يدقق الاجتهاد الجغرافى فى العلاقة الحميمة بين مستوى هذه الخدمات ومبلغ الانتفاع بها من ناحية ، ومستوى الأداء الذى يتأتى به استخدام الأرض فى الانتاج من ناحية أخرى ٠



توطين الخدمات لحساب تنعم الحياة

كما يستحق الانسان الخدمات التى تسعف اقباله على استخدام الأرض ، وتكون كأنها جزء من الوسائل المتاحة للانتفاع بالمورد ، يستحق أيضا الخدمات التى تيسر له أمور الحياة ، وهو يلتمس أقصى قدر متاح

من الأمن والسلامة والتنعم • وتعبر هذه الخدمات عن مبلغ عناية المجتمع بالفرد • وقد استوجبت هذه العناية ، أن يلقى المجتمع على كاهل طائفة من الأفراد فى اطار تقسيم العمل ، مسئولية هـذه الخدمات وعرض انتاجها المتنوع حقا مشروعا لكل فرد من أفراد المجتمع • واستوجبت هذه العناية أيضا ، اختيار وتخصيص مساحات من الأرض ، لكى تستخدم الاستخدام الأنسب لتوطين الخدمات وتأمين وضع انتاجها فى متناول الأيدى التى تتهافت على طلب الانتفاع بها •

ويدرك الاجتهاد الجغرافى ، معنى ومغزى وجدوى أن يضع المجتمع قواعد المدنية التى تنظم وجوب استخدام الأرض فى الانتاج ، ووجوب استخدام الأرض فى السكن ، فى مقابل حق الانسان فى الحصول على الخدمات • وسواء كانت الخدمات حق يطلبه الفرد من المجتمع ، أو واجبه يفرضه المجتمع على الفرد ، فان المدنية قد تحملت مسئولية فى شأن :

اولا — تحديد نوع الخدمات المناسبة ، لحساب العناية بالفرد من خلال المجتمع ، أو لحساب العناية بالمجتمع من خلال الفرد •

ثانيا — تأهيل الكوادر المناسبة لتوفير الخدمات ، وعرض انتاجها بالشكل والكيف المناسب فى الوقت المناسب على كل من له الحق فى الانتفاع أو التنعم بهذه الخدمات •

ثالثا — توطين الخدمات ومراعاة حسن توزيعها توزيعا جغرافيا فى مساحات الأرض المنتخبة ، حتى يصبح انتاجها فى متناول الأيدى التى يحق لها الحصول على هذا الانتاج •

وفى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يدرك العلاقة بين مسئولية المدنية عن توجهات الفرد والمجتمع لطلب الخدمات فى جانب ، ومسئولية المدنية عن عن توفير هـذه الخدمات وحسن عرض انتاجها فى جانب آخر • كما يدرك

الاجتهاد الجغرافى كيف استوجبت هذه العلاقة • النظام والتنظيم الذى تحمل مسئولية عرض انتاج الخدمات ، وتأمين حق كل من له حق الحصـول عليها فى المكان والزمان • وكأن المدنية قد قامت على القدر المتفق عليه من مباشرة استخدام الأرض فى الانتـاج واستخدام الأرض فى الاستيطان والسكن ، ثم استوجبت القدر المناسب من الخدمات التى تؤمن مطالب ومصالح وأهداف أصحاب هذه المدنية • بمعنى أن المجتمع الـــذى كان مسئولا عن استخدام الأرض فى الانتـــاج ، وكان مســـئولا عن اســـتخدام الأرض فى السكن والاستيطان ، استشعر الحاجة الى الخدمات فابتدع النظـام (الحكومة) وأسند اليها هذه المهمة •

هذا ، وكان طلب الأمن لحساب الفرد وحماية حقه الشخصى ، ولحساب المجتمع وحماية حقه العام ، أول حاجة استوجبت الخـدمة الأمنية • وتحمل النظام مسئولية هذه الخدمة الأمنية ، لحساب الفرد ولحساب المجتمع • ومن تنازلات الأفراد عن جزء من حرياتهم الشخصية ، فى مقـابل ما توفره لهم الخدمة الأمنية ، كانت السلطة التى وفرت ووظفت هـــذه الخدمة الأمنية على الصعيد المحلى • واتسعت مسئولية هذه السلطة التى وفرت ووظفت الخدمة الأمنية لتامين وجود المجتمع ضد أى عدوان مباشر أو غير مباشر يتعرض له فى المكان والزمان • ومع المضى الاجتمـاعى على درب التطـور الحضـــارى والاقتصادى ، تضاف خدمات كثيرة الى قائمة مطالب المجتمع والفرد منها •

واضافة الى الخدمة الأمنية ، نقرأ فى قائمة الخدمات ونتبين أنواعا كثيرة ومتعددة من الخدمات • ونذكر من هذه الخدمات المتنوعة :

١ ــ الخدمة القضائية وهى التى تعكف على فض الخصومة بين الناس ، وتحمى حق الفرد وحق المجتمع •

٢ ــ الخدمات التعليمية وهى التى تخرج الفرد من ظلام الجهل الى نور العلم ، وتكسبه المهارات وتصقلها •

٣ - الخدمات الصحية وهى التى تحمى صحة الفرد ، وتباشر العناية به وتعالجه من المرض ٠

٤ - خدمات النقل والاتصال وهى التى تجاوب الهدف الاقتصادى أو الهدف الاجتماعى من نقل السلع والأفراد والاتصال بين الناس على الصعيد المحلى ، أو على الصعيد الاقليمى ، أو على الصعيد العالمى ٠

٥ - الخدمات الدينية ، وهى تلبى حاجة الانسان لمباشرة الفريضة التعبدية واجراء الطقوس الدينية ٠

٦ - خدمات الترويح ، وهى التى تجاوب الهدف الاجتماعى من شغل وقت الفراغ واستشعار راحة النفس والتنعم وتوفر شيئا من الترفيه والرفاهية ٠

وفى ظل اتساع وتنوع الخدمات ، وزيادة الأعباء التى تستوجبها هذه الخدمات ، أباحت الحكومة للجهود الذاتية حق المشاركة فى توفير الخدمات٠ ومع ذلك فانها لم تفرط أبدا فى مسئولياتها عن الخدمات الأمنية والخدمات القضائية ، وهى أمانة فى عنق السلطة ، ومسئولية فى قبضة الحكومة ، وسواء كانت الخدمات مسئولية الحكومة أو كانت الخدمات مسئولية تشترك فيها الجهود الذاتية مع الحكومة ، وسواء كانت الخدمات مجانية أو كانت الخدمات مدفوعة الثمن ، فان الانتفاع بها يبتنى على أساس المستوى الحضارى ومقدار ما يتحلى به الفرد أو المجتمع من وعى ٠ ويكون هذا الوعى أحيانا من وراء الالحاح فى طلب الخدمات وعدم التنازل عنها ، ويكون غياب هذا الوعى أحيانا أخرى من وراء التفريط فى طلب الخدمات أو التهرب من الانتفاع بها ٠

وتقع عين الاجتهاد الجغرافى أول ما تقع على التوزيع العام للخدمات ، وتتبين أن هذا التوزيع يغطى مواقع الاستيطان أو المستوطنات ٠ بمعنى أن الخدمات وهى التى ينبغى أن يكون عرض انتاجها متاحا للانسان ،

تلازمه فى مواقع وجوده فى المستوطنة الريفية أو فى المستوطنة الحضرية . ومع ذلك هناك فرق بين حجم الخدمات ومبلغ تنوعها على صعيد هذه المستوطنات . وقل أن المستوطنة الحضرية دون غيرها من المستوطنات ، تمتلك نصيب الأسد من الخدمات . ولا وجه للمقارنة بين نصيب المستوطنة الريفية المتواضع من الخدمات التعليمية مثلا ، ونصيب المستوطنة الحضرية المتعالى من هذه الخدمات . بل قل هناك خدمات متاحة على صعيد المستوطنة الحضرية ، لا نظير لها أو لا مكان لها على صعيد المستوطنة الريفية أو المستوطنة البدوية . وهذا فى حد ذاته ، عامل من عوامل التمييز بين تواضع المستوطنة الريفية والخدمات على صعيدها محدودة ، وتالق المستوطنة الحضرية والخدمات على صعيدها كثيرة ومتنوعة .

وفى ظل تواضع نصيب المستوطنة الريفية من الخدمات ، يستشعر الاجتهاد الجغرافى ، معنى ومغزى غياب بعض الخدمات ولا محل للاهتمام بها وكانها كمالية ، ومعنى ومغزى وجود بعض الخدمات والاهتمام بها وكأنها ضرورية . ويكون هذا الغياب من وراء علاقة تبيح لأهل المستوطنة الريفية ، الانتقال الى المستوطنة الحضرية للحصول على أنتاج هذه الخدمات الغائبة . كما يكون التنور والتفتح على صعيد الاستيطان الريفى من وراء السعى الى اضافة خدمات جديدة أو مستجدة كانت المستوطنة الريفية محرومة منها . وتبشر هذه الاضافة بتغيير حضارى ، يضيق الفجوة الكبيرة بين أهل الحاضر وأهل الريف .

وفى ظل تواضع نصيب المستوطنة الريفية من الخدمات ، يستشعر الاجتهاد الجغرافى ، أن غياب بعض الخدمات وتواضع الموجود منها ، يخفض مساحات الأرض التى تستخدم فى توطين واقامة الخدمات . وربما لا يجد أهل المستوطنات الريفية أو المستوطنات البدوية ، حاجة لاختيار وعزل مساحات خاصة لتوطين الخدمات. وقل أنهم لا يجدون ما يمنع اقامة وتوطين الخدمات فى أحضان جزء من المساكن التى يباشرون فيها حياتهم العادية . ونذكر على سبيل المثال ، كيف يخصص من فى وسعه تعليم أبناء المستوطنة

الريفية ، غرفة خاصة فى مسكنه لكى يقابل فيها طلاب هذه الخدمة التعليمية .

وعلى صعيد الريف ، وفى ظل تواضع العناية بتوطين الخدمات المحدودة ، يستشعر الاجتهاد الجغرافى غياب قوة فعل أو تأثير الضوابط الطبيعية على هذه الخدمات . ومع ذلك تبقى الضوابط البشرية التى يستشعر الاجتهاد الجغرافى قوة فعلها المباشر وغير المباشر ، وتأثيرها على توطين وتوظيف هذه الخدمات . وتجاوب هذه الضوابط البشرية ما يعلن عنه سلوك الاستيطان الريفى السائد ، ومن ورائه التقاليد والقيم والشىء المناسب من التحفظ فى قبول التغيير واستيعابه . وهذا معناه أن استخدام الأرض لحساب الخدمات ، يستوجب شيئا من الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض .

وفى غياب الضبط والانضباط المتبادل ، وفى ظل استجابة توطين الخدمات على هامش استخدام الأرض فى السكن على صعيد المستوطنة الريفية للضوابط البشرية ، يستشعر الاجتهاد الجغرافى ، شيئا أهم من العناية بالخدمات التى تعتنى بصحة النبات أو بصحة الحيوان ، وشيئا أقل من العناية بالخدمات التى تعتنى بصحة الانسان . بمعنى أن ليس هناك معنى من معانى الترف وطلب التنعم فى مجال توطين الخدمات على صعيد الريف . بل قل انها خدمات تلبى شيئا من الضرورة ، لاستيطان ريفى شغله الشاغل استخدام الأرض فى الانتاج ، أكثر من أى شىء آخر . وفى الوقت الذى يلتمس فيه الاستيطان الريفى الخدمات الدينية وهو حريص على التدين ، لا يسأل أبدا عن غياب بعض الخدمات الأخرى رغم استعداده لطلبها أحيانا والذهاب الى المستوطنة الحضرية فى طلب انتاجها والانتفاع به أحيانا أخرى .

هذا ، ولا ينبغى أن يتحفظ الاجتهاد الجغرافى فى بيان مبلغ تجنى العشوائية وغياب التخطيط على صعيد المستوطنة الريفية على توطين

الخـــدمات • بل ينبغى أن يلقى الاجتهـــاد الجغرافى اللوم على الاستيطان الريفى ، وهو يتحلى بشىء من الجمود والاستغراق فى التقـــليد ، أو وهو لا يمتلك الوعى والتفتح وتفوته العنـــاية بتـوطين الخدمات على صـــعيد المستوطنة الريفية • كما ينبغى أن يفضح الاجتهـــاد الجغرافى العشوائية وانعدام الوعى وكل دواعى الوقوع فى عواقب عـدم التوازن بين العنـاية باستخدام الأرض فى السكن ، واستخدام الأرض فى توطين الخدمات ، على صعيد الريف •

وصحيح أن هناك نماذج مستجدة من المستوطنات الريفية على صعيد الريف فى الدول المتقـــدمة ، تجسد العمل على توظيف التخطيط الجيـــد للخروج من عواقب عدم التوازن وسوء توطين الخدمات أو حرمان الاستيطان الريفى منها • ولكن الصحيح أيضـــا أن الســـائد على صـــعيد الريف فى المستوطنـــات الريفية فى الدول النـــامية ما زال يدلل على خطيئة العشوائية ، ومعنى حرمان الاستيطان الريفى من كثير من الخدمات أحيانا ، ومعنى تواضع الخدمات لحساب الاستيطان الريفى أحيانا أخرى • ويؤكد الاجتهاد الجغرافى على قيمة المتغير الحضارى(١) الذى يتحمل مسئولية اضافة انتاج الخدمات المتنـــوعة الى قائمة حاجاته الضرورية أو الى قائمـة حاجاته الكمالية ، حسب المستوى المعيشى ، حتى يتأتى التغيير فى صورة استخدام الأرض فى توطين الخدمات فى المستوطنة الريفية •

وما يغيب على صعيد الريف ويمثل حلما ، يتـأتى على صعيد الحضر ويمثل حقيقة • وتعلن هـــذه الحقيقة عن شىء مناسب من التـــوازن بين

---

(١) تهب رياح هذا التغيير الحضارى على صعيد الريف فى مصر • ومع هذا التغيير ، يزداد الطلب على الخدمات المتنوعة • وتجاوب الدولة هذا الطلب • وتشارك الجهود الذاتية فى هذا الميدان • وتشهد القرى ثورة فى مجال توطين المستجد من الخـدمات التى يلتمسها أهل الريف ويتنعمون بها • ومع ذلك تبقى أزمة الخروج من العشوائية والتماس التخطيط من أجل تحسين أوضاع الخدمات أو من أجل تحسين مستوى استخدام الارض فى توطين الخدمات •

استخدام الأرض فى السكن على صعيد المستوطنة الحضرية ، واستخدام الأرض فى توطين الخدمات . وقل يبدو وكأن حاجة الاستيطان الحضرى الى السكن لا تقل بل تتوازى مع حاجته للخدمات . وفى الاعتقاد الجغرافى ، أن الارتباط المتوازى والمتوازن بين اقامة المساكن وتوطين الخدمات ، يرسخ معنى التحضر على صعيد المستوطنة الحضرية . كما يفضى الامعان فى توطين الخدمات وحسن توزيعها ، الى التمادى فى التحضر . ولأن الخدمات تمثل الانجاز الذى يتأتى فى صحبة الابداع الحضارى والتطور الحضارى للانسان ، وتكسب المستوطنة شيئا كبيرا من الازدهار ، فقد اشتق من الحضارة مفهوم التحضر ، وكانت المستوطنة الحضرية .

وفى الاعتقاد الجغرافى ، أن توطين الخدمات وتوزيعها واضافة المستجد اليهـا من عصر الى عصر آخر ، خص المدينـة أو المستوطنة الحضرية بدور وظيفى متميز . وكان الاستيطان الحضرى عندئذ مسئولا عن انجاز المهام التى يستوجبها هذا الدور الوظيفى . ولأن طبيعة الجمع وحسن التنسيق المتوازى والمتوازن بين اقامة السكن فى جانب ، وتوطين الخدمات فى جانب آخر ، تعنى حسن الصحبة بينهما ، فان الاستيطان الحضرى يعيش حياته وهو يعمل بهمة فى انتاج الخدمات وحسن عرضها نهارا ، ثم وهو يأوى الى سكنه ومحل اقامته ليلا . وهذا معنـاه أن المستوطنة الحضرية ، وهى فى مكانها الجغرافى المنتخب ، تحتـوى الاستيطان الحضرى عنـدما يتحمل مسئولياته فى انجاز الدور الوظيفى المنوط به ، وعندما يحق له استشعار الأمن والأمان فى مسكن مناسب . ومعناه أيضـا أن الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية ، هى التى هيأت للاستيطان الحضرى أن يعمـل ويكدح داخل كردون السكن ، وأن يتعامل مع حركة الحياة خارج كردون السكن فيقدم انتاج الخدمات لها فى مقابل انتاج الريف .

واذا كان من شـأن الاجتهاد الجغـرافى أن يستشعر التنسـيق بين استخدام الأرض فى اقامة المسـاكن ، فى جانب ، واستخدام الأرض فى

توطين الخدمات فى جانب آخر ، على صعيد المستوطنة الحضرية ، فانه يدرك بالضرورة معنى الندية بينهما فى العلاقة • فلا تابع ولا متبوع ، ولا الخدمات ينبغى لها أن تسبق السكن فى الاهمية على صعيد المستوطنة الحضرية ، ويحسب حساب انتاجها فى تالق وجودها الحضرى فى المكان والزمان •

وموضوعية البحث الجغرافى قد تسال عن المبررات التى تفسر الجمع وحسن التنسيق بين استخدام الأرض فى السكن ، واستخدام الأرض فى الخدمات ، على صعيد المستوطنة الحضرية ، وتعلن عن هذه المبررات بعد حسن الاقتناع بها ، ولكن البحث الجغرافى يكون أكثر موضوعية عندما يتحرى الفرق الكبير بين تطويع الأرض لاقامة المساكن وتطويع الأرض للخدمات • ويدرك الاجتهاد الجغرافى أن الصحبة التى تجمع بين تطويع الأرض فى اقامة المساكن وتطويع الأرض لتوطين الخدمات ، لا تسقط الحاجز أبدا بين حساب واستطلاع الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض وهو يعمل من أجل هذا التطويع المناسب لكل منهما • ويكفى أن يكون طلب السكن منتهيا الى شىء من الخصوصية الفردية أو الاسرية ، وأن يكون طلب انتاج الخدمات منتهيا الى شىء من العمومية الاجتماعية ، لكى يستوجب الأمر التفاوت بين الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، لكل منهما على حدة •

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى يتحرى ويدقق فى مسالة الضبط والانضباط المتبادل ، حتى يتسنى تطويع الأرض واستخدامها لتوطين الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية • وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى يتحرى ويدقق فى مسألة انتاج الخدمات المتنوعة وعرضه العرض المناسب ، على صعيد المستوطنة الحضرية ، لحساب الاستيطان الحضرى ، أو لحساب الوافدين اليها من كل حدب وصوب • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن عناية الاجتهاد الجغرافى تسال أول ما تسال عن توزيع الخدمات توزيعا

جغرافيا على صعيد المستوطنة الحضرية فى المكان والزمان • ويكون شغل الاجتهاد الجغرافى الشاغل ، تحرى واستشعار ، انتشار هذه الخدمات انتشارا مناسبا ، يضع انتاجها فى متناول أيدى من يطلبها ويلتمس الانتفاع بها • وكأن العلاقة بين الخدمة وما يتيسر لها أن تنتجه فى جانب ، وأولئك الذين يحق لهم الانتفاع بانتاج هذه الخدمة فى جانب آخر ، تفرض ضابطا من أهم ضوابط حسن الصحبة بين الاستيطان الحضرى واستخدام الأرض فى السكن ، واستخدام الأرض فى الخدمات وتوظيفها فى أنحاء المستوطنة الحضرية •

وقل أن الربط المتوازى والمتوازن بين اقامة السكن وتوطين الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية ، قد استوجب شيئا مناسبا من توظيف التخطيط لتامين هذا الربط أو تلك العلاقة • كما استوجب حسن توزيع أو انتشار الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية ، مزيدا من حسن التخطيط لتامين التوازن بين عرض انتاج الخدمات وتهافت الاستيطان الحضرى على طلبه • بمعنى أن لا محل للتوزيع العشوائى ولا جدوى لتوطين الخدمات فى غياب التخطيط الخدمى ، الذى يسهم فيه الاجتهاد الجغرافى اسهاما جادا ومناسبا • واذا كان من شأن الخدمات أن تكفل التألق الحضرى على صعيد المستوطنة الحضرية ، فان التخطيط الخدمى وتحرى حسن توطين الخدمات وحسن توزيعها الجغرافى ، يرفع مستوى هذا التألق الحضرى لحساب الاستيطان الحضرى فى المكان والزمان •

وعلى صعيد المستوطنة الحضرية ، يميز الاجتهاد الجغرافى بين الخدمات التى تتداخل فى التركيب الهيكلى للبنية الأساسية المناسبة لوجودها • والخدمات التى تلبى طلب التنعم بانتاجها : والخدمات المتداخلة فى صلب البيئة الأساسية ، تتمثل فى مجموعة شبكات ، هى شبكة توزيع ماء الشرب ، وشبكة توزيع الغاز الطبيعى والطاقة ، وشبكة توزيع الكهرباء وشبكة الصرف الصحى • ثم أضف اليها شبكة الطرق وشبكة الاتصالات

على صعيد المستوطنة الحضرية ، التى توفر حصة مناسبة من انتاجها لحساب الاستيطان الحضرى . ولا يحرم من انتاج الخدمات الا من يباشرون الاستيطان فى الأحياء غير المخططة . وهناك أكثر من حاجز اقتصادى واجتماعى وحضارى يفصل بينهم وبين الاستيطان الحضرى فى المدينة .

وتكون الدولة فى الغالب مسئولة عن عمومية وشمول هذه الخدمات على صعيد المستوطنة الحضرية . ومع ذلك قد تسند الى بعض الشركات الخاصة انشاء وتشغيل هذه الخدمات الأساسية ، لحساب الاستيطان الحضرى فى المدينة . وفى مقابل رسوم محدودة ، مدفوعة بشكل مباشر أو غير مباشر ، يحق لكل فرد من جموع الاستيطان الحضرى الانتفاع بانتاج هذه الخدمات الأساسية . وتعود رجال الاقتصاد على وضع الحصة المباحة والمتاحة للفرد من انتاج هذه الخدمات ، على القائمة التى تعلن عن مستوى المعيشة . وتعود الاستيطان الحضرى من جانبه عدم تحمل غياب هذه الخدمات أو حرمانه منها .

ويكون انجاز هذه الخدمات التى تتداخل فى التركيب الهيكلى للبنية الأساسية فى المستوطنة الحضرية ، وكأنها شريحة من شرائح التخطيط العمرانى . وقد يفتقد الاجتهاد الجغرافى هذه العلاقة على صعيد المدن القديمة ، ومع ذلك يظل حريصا على أن يبصر التطور العمرانى لكى يتبنى التخطيط العمرانى توطين وتوفير هذه الخدمات الضرورية لحساب الحياة الحضرية الأفضل . كما يظل الاجتهاد الجغرافى وهو يبصر حريصا على عدم التعارض بين الضبط والانضباط المتبادل لاستخدام الأرض فى السكن على صعيد الأحياء فى المدينة فى جانب ، والضبط والانضباط المتبادل لاستخدام الأرض فى توطين الخدمات الضرورية داخل كردون السكن فى جانب آخر .

هذا ويتخذ الاجتهاد الجغرافى من استخدام الأرض لتوطين وتوفير وحسن توزيع الخدمات الأخرى ، التى تخدم التحضر وتلبى طلب التنعم بانتاجها موقفا آخر . ويبتغى هذا الموقف على دراسة أوضاع السكان

فى أنحاء المدينة لكى يفلح فى توثيق العلاقة بين الناس حسب مستويات المعيشة من ناحية ، وتوفير الخدمات المناسبة لهم من ناحية أخرى • كما تتحرى الدراسة الجغرافية المسح السكانى ، وحصر التوزيع فى احياء المستوطنة الحضارية ، لتأمين التوازن بين حجم الطلب على الخدمات ، وحجم العرض من انتاج الخدمات • وأسئلة كثيرة ترد على صفحات الاستبيان ، وردود واجابات ، تبصر التوزيع الأنسب على صعيد المدينة أولا ثم على صعيد الحى ثانيا ، فى المستوطنة الحضرية •

وهذه الخدمات التى تشمل الخدمة الصحية والخدمة التعليمية والخدمة الدينية والخدمة الثقافية ، والخدمة الترويحية وغيرها من الخدمات ، يصير توزيعا على صعيد المستوطنة الحضرية • وقد تكون مجانية أحيانا وتكون مدفوعة الأجر أحيانا أخرى • ومن حق كل فرد حسب أوضاعه الاقتصادية ومكانته الاجتماعية وفئته العمرية ، ومستواه الحضارى ، أن يطلب انتاج الخدمات المتاحة وهو ينتفع بها أحيانا ، أو يتنعم بها أحيانا أخرى • وسواء كانت هذه الخدمات متاحة دون مقابل وهى جزء من مسئولية الدولة ، أو مباحة فى نظير المقابل وهى جزء من مسئولية الجهد الذاتى الفردى أو الجماعى ، فان ثمة ضوابط ينبغى أن تنظم وتضبط الحصول على هذا الحق • وقل أن تطوير هذه الخدمات واضافة خدمات جديدة من حين الى حين آخر ، وتوفير حق كل فرد منها ، يجسد مستوى الرفاهية التى يحياها الاستيطان الحضرى ، ويعلن عن تألق المدينة أو المستوطنة الحضرية •

★ ★ ★

ومهما يكن من أمر فان الانسان عاش تجربته الحياتية على المدى الطويل وهو حريص على استخدام الأرض فى الأنحاء المتفرقة على الصعيد العالمى • وكان الانصان حريصا على اكتساب الخبرات ، لكى يعرف كيف يتعامل مع الأرض • كما كان حريصا على تطوير هذه المكتسبات ، لكى

يعرف كيف يطور تعامله مع الأرض · وقل أنه ما زال حريصا على تطوير المكتسبات ، من أجل مزيد من الهيمنة على استجابة الأرض · ولكى يتأتى المضى على هذا الدرب دون الوصول الى حد الافساد فى الأرض ، يتحمل الاجتهاد الجرافى مسئولية البحث الذى يرشد هذا المضى · والاجتهاد الجغرافى التطبيقى هو الذى يسال الأرض ، ويخبر عن مبلغ استعدادها لكى تجاوب الانسان وكيف لا ينبغى أن تخذله ، وكيف لا يطعن فى قدراتها حتى تخذله · والاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، هو الذى يسأل الانسان ، ويختبر مبلغ استعداده لتطوير وسائله وتنمية كفاءة تكنولوجيته لكى يطور استجابة الأرض دون أن يفقد السيطرة عليها ، أو دون أن يرهقها ويفسد فيها حتى تخذله ، وتكاد تكف عن الاستجابة له ·

وسواء كان الاجتهاد الجغرافى التطبيقى مهتما باجراء المسح الجغرافى لأنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، أو كان مطالبا بالتعقيب على الرؤية الجغرافية لتصنيف مستويات هذا الاستخدام ، فهو فى حاجة الى مباشرة الدراسة الميدانية · وفى وسع الاجتهاد الجغرافى الذى يباشر الرؤية الجغرافية لاستخدام الأرض ، ثم يصنف مستويات هذا الاستخدام ، أن تتبين له ايجابيات وسلبيات كل مستوى من هذه المستويات المتباينة · ومن خلال حساب الايجابيات والسلبيات ، يكون التقويم الجغرافى لاستخدام الأرض على كل مستوى من المستويات · ويبلغ هذا الأمر حدا يصبح عنده الاجتهاد الجغرافى على بينة بما ينبغى أن يوصى به لكى يتحلى الانسان بكفاءة أفضل فى التعامل مع الأرض دون ضغط يرهقها أو يفسد فيها ، أو لكى تتكشف له استعدادات الأرض وقدرتها على المضى على درب الاستجابة للانسان وهو يطور أساليب الانتفاع بها ·

الفصل الرابع
الدراسة الميدانية لاستخدام الأرض

- علم الجغرافية ومباشرة الدراسة الميدانية
- الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض
- الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة استخدام الأرض
- توظيف الرحلة الجغرافية واجراء الدراسة الميدانية لاستخدام الأرض
- الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية
- تشكيل الفريق وتكليفات العمل عن أنماط استخدام الأرض
- وضع خطة العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض
- خروج رحلة العمل الجغرافى ، وتقصى أنماط استخدام الأرض
- دراسة وعمل الفريق غير المقيم فى المساحة المعنية
- الانجاز الجغرافى العملى الميدانى عن استخدام الأرض
- رحلة جغرافية ميدانية أخيرة واستكمال دراسة ميدانية عن استخدام الأرض ٠

الفصل الرابع

الدراسة الميدانية لاستخدام الأرض

علم الجغرافية ومباشرة الدراسة الميدانية :

فى اطار مسئولية الاجتهاد الجغرافى ، وهو يعكف على دراسة الأرض ، ويتمعن فى دراسة الانسان ، تبدو حاجته لأن يدقق فى العلاقة بين الانسان والأرض أو فى توجهات التعامل بين الانسان والأرض • وقل أن دراسة الأرض توفر شيئا من المقدمات اليقينية على وجه من وجهى الاهتمام الجغرافى مثلما توفر دراسة الانسان شيئا من المقدمات اليقينية ، على الوجه الآخر • وتاسيسا على هذه المقدمات اليقينية التى تتحدث بالصدق والوضوح ، يكون الاقتراب الموضوعى الجغرافى الجاد الذى يتمعن ويدقق فى استخدام الأرض •

ولا شىء يسعف الاقتراب الجغرافى الموضوعى الجاد ، سواء وهو يلتمس جمع أوصال المقدمات اليقينية الكاشفة عن طبيعة الأرض ، أو الكاشفة عن قدرات الانسان ، أو وهو يدقق فى التعامل بين الانسان والأرض من أجل استخدامها ، أهم من مباشرة الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية • ومباشرة الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، تسعف الاجتهاد الجغرافى فى مجال دراسة استخدام الأرض مرتين ، ولا يجوز التفريط فى جدواها أبدا •

وفى المرة الأولى تسعف الدراسة الميدانية وهو يتحرى حصر استخدامات الأرض على صعيد المساحة المعنية • وهذا الحصر الذى يلتمس التوزيع الأفقى على صعيد المساحة المعنية ، والتمييز بين استخدام الأرض فى الانتاج ، واستخدام الأرض فى السكن والاستيطان ، واستخدام الأرض

فى توطين الخدمات ، يستوجب الشيء المناسب من المسح الجغرافى • كما يلتمس أيضا توظيف هذا المسح الجغرافى فى التمييز بين الأرض الحية التى تنبض بهذا الاستخدام ، والأرض الميتة التى يضيع قيمتها عدم الاستخدام •

وفى المرة الثانية ، تسعف الدراسة الميدانية ، وهو يتحرى تقويم استخدامات الأرض على صعيد المساحة المعنية • وهذا التقويم الذى يلتمس حساب الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية لأنماط استخدام الأرض المتنوعة فى اطار تكامل انتفاع حركة الحياة بها ، يستوجب الشيء المناسب من التدقيق فى الرؤية الجغرافية وتقصى ايجابيات وسلبيات التعامل بين الانسان والأرض • ويكفل هذا التدقيق وهذا التقصى الرأى الجغرافى السديد الذى لا يمتلك حق التعقيب أو التعليق فقط على الرؤية الجغرافية ، بل يكون فى وسعه أن يقدم التوصية أو المشورة من أجل تحسين مستوى أى نمط من أنماط استخدام الأرض •

وعلى ساحة استخدام الأرض ، يجتمع أصحاب التخصص فى الجغرافية الاقتصادية ، وأصحاب التخصص فى جغرافية الاستيطان وأصحاب التخصص فى جغرافية الخدمات ، لكى يعمل كل فيما يخصه فى حقل البحث الجغرافى عن استخدامات الأرض المتنوعة واجراء المسح أو الحصر على الطبيعة وتسجيله على اللوحات والخرائط التفصيلية • ولأن الجغرافية علم عملى بينى يقف بين مجموعة العلوم الطبيعية ومجموعة العلوم الانسانية ، ويأخذ النتائج المناسبة منهما ، فيضم أصحاب التخصصات الجغرافية الى الصف العلمى لاجراء البحث والتدقيق وصولا الى تقويم أنماط استخدام الأرض ، نخبة أخرى من العلميين المتخصصين فى العلوم الطبيعية وفى العلوم الإنسانية •

ومع الفريق وبروح الفريق ، يكون العمل الجغرافى العملى على صعيد الأرض فى المساحة المعنية • وتدعو روح الفريق أن يتبع كل متخصص جغرافى يشغله استخدام الأرض فى الانتاج أو استخدام الأرض فى الاستيطان

أو استخدام الأرض فى الخدمات ، السبيل الأنسب الذى يكون من شأنه معالجة ودراسة النمط الذى يعنيه من هذه الأنماط . كما تدعو روح الفريق الى تحرى الشىء المناسب من التدقيق ، وسؤال الرفاق المتخصصين فى العلوم الطبيعية لاستجلاء التفاصيل الدقيقة عن الأرض وخواص الأرض وضوابطها الحاكمة أحيانا ، وسؤال الرفاق المتخصصين فى العلوم الانسانية لاستجلاء التفاصيل الدقيقة عن الانسان وقدراته وضوابطه الحاكمة أحيانا أخرى .

وقد يلتمس الباحث الجغرافى المتخصص كل فيما يخصه من أنماط استخدام الأرض ويستوعب أوضاعه بمهارة ، كل دواعى وموجبات وضوح رؤية هذا النمط من أنماط استخدام الأرض الذى يتحدث عن نفسه . وقد يتحرى الجغرافى أيضا دور الانسان الوظيفى فى كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، وكيف يحدد أوجه انتفاعه بالأرض . ولكن ينبغى أن يتفق الجميع الشركاء فى الفريق ، على أهمية البحث وتحرى الدقة وحسن الاقتراب العلمى العملى ، من القواعد الأساسية ، التى يبتنى عليها التقويم الجغرافى السليم لأنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية . وقل ينبغى أن يكون فى وسع هذا التقويم أن يميز أولا وقبل كل شىء بين مستويات هذا الاستخدام ، وهى تتراوح بين الاستخدام الردىء أو الجائر ، بالاستخدام التقليدى الجامد أو الاستخدام الحسن المتطور .

ومن خلال هذا التقييم الجغرافى الذى يميز بموضوعية وصدق ، بين مستويات الاستخدام لحساب الانتاج وعطائه ، أو لحساب الاستيطان انواعه وأشكاله ، أو لحساب الخدمات العامة والخاصة وحق التنعم بها ، يعرف الاجتهاد الجغرافى جيدا وهو فى الميدان ، كيف يحسب مسئولية الانسان عن مستوى الاستخدام . كما يعرف أيضا كيف يحاسبه فيثنى على حسن الاستخدام وهو على درب الصواب اقتصاديا واجتماعيا ، ويلوم سوء الاستخدام ، وهو على درب الخطأ اقتصاديا واجتماعيا . واذا كان

من شأن الثناء أو الاطراء أن يعطى دفعـات من الحماس لمواصلة تحسين مستوى الاستخدام ، فان من شأن اللوم أن يكشف خطيئة الاستخدام ، قبل أن يرشده للتحول من المستوى الردىء الى المستوى الأفضل ٠

ومن خلال الدراسة الميدانية واجراء العمل الجغرافى العلمى ، وحسن الاستفسار والقاء السؤال على الانسان وهو يستخدم الأرض ، يعرف الاجتهاد الجغرافى ، كيف تتبين له بوضوح وموضوعية ، قوة فعل المهارة والخبرة الحضارية والتكنولوجية المعمول بها ، التى تتوجه فى جد للتعامل مع الأرض ، وطلب محصلة ما يرنو اليه أو يتوقع من استخدامها ٠ كما تتكشف له مبلغ استجابة الأرض له وهو يطوعها وتجاوبه ٠ كما يعرف هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، كيف تتبين له بوضوح وموضوعية قوة فعل خواص الأرض ، التى يتحتم أن يجد الانسان فى جعبته وسيلة أو حيلة مناسبة ، لمواجهة ضوابطها وابطال مفعولها ، حتى يطوعها الاستخدام فتطاوعه وتعطيه ولا تخذله ٠

هذا ، ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى وهو يباشر الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية أن يحدد مواصفات الاستخدام الجائر ٠ ويعرف كيف يسأل عن لماذا هو جائر ، وكيف يجسد شكلا رديئا من أشكال استنزاف الأرض وارهاقها والضغط والتأثير على مقومات استجابتها الفورية ، لحاجة الانسان ٠ كما يعرف كيف يفضح هذا الاستنزاف ، ويقدم التوصية التى تعترض على الاستخدام الجائر ٠ وقل تبصر هذه التوصية الاستخدام الجائر ٠ وتكون وكأنها تقلم أظافر العدوان على الأرض ، وتدعو الى التحول ومباشرة الاستخدام الأفضل ٠ بل قل يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى بعد مباشرة العمل الجغرافى ، أن يبلور الرأى الجغرافى السديد ، الذى يبتغى تحسين العلاقة الحميمة بين الانسان ووسيلته التى تطاوعه فى جانب ، والأرض التى تجور عليها وتطعن فيها هذه الوسيلة فى جانب آخر ٠ بمعنى أن يصاغ هذا الرأى الجغرافى فى صيغة مناسبة تخدم الهدف التطبيقى ، من أجل استخدام أفضل ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان ٠

ويكون في وسع الاجتهاد الجغرافي على صعيد المساحة المعنية ، أن يحدد مواصفات وتوجهات الاستخدام التقليدي • ويعرف كيف يكون الأداء ، حتى يتبين له لماذا الجمود والاستغراق في التقليدية ، ولماذا التهرب من التجديد ؟ كما يعرف الاجتهاد الجغرافي أيضا ، كيف يجسد الاستخدام التقليدي في مباشرة الانتاج أو في تهيئة المستوطنات أو في توفير الخدمات على صعيد المساحة المعنية ، شكلا رديئا من حيث الوصول الى الهدف من استخدام الأرض • ويكون وكأنه يدين ويستنكر امتناع الانسان عن حسن الاستماع الى قوة فعل المتغيرات ، وعدم التحلي بشيء من القدرة على الابداع ، الذي يحقق التجديد أحيانا أو التجويد أحيانا أخرى • ومن خلال ذلك كله ، يصبح في وسع الاجتهاد الجغرافي أن يقدم التوصية أو المشورة التي تسجل الاعتراض الشديد على جمود الاستخدام التقليدي ، وهو غارق في التخلف اقتصاديا واجتماعيا ، ولا يجاوب حاجة العصر •

وتبلور التوصية الجغرافية الرأى الجغرافي السديد ، الذي يحسن سبل استماع الاستخدام التقليدي الجامد الى صوت المتغيرات ، والى فعل الضوابط في وقت واحد • ويكفل هذا التوازن بينهما حراسة الاستخدام لكي لا يجنح التغيير ، ويكون الخروج عن دائرة الجمود في غير الاتجاه الصحيح ، أو لكي تقذف به المتغيرات من غير وعي ، في اتجاه غير مناسب على درب الخطأ الاقتصادي والاجتماعي • بمعنى أن يقدم الاجتهاد الجغرافي الرأى الجغرافي في صيغة مناسبة ، تنمي وتطور العلاقة الحميمة ، بين الانسان واستعداداته الحقيقية للتغيير من أجل طلب الأفضل من الأرض من ناحية ، والأرض واستعداداتها الفعلية للاستجابة لهذا التغيير وتحسين مستوى العطاء الذي توفره وتجود به لحساب الانسان من ناحية أخرى • وهذا هو عين ما يعني حسن صياغة الرأى الجغرافي السديد ، وتقديم المشورة الجغرافية أو التوصية التي تخدم الهدف التطبيقي ، من أجل الاقلاع عن الاستخدام التقليدي ، ومباشرة الاستخدام المتطور الأفضل ، لحساب حركة الحياة على صعيد المساحة المعنية ، في المكان والزمان •

ويكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، أن يحدد مواصفات وتوجهات الاستخدام المتطور . ويعرف كيف يكون الأداء ، حتى يتبين له لماذا التطور الذى يؤمن تطويع الأرض وحسن الاستجابة ، ولماذا الاستعداد لحسن استماع الانسان الى صوت المتغيرات أو الى دواعي التغيير الى ما هو أفضل ، وكيف يتوالى الابداع المستمر الذى يسعف هذا التغيير ، دون تجاوزات مثيرة تطعن فى كفاءة الأرض أو تفسد فيها افسادا يستوجب اللجوء الى الضوابط البشرية الحاكمة بقوة لايقاف هذه التجاوزات أو هذا الافساد ، على صعيد الأرض . كما يعرف الاجتهاد الجغرافى أيضا ، كيف يجسد الاستخدام المتطور فى مباشرة الانتاج أو فى تهيئة المستوطنات أو فى توفير الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية ، شكلا حسنا ومناسبا من حيث الوصول الى الهدف من استخدام الأرض . ويكون وكأنه يمتدح مهارة الانسان فى حسن الاستماع الى قوة فعل المتغيرات والتحلى بالقدرة على الابداع الذى يكفل التجديد أحيانا أخرى . ومن خلال ذلك كله ، يصبح فى وسع الاجتهاد الجغرافى أن يقدم التوصية أو المشورة ، التى تدفع المضى على درب الصواب الاقتصادى والاجتماعى ، دفعا يجاوب حاجة العصر .

وتبلور التوصية الجغرافية وكأنها النصيحة ، الرأى الجغرافى السديد ، عن علاقة حميمة تعرف وتحافظ على التوازن بين مهارة وكفاءة الانسان وقدراته على الابداع والتجديد ، وحسن توظيف الوسائل التى يواصل تحسينها من ناحية ، وخواص الأرض واستعداداتها وهى تطاوع الانسان وتجاوب اقدامه على الاستخدام المتطور من ناحية أخرى . كما يعتنى الاجتهاد الجغرافى بأن يكون الرأى الجغرافى فى الصيغة المناسبة التى تنمى وتطور الاستخدام المتطور الذى يحافظ على الأرض ، وهو يجدد ويجود دون الوقوع فى محظورات الخطأ الاقتصادى والاجتماعى . وهذا هو عين ما يعنى حسن صياغة الرأى الجغرافى السديد ، وتقديم المشورة أو النصيحة التى تخدم الهدف التطبيقى ، من أجل إستمرار الاستخدام على درب

الصواب ، لحساب حركة الحياة على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

وحاجة الاجتهاد الجغرافى الى مطالعة المنظور الجغرافى على صعيد الأرض فى ربوع المساحة المعنية ، وحسن القراءة التحليلية للوجه الطبيعى أو للوجه البشرى ، من أجل تقصى سبل وتوجهات استخدام الأرض ، والحكم على مستوى هذا الاستخدام ، تؤكد قيمة أو جدوى الدراسة الميدانية لحساب هذا العمل الجغرافى . بل قل أن هذه الحالة الى مباشرة العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، تسبق فى قيمتها واهميتها ، قيمة واهمية الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية عن استخدام الأرض . ذلك أن مباشرة العمل الجغرافى العملى على صعيد المساحة المعنية ، توفر للعين الجغرافية ، أن تعايش أنماط استخدام الأرض فلا تضل ، أو أن تشاهد فلا تقع فى الخطأ أبدا وهى :

أولا - تلتمس رؤية جغرافية كاشفة ومباشرة قراءة تحليلية سليمة عن كل نمط من أنماط استخدام الأرض ، وتحديد صحيح لمستوى هذا الاستعداد ومبلغ الكفاءة التى تجاوب حاجة العصر اقتصاديا واجتماعيا لحساب الانسان .

ثانيا - تلتمس الرأى الجغرافى السديد ، الذى يعلن عن الحكم السليم عن مستوى الاستخدام ، حتى يوجه الثناء الى من يستحقه ويرشد تطوره الى الأفضل أحيانا ، أو يوجه اللوم الشديد الى من يسىء الى الأرض ، ويصور ما ينبغى أن يعيد هذا الاستخدام الردىء الى الصواب اقتصاديا واجتماعيا أحيانا أخرى .



الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض

هذا توجه جغرافى معاصر حميد ، الى مباشرة الدراسة الميدانية ، التى تتحسس أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية • وتضع هذه الدراسة الميدانية الاجتهاد الجغرافى ، على درب من أهم دروب الهدف الجغرافى التطبيقى • ويستوجب هذا التوجه الجغرافى ، الذى يجسد العناية الجغرافية بقضية استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، توظيف خاص للرحلة الجغرافية الى الميدان • ولا يخرج فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الى المساحة المعنية ، الا من كان صاحب خبرة فى اجراء هذه الدراسة العملية وتقصى الحقائق الموضوعية السافرة عن استخدام الأرض •

ولا يكون العمل الجغرافى العملى الذى يستوجه خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، عملا مجردا بالفعل ، لحساب البحث الجغرافى العلمى البحت ، وهو هدف جغرافى فى حد ذاته • بل قل أن من وراء هذا الخروج ومباشرة الدراسة الميدانية ، وحصر أنماطه استخدام الأرض ، وحسن تقويم كل نمط من هذه الأنماط ، هدف جغرافى تطبيقى • ويضع هذا الهدف الجغرافى التطبيقى فى نهاية المطاف ، الرأى الجغرافى فى صيغة توصية أو نصيحة ترشد الانسان وتبصر أدائه ، فى مجالات تحسين مستويات استخدام الأرض •

وهذا معناه أن حاجة البحث الجغرافى العلمى على صعيد المساحة المعنية ، ليست هى وحدها الدافع الحقيقى ، لتنظيم خروج الرحلة الجغرافية الميدانية ، ومباشرة الدراسة العملية لحساب قضية استخدام الأرض • وما من شك فى أن حاجة حركة الحياة الى حماية الأرض من ضغوط الانسان التى تكاد تفسد فى الأرض ، أو الى تحسين مستوى وتنشيط وتطوير استخدام الأرض ، هى التى تدفع هذا التوجه الجغرافى • بل قل يكون التكليف الذى تعلنه حركة الحياة ، بعد أن تفطن الى جدوى عمل الاجتهاد الجغرافى ، وهو يلتمس اجراء المسح الكاشف عن أنماط استخدام الأرض ،

أو وهو يلتمس الحكم الصحيح على مستوى الاستخدام ، ويعرف كيف يوصى بكل ما من شأنه أن يرشد أو أن يبصر ارادة تحسين هذا الاستخدام .

وقل أن هذا التكليف واجب وضرورى ، يقع على عاتق الاجتهاد الجغرافى وهو جدير باجراء الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية . ويكون هذا الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، مسئولا عن التوصية التى ينبغى أن تستمع حركة الحياة اليها ، وتعمل بموجبها ، من أجل مباشرة سبل تحسين مستويات استخدام الأرض فى الانتاج ، وفى السكن والاستيطان وفى توطين وحسن توزيع الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية .

وتكليف الباحث الجغرافى ، من قبل من يهمه الأمر ، لدراسة استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ، والتمعن والتدقيق فى مستويات هذا الاستخدام والحكم عليه ، معناه أن يتحمل الاجتهاد الجغرافى مسئولية جسيمة . وقل انها أمانة فى العنق ، لحساب ترشيد الاستخدام وتحسين مستوياته لحساب حركة الحياة . ومعناه أيضا ، أن يجرى الباحث الجغرافى هذا البحث الميدانى ، الذى يلتمس أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية ، ويظل يدقق حتى تتبين له أبعاد العلاقة الحميمة بين الانسان والأرض . ويتعقب الاجتهاد الجغرافى هذه العلاقة ، حتى يعرف كيف تفلح الوسيلة الحضارية والمهارة والتكنولوجية المتاحة ، فى تطويع الأرض واستخدامها . ويتأتى ذلك كله ، فى اطار ادراك جغرافى حقيقى ، بكل معانى الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، فى المكان والزمان .

وقد يستوجب هذا التكليف ، الذى يقبل به الاجتهاد الجغرافى ، ويتصدى ويعمل الباحث الجغرافى على حسن انجازه شيئا من الدراسة المكتبية . وتعنى هذه الدراسة المكتبية اطلاعا ذكيا على المراجع التى تعالج مفهوم استخدام الأرض ، وتعرض تجارب سابقة عن استخدام الأرض .

وقد يستوجب هذا التكليف أيضا ، شيئا من الدراسة الوثائقية ، واطلاعا مناسبا على المصادر التي تسجل البيانات والمعلومات والاحصاءات ، عن أنماط استخدام الأرض • وفى هاتين الحالتين ، ينتفع الباحث الجغرافى بمحصلة التجارب التي خاضت العمل وأنجزت البحوث عن أنماط استخدام الأرض • ولكن خروج الباحث الجغرافي فى الرحلة الجغرافية الميدانية الى المساحة المعنية ، هو الذي ييسر له أمر الحصول على المادة الخام وجمع المعلومات والبيانات من الميدان مباشرة •

ويعين هذه الدراسة الميدانية الاجتهاد الجغرافى العملى والعلمى على تقصى كل الحقائق عن استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • وبقدر ما يستوجب هذا الخروج فى الرحلة الجغرافية الميدانية ، خبرة الاجتهاد الجغرافى ، وحسن تقديره لأنماط استخدام الأرض ومستوياتها على صعيد المساحة المعنية ، يستوجب أيضا حماسه ومهارته وكل عنايته ، لأن هذا الانجاز الجغرافى لحساب حركة الحياة ، يمثل نقطة من أهم نقاط الانطلاق فى مباشرة الانفتاح الجغرافى الحميد ، والتحول الفعلى الى خوض تجارب الجغرافية العلمية ذات الطابع التطبيقى •

ويوفر هذا الانفتاح الجغرافى العملى ، الذى يطل على أنماط استخدام ، ويحصر توزيعها على صعيد المساحة المعنية ، شيئا مهما للغاية فى اطار المسح الجغرافى • كما يوفر هذا الانفتاح الجغرافى ، الذى يتمعن فى أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، ويباشر الحكم على مستوياتها ويحدد مسئولية الانسان ووسائله الحضارية وتكنولوجيته الفاعلة عن هذه المستويات المتفاوتة ، شيئا أكثر أهمية وجدوى فى اطار التقويم الجغرافى • وهذا هو أهم ما تنتفع به حركة الحياة ، وهى تعرف موقفها من حسن أو من سوء استخدام الأرض ، أو وهى تعرف موقفها من غزو الأرض غير المعمورة ، والاقدام على استخدامها •

وعندما تتيقن حركة الحياة ، من موضوعية العمل الجغرافى الذى يتعقب كنه وماهية وجدوى العلاقة بين الانسان والأرض والضبط والانضباط

المتبادل بينهما ، وتثق فى حسن الأداء الجغرافى السديد ، من خلال العمل الجغرافى الميدانى الجاد ، لا يكون فى وسعها أبدا أن تفرط فى طلب خبرة الاجتهاد الجغرافى وتكليفه بدراسة جادة عن أنماط استخدام الأرض . بل قل انها تطلب مهارة وحسن ما يحدث عنه العمل الجغرافى الميدانى الجيد ، فى هذا المجال الحيوى التطبيقى على صعيد المساحة المعنية ، من أجل استخدام أفضل للأرض .

ونجاح الباحث الجغرافى فى هذا التوجه الجغرافى الحميد ونزعته التطبيقية لدراسة وتقصى الحقائق الموضوعية عن استخدام الأرض ، وتقديم الرأى الجغرافى السديد ، الذى يفتح أبواب التغيير الى ما هو أفضل ، هو محصلة حسن الاعتماد على الدراسة الميدانية . ويفسح هذا النجاح للاجتهاد الجغرافى وللعمل الجغرافى التطبيقى الميدانى ، مكانا مناسبا ومكانة حسنة ، فى الأداء التطبيقى الجاد الذى تنتفع به حركة الحياة . ويصبح هذا النجاح ، وكأنه الباب المفتوح ، الذى تدخل منه انجازات العمل الميدانى ، التطبيقى دخول الواثق من جدوى الأداء ، وتقديم المشورة ، حتى يتأتى استخدام الأرض على بصيرة . وعندئذ تجد الخبرة الجغرافية ونزعتها التطبيقية لنفسها مكانا مناسبا وموقعا بينيا فى الصف العلمى التطبيقى . ومعنى هذه البينية أن تقف الخبرة الجغرافية التطبيقية بين علوم الأرض التطبيقية فى جانب ، وعلوم الانسان التطبيقية فى جانب آخر ، فتأخذ منها النتائج وتنسق حتى يتسنى اصدار القرار أو الرأى عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية .

وقل ينبغى أن يتشبث الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، بهذا النجاح فى الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية ، التى تسعف وتتخصص فى ابداء الرأى الجغرافى الموضوعى عن أنماط استخدام الأرض . بل قل ينبغى أن يبشر هذا النجاح الجغرافى ويعلن عن اقتناع حركة الحياة الحقيقى ، بلزوم الخبرة الجغرافية ، وضرورة عدم التفريط فيها ، وهى تباشر مهمة

العمل الميداني عن استخدام الأرض . وتصطنع القاعدة الصلبة ، التى يرتكز عليها أمر تحسين مستويات استخدام الأرض فى الانتاج أو فى الاستيطان والسكن أو فى توفير وحسن توزيع الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية ، لحساب حركة الحياة .

ويرسخ هذا النجاح الجغرافى فى الميدان التطبيقى ، قضية التحول الجغرافى العلمى المعاصر ، من جمود النظرية البحتة الى مرونة التطبيق الجغرافى العلمى العملى المتفتح . وعندئذ يصبح علم الجغرافية المعاصرة بالمفهوم الجديد والتوجه التطبيقى ، علما تطبيقيا بينيا ، فى وقفته الفاعلة بين العلوم التطبيقية الطبيعية والانسانية . وفى هذه الوقفة البينية يكون وكأنه همزة الوصل بين العلوم التطبيقية الطبيعية وهى تتمعن فى خواص الأرض فى جانب ، والعلوم التطبيقية الانسانية وهى تتمعن فى قدرات وأوضاع الانسان فى جانب آخر . وبموجب هذه البينية ، يبدو علم الجغرافية الذى يتحلى بالنزعة التطبيقية ، وهو راسخ فى الأخذ والعطاء من سائر العلوم التطبيقية ، حتى يبلغ مبلغ الصدق والموضوعية وحسن العرض والتقويم عن أنماط استخدام الأرض . ومن ثم يكون السخاء فى العطاء التطبيقى لحساب الانسان ومصالحه فى تحسين مستوى هذا الاستخدام فى المكان والزمان .

ومعنى نجاح الاجتهاد الجغرافى فى هذا التوجه التطبيقى الميدانى ، الذى يبصر التغيير فى أساليب استخدام الأرض أحيانا أو فى مستويات استخدام الأرض أحيانا أخرى ، تطلعا الى ما هو أفضل ، يمثل خطوة هامة على درب التجديد والتجويد الذى تحرص عليه الجغرافية المعاصرة . ولا يكون هذا النجاح فى الانجاز الجغرافى التطبيقى عن استخدام الأرض ، نجاحا حقيقيا ومثمرا من غير عناية جغرافية تعكف على :

أولا - حسن الجمع والتوظيف والتنسيق ، بين نتائج الدراسة الجغرافية المكتبية والاطلاع على المراجع ، ونتائج الدراسة الجغرافية الوثائقية

والرجوع الى المصادر ، ونتائج الدراسة الجغرافية الميدانية والعمل فى المساحة المعنية ، من أجل صياغة التصور الجغرافى المناسب عن أنماط استخدامات الأرض المتنوعة ، وحسن توزيع هذه الأنماط على الخريطة المناسبة ، فى المكان والزمان ٠

ثانيا ـ حسن مباشرة أو اجراء الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، حتى تتضح رؤية أنماط استخدام الأرض ، وكيف تكون العلاقة بين الانسان والأرض بكل ايجابياتها وسلبياتها ، فى ضوء تداخل قوة فعل العناصر الجغرافية الطبيعية من صنع خواص الأرض وتأهيلها للاستجابة فى جانب ، وتداخل قوة فعل العناصر الجغرافية البشرية فى صياغة وسيلة وتكنولوجية الانسان وكفاءة أسلوب التعامل مع الأرض فى جانب آخر ٠

ثالثا ـ حسن التمعن والتدبر والتدقيق فى رؤية وتقصى الحقيقة وتقويم أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية ، وفى تعقب ايجابيات وسلبيات العلاقة بين الانسان والأرض ، وفى كفاءة الوسيلة والعمل ومستوى استخدام من ناحية ، ومبلغ استسلام الأرض لهذه الكفاءة والوسيلة المتاحة من ناحية أخرى ، حتى يتسنى للخبرة الجغرافية أن تبدى وتعلن الرأى الجغرافى السديد عن جدوى استخدام الأرض ، وعن احتمالات تحسين مستوى هذا الاستخدام ، ويصبح وكأنه التوصية الواجبة عليه ، يقدمها لمن يهمه الأمر ٠

ومن ثم تكون مهمة الجغرافى الذى يسند اليه ويتحمل مسئولية دراسة استخدام الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية ، مهمة صعبة ، وهى تستغرق فى طلب الهدف الجغرافى التطبيقى ٠ وتلقى هذه المسئولية على عاتق الجغرافى أعباء الدراسة الميدانية ، وقيادة فريق العمل الميدانى ٠ وهذه المسئولية تعنى فيما تعنى الأمانة فى تنفيذ واجراء العمل الجغرافى العملى المناسب فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، وهو يحصر توزيع وانتشار أنماط استخدام الأرض ، أو وهو يحجم عود هذا الاستخدام ٠

وقل أن هذه المسئولية تلقى على عاتق الجغرافى أعباء نجاح وحسن انجاز العمل الميدانى ، حتى يلتمس امكانيات التغيير فى الأساليب ، أو التحديث فى التكنولوجيا ، من أجل تحسين مستوى استخدام الأرض وتنمية الجدوى الاجتماعية والاقتصادية لحساب حركة الحياة . بل قل يكون الاجتهاد الجغرافى مطالبا بالتماس دواعى التغيير والمتغيرات الطبيعية التى تؤهل الأرض ، حتى تجاوب الهدف من التغيير والاستجابة للاستخدام الأفضل . كما يكون الاجتهاد الجغرافى مطالبا بالتماس دواعى التغيير والمتغيرات البشرية التى تؤهل الانسان ، حتى يصبح فى وسعه مباشرة هذا التغيير بالفعل ، وجنى ثمراته اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا على صعيد الأرض .

* * *

الرحلة الجغرافية الميدانية ودراسة استخدام الأرض :

تكليف الباحث الجغرافى بدراسة قضية استخدام الأرض على صعيد مساحة معنية ، لحساب الانتاج والتعامل مع الموارد المتاحة ، أو لحساب السكن واقامة المستوطنات المناسبة ، أو لحساب السكن واقامة المستوطنات المناسبة ، أو لحساب توفير الخدمات وحسن توزيعها وتأمين حق المجتمع فى الانتفاع بها ، فى المكان والزمان ، هو التكليف الرشيد والمناسب . وينبغى أن يقبل الجغرافى هذا التكليف فورا ، ولا يتخوف من أعباء هذا التكليف أبدا . وقل من غير الباحث الجغرافى فى وسعه أن يتحمل أعباء هذا التكليف ، وأن يقدم المشورة الصادقة الى حركة الحياة ؟

ولا يكاد يبدأ هذا التكليف الصعب أبدا من فراغ ، وهو جزء من مهمة الجغرافى الذى يوغل فى رفق ومهارة ، فى صلب العلاقة الحميمة بين الانسان الذى يطلب من الأرض ويحق له هذا الطلب ، والأرض التى تجاوب هذا الطلب ولا تخذله . ولا يكاد ينتهى هذا التكليف الصعب أبدا من غير غاية ، وهو يكشف بوضوح وموضوعية عن الفرص المتاحة ،

في مجالات تحسين مستوى هذه العلاقة بين الانسان والأرض ، من أجل استخدام أفضل للأرض ، على صعيد المساحة المعنية .

وبموجب هذا التكليف والعمل لحساب حركة الحياة ، يتعقب الباحث الجغرافي على صعيد المساحة المعنية - في المكان والزمان - المنظور الجغرافي الكلي الشامل ، لأنماط استخدام الأرض المتنوعة . ولا حدود جغرافية صارمة متفق عليها أو معمول بها ، تحدد أبعـاد هذه المساحة المعنية . بل قل يحددها هـذا التكليف وهو الـذي يطلب ويلتمس دراسة أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية . وقد تغطي هذه المساحة المعنية قطرا بأكمله أو دولة بحذافيرها ، أو مقاطعة من هـذه الدولة ، أو اقليما جغرافيا متفردا ، أو أي مساحة أخرى تهم صاحب الحق في هذا التكليف .

ومن غير اعتراض على تحـديد المسـاحة المعنية التي تهم صـاحب التكليف ، يقبل الجغرافي هذه المهمة . وفي ضوء هذا التحديد الذي يدقق في حصر أبعاد المساحة المعنية ، يجري الباحث الدراسة الميدانية التي تباشر المسح الجغرافي لأنماط استخدام الأرض أحيانا ، أو التي تتمادى في تقويم أنماط استخدام الأرض أحيانا أخرى . وفي جميع الأحوال يلبي الاجتهاد الجغرافي الهدف من هذا التكليف ولا يتعمد تجاوزه .

ويغطي هذا المسح الجغرافي على صعيد المساحة المعنية ، المنظور الجغرافي ومكوناته ، فالأرض مسرح فسيح ، والانسان عامل على هذا المسرح ، حتى يصبح في وسع الجغـرافي أن يتعقب أنمـاط استخدام الأرض . وقل أن توجهـات التحول الجغرافي المعـاصر ، التي تزج بالعمـل الجغـرافي العملي في صميم الأداء التطبيقي ، هي عين ما يبرر مبـادرة الاجتهـاد الجغرافي ، لاجراء هـذا المسح الجغرافي عن استخدام الأرض ، على صـعيد المساحة المعنية . وتحسن هـذه المبادرة الجغـرافية ، توظيف الرحلة الجغـرافية الميدانية ، في اجراء هذا المسح الجغرافي ، وتأمين :

١ - حسن حصر وتصوير أنماط استخدام الأرض السائدة ، على صعيد المساحة المعنية وتحرى توزيعها الجغرافى .

٢ - حسن تقويم هذه الأنماط السائدة ، وحساب جدواها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان .

ولأن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، الذى تتبناه وتدعمه وترسخه وتوجهه فلسفات الجغرافية المعاصرة ، هو جزء حيوى وفعال من صلب الدراسة الميدانية المتعمقة ، فلقد تصاعدت العناية الجغرافية بالرحلة الجغرافية الميدانية ودورها الدراسى الوظيفى . بل قل يتوجه الاهتمام الجغرافى المعاصر بكل الرشد ، فكرا وروحا وفلسفة عميقة ، توجها حميدا وموفقا ، وهو يوظف الرحلة الجغرافية الميدانية ، توظيفا رشيدا وهادئا وسديدا ، عندما يلتمس الوضوح الجغرافى وحسن البيان عن أنماط استخدام الأرض المتنوعة ، فى المكان والزمان . بمعنى أن يكون فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، تطوير الرحلة الجغرافية الميدانية تطويرا يجاوب الهدف التطبيقى ، واهتماماته بدراسة موضوع استخدام الأرض .

وينبغى أن نفهم جيدا مبلغ أهمية هذا التطوير ، وكيف يتولى الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، مهمة تطويع وتطوير أسلوب العمل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يجاوب استعدادات العمل الجغرافى المعاصر ونزعاته التطبيقية . ومن ثم نتبين كيف يتحمل الباحث الجغرافى بموجب هذا التطوير ، مسئولية الدراسة الجغرافية التحليلية ، عن استخدام الأرض . ويكون وكأنه يتغلغل ويدقق فى دور الانسان وهو يسأل الأرض ويلتمس تطويعها مرة ، ويتغلغل ويدقق فى موقف الأرض وهى تجاوب الانسان وتطاوعه مرة أخرى ، على صعيد المساحة المعنية .

ولا يكف هذا الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر أبدا ، عن حسن توظيف مهارات الخبرة الجغرافية المكتسبة فى التحليل أحيانا وفى التركيب أحيانا أخرى ، فى مباشرة التعامل الميدانى ، مع المنظور الجغرافى • الـذى يصور أو الذى يتحدث عن أنمـاط استخدام الأرض المتنـوعة ، على صعيد المساحة المعنية • ومن خلال هذا التحليل وهذا التركيب ، يمسك الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر جيدا ، بأطراف كل الخيوط الجغرافية التى تتداخل تداخلا سليما ، فى نسيج الصورة التى تجسـد النمط السـائد من أنماط استخدام الأرض فى الانتـاج أو فى السكن أو فى الخدمات ، على صـعيد المساحة المعنية • كما تجسد مبلغ التنسيق والتوازن بين كل هذه الأنماط السائدة ، وهى تلبى حاجة حركة الحياة على صعيد المساحة المعنية •

وينبغى أن ندرك - على كل حال - معنى تطـوير العمـل الجغرافى الميدانى ، وكيف يتسبب هذا التطوير فى تغيير حقيقى ، فى مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهى مسئولة عن خدمة الدراسة الميدانية التى تجاوب الهدف الجغرافى التطبيقى ، لحساب استخدام الأرض • ومع ذلـك ، قل أن هذا التغيير الجوهرى ، لا يفجر ثورة عامة ، تقلب أوضاع الرحلة الجغرافية ، أو توجهات الدراسة الميدانية العملية ، على صعيد المسـاحة المعنية ، رأسا على عقب • بل قل ان هـــذا التغيير يكون موضوعيـــا وهادئا ، فى اتزان وصدق • وهو تغيير يضيف اضافات مجددة تخدم العمـل الجغرافى الميدانى الذى يتعقب العلاقة بين الانسـان والأرض ، التى تحـدد شكل الاستخدام السائد وهدفه ومستواه • كما يكون هـذا التغيير موضوعيـا وهادفا مرة أخرى ، فى اتزان وصدق • وهو تغيـير يوسع دائرة التزامات الدراسـة الميدانية ، ويلزمها بتقصى المتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية أحيـــانا أخرى ، حتى يتبين للبـاحث كيف تؤثر على شـكل وكنه وهدف ومستوى استخدام الأرض السائد على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وهذا معناه عندئذ ، أن هـــذا التطوير ، الذى يقـدم به الاجتهاد

الجغـــرافى التطبيقى ، على توظيف الرحلة الجغرافية الميـدانية ، يستحدث ثورة اضافة أو تجديد أحيـانا أو ثورة تجويد وتحديث أحيـانا أخرى ، فى أداء العمـل الجغرافى واجراء الدراسة الميدانية المناسبة عن موضـوع استخدام الأرض . وفى طلب هذا التجديد ، أو فى طلب هذه الاضافة ، أو فى طلب هذا التجويد أو فى طلب هـذا التحديث ، وهى مطالب واردة وتجاوب الاهتمام الجغرافى باستخدام الأرض ، تزيد أعبـاء الباحث الجغرافى فى اجراء المسح أو الدراسة الميـدانية لأنماط هذا الإستخدام . وتشمل زيادة الأعباء ، حسن الاعداد للرحلة الجغرافية والخروج الى الميدان ، وحسن اعداد الاستبيانات المناسبة التى تخدم هذا العمل . بل قل تصبح مهمة هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى على صعيد المساحة المعنية ، مهمة صعبة ، وتستوجب شيئا كثيرا من التمعن والتأنى والتدقيق .

وتتأتى زيادة الأعباء فى هذا العمل الجغرافى الميدانى ، فى شىء كثير من الهدوء والتأنى ، بعد أن تصبح جدوى أو قيمة الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض ، فى مرتبة أهم من جـــدوى أو قيمة الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية معا . وقل أن هـــذه الزيادة تجسد التطور فى بعض الأعباء الميدانية والاضافيات ، التى توظف لانتزاع الحقـائق والبيـانات عن بعض المدركات الجغـرافية على صعيد المســاحة المعنية ، توطئـــة للتمعن فى دراسة أنماط استخدام الأرض . بل قل ان هذه الزيادة تبدو فى غاية الأهمية ، لأنها تعد وتجهز للوصول الى حسن مبـاشرة التقويم الجغـرافى ، والحكم على مستوى استخدام الأرض ايجابيـاته وسلبيـاته ، على صـعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان

وصحيح أن هذه الزيادة فى الأعباء ، تنال شيئا كثيرا من الترحيب الجغرافى ، وحسن الاستجابة للهدف ، وطلب أو التماس المهارة فى هـذا الأداء الميدانى من أنماط استخدام الأرض المتنوعة . وصحيح أيضـــا أن هذه الزيادة فى الأعباء ، تبدو وهى وليدة الحاجة للمتعن فى كنه وماهية

العلاقة بين الانسان والأرض ، ومباشرة تحليل كل نمط من أنماط استخدام الأرض . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن هـذه الاستجابة الجغرافية والعمل على تطوير الدراسة الميدانية ، أو على اضـافة التوجهات الميـدانية المستجدة ، قد تأسست على رصيد من خبرات ومهارات جغرافية مكتسبة ، أثناء مباشرة الدراسة الميدانية . ومن هذا الرصيد المكتسب ، جاء التفـرد الجغرافى الـذى أضاف وجدد وحسن توظيف الرحلة الجغرافية الميـدانية ، وأدائها المعمول به ، لكى تلبى حاجة البحث فى موضوع استخدام الأرض. وما من شك ، فى أن رصيد هذه الخبرات المتراكمة والمهـارات المكتسبة ، تبدو دائما ، وكأنها القاعدة الصلبة التى يبنى الاجتهـاد الجغرافى عليهـا ، أصول التجديد وقواعد التجويد وأسس الاضافة وتوجهاتها ، فى الدراسة الميدانية ، وانجاز العمل الجغـرافى العملى الذى يبـاشره الاجتهـاد الجغرافى فى الميدان .

وهكذا ، تتطور الجغرافية المعاصرة وتنمى الاهتمام بالرحلة الجغرافية الميدانية ، الى حد كبير ، بل ولا تكف أبدا عن مباشرة هذا التطوير من أجل تحسين الأداء . وترى فى هذا الاهتمام الجغرافى بالدراسة الميدانية ، شيئا مفيدا ، لأنه هو الذى يؤهل التـــوجه الجغرافى الى التجديد والتجـــويد فى الانجاز . بل قل أنها تتخذ من هذه الدراسة الميدانية المكثفة ، سبيلا الى تجويد انجاز العمل الجغرافى العملى ، وتنفيـذ تكليفاته المتنوعة ، حتى يتيسر توفير ما يبتغيه البحث الجغـــرافى المناسب عن اسـتخدام الأرض ، فى المكان والزمان .

ومن ثم تؤكد الموضوعية الجادة ، على أنه لا يمكن اعداد البحث الجغرافى عن موضوع استخدام الأرض أبدا ، دون العنـــاية بالدراسة الميـدانية . وهى التى تطالع وتحملق وتكون وكأنها تقرأ فى صفحات كتاب مفتـــوح فتعاين أنمـاط استخدام الأرض ، وتتعـامل معهـا تعاملا مبـاشرا ، على الطبيعة ، فلا تخفى عنها الأرض شيئا ، ولا يتستر الانسان على أدائه ، على صعيد المساحة المعنية .

توظيف الرحلة الجغرافية واجراء الدراسة الميدانية لاستخدام الأرض :

تستوجب دراسة استخدام الأرض وتحرى أنماط هذا الاستخدام ، فى المكان والزمان ، شيئا مهما من العمل الجغرافى العملى على صعيد المساحة المعنية ٠ وقل أنها تستوجب من هذا العمل الجغرافى ، تعاملا مباشرا ، مع صور وأنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية ٠ ويكون هذا التعامل المباشر مطلوبا بالحاح ، من أجل تحليل الرؤية الجغرافية للاستخدام٠ ويسعف هـذا التحليل الجغـرافى التعقيب على ما تحدث عنه هـذه الرؤية برأى جغرافى سـديد ، يتحدث بموضوعية عن مستوى هـذا الاستخدام ومكانته فى المكان والزمان على صعيد المساحة المعنية ٠ ومن ثم ينبغى أن تنظم الرحلة الجغرافية ، التى تذهب الى الميدان على صعيد المساحة المعنية ، تنظيما جيدا ٠ ويسند اليها انجـاز المهمة الموضوعية ، لدراسة استخدام الأرض ، دراسة جغرافية مناسبة ٠

وفى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، أن هـذا التنظيم الجيد ، هو الـذى يدعو ، أو هو الذى يستوجب ذهاب هـذه الرحلة الميدانلة الى المسـاحة المعنية أكثر من مرة ، من أجل دراسة استخدامات الأرض ، دراسة ميدانية جيدة ٠ ولأن هناك اطار واحد جامع ، يجمع وينسق ، بين مرات الذهاب والعودة التى تتكرر بحساب ذكى وحصيف ، فينبغى أن نؤكد على استمرارية الصلة الموضوعية ، أو العلاقة البحثية الواجبة بين مرات هـذا التكرار ، الذى يكون له ما يبرره ، وتمليه موضوعية دراسة استخدام الأرض ٠

ومن خلال هـذه الصلة الموضـوعية ، تكون الرحلة الى ربوع المسـاحة المعنية ، رحلة جغرافية ميدانية واحدة ٠ وتتأتى هـذه الرحلة الجغرافية الواحدة ، ويكون تنفيذها على مراحل متوالية أو متعاقبة ، فى ترتيب بديع وتنسيق موضوعى جيد ٠ وفى كل مرحلة من هـذه المراحل المتعاقبة ، تؤدى الرحلة الجغرافية الميـدانية دورها الوظيفى المناسب ، على مسـتوى

خاص وتخصصى ، لحساب الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض المتنوعة السائدة ، فى المكان والزمان •

وهنـاك حاجة بالفعل ، لأن يـكون تـكرار ذهاب الرحلة الجغرافية الميـدانية ، لدراسة استخدامات الأرض ، على مستويات متبـاينة ، عنـدما يتأتى الذهاب فى كل مرحلة من المراحل المتـوالية أو المتعاقبة ، الى المساحة المعنية • ومعنى ذلك أن الرحلة الجغرافية الميدانية ، تخرج فى كل مرحلة من هذه المراحل خروجا يجاوب الهدف الذى يحدد هـذا المستوى المعنى أو الذى يجاوب الهدف الجوهرى الذى يتعين الخروج من أجله الى المسـاحة المعنية •

وقل أن هناك الترتيب المتفق عليه ، وكانهـا ايقاعات لا يجوز أبدا اهمالها أو تجاوزها ، حتى يتحقق الهـدف الموضـوعى من خروج الـرحلة الجغرافية الميدانية ، فى كل مرحلة من المراحل المعنية المتوالية ، الى المساحة المعنية • بل قل أن ترتيب هذا الخروج المتكرر الى المساحة المعنية ، فى كل مرحلة معينة ، هو جزء من حسن العناية الجغرافية ، بسياق أو بايقاعات منضبطة ، ينساب بها العمل الجغرافى العملى الميدانى ، فى الاتجاه الصحيح أو فى الاتجاه الموضوعى • ويكفل هذا التوجه المنضبط حسن الوصول الى الهدف النهائى ، لحسـاب العمل الجغرافى الميدانى الشامل ، الـذى يغطى موضوع استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وتتمثل الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى يتكرر خروجها الى الميدان على صعيد المسـاحة المعنية ، وعلى مسـتويات متكاملة ، فى ثلاثة رحلات متعاقبة هى :

١ ـ رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية •

٢ ـ رحلة تقصى الحقـائق الجغرافية العملية عن أنمـاط استخدام الأرض •

٣ - رحلة استيفاء جمع المادة الجغرافية العملية عن أنماط استخدام الأرض ٠

وعلى الرغم من الترابط والترتيب بين هذه الرحلات الجغرافية الميدانية ، وهي تتعاقب وتتكامل في الخروج الهادف الى المساحة المعنية ، فان الخبرة الجغرافية ، تعرف جيدا ماذا تريد أو ماذا تطلب من هذا الخروج في كل مرة ٠ وليس هناك زمن معين ، أو مدى زمني محدد ، لفترة بقاء أو استمرار الرحلة الجغرافية الميدانية ، في الميدان ٠ وليس هناك أيضا فاصل زمني معلوم ، أو مدى زمني معين ، يؤخذ في الاعتبار للفصل بين كل رحلة من رحلات الذهاب المتكررة في تنسيق بديع ومناسب لأداء العمل الجغرافي الهادف ، على صعيد المساحة المعنية ٠

هذا ، وقد يستوجب الدور الوظيفي المنوط بكل رحلة معينة ، من هذه الرحلات الجغرافية الميدانية المتوالية والمتكاملة ، تكرار الذهاب والعودة من غير حدود ، حتى تفرغ الرحلة في كل مرة تماما ، من انجاز الهدف المرحلي الأصلي ، الذي تتوجه من أجله الى المساحة المعنية ٠ بمعنى أن تكون للرحلة في كل مرحلة بداية لا تبدأ من غير غاية ٠ كما لا تتأتى نهاية هذه الرحلة ، من غير أن تتحقق هذه الغاية ٠ وتكون المعاينة الجغرافية مثلا ، هي الهدف الحقيقي الذي تتطلع اليه رحلة الزيارة التفقدية على صعيد المساحة المعنية ٠ وتكون الدراسة الجغرافية المتعمقة ، هي الهدف الجوهري الموضوعي ، الذي تسعى اليه رحلة تقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض السائدة على صعيد المساحة المعنية ٠ وتكون مهمة الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة متمثلة في استيفاء أو في استكمال بعض النقص أو التقصير وسد الثغرات ، حتى يتسنى انجاز البحث الجغرافي الجيد ، عن انماط استخدام الأرض ٠

وحسب الترتيب المعمول به ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية الخاصة ، في كل مرحلة من هذه المراحل المتوالية ، لا ينبغي أن تخرج

الرحلة الى المساحة المعنية ، الا في السياق المناسب ، وفي الوقت المناسب .
وقل أنه لا مجال أبدا ، لتداخل مقصود أو غير مقصود ، بين رحلة جغرافية ميدانية في مرحلة معينة ، ورحلة جغرافية ميدانية أخرى تسبقها أو تليها في الترتيب • ومن المفيد — على كل حال — أن نلتمس صدق وموضوعية في هذا الترتيب •

ومن المفيد — على كل حال — أن نلتمس صدق وموضوعية القول أو الحديث عن كل رحلة جغرافية ميدانية ، من هذه الرحلات المتكاملة ، وهي تخرج في ترتيبها الصحيح ، وفي موعدها المناسب ، الى المساحة المعنية • ويتحرى هذا الحديث حسن بيان ماذا تفعل الخبرة الجغرافية في كل رحلة جغرافية ميدانية ، وكيف تفعل في شأن الهدف الذى يسعى اليه انجاز العمل الجغرافي العملي المناسب ، عن موضوع استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، في المكان والزمان •

★ ★ ★

الرحلة الجغرافية الميدانية والزيارة التفقدية :

بعد الاستجابة للتكليف ، وحسن تحديد المساحة المعنية ، التى يتعين دراسة أنماط استخدام الأرض في ربوعها ، يعد الاجتهاد الجغرافى المعاصر العدة للرحلة الجغرافية الميدانية الأولى • وتلك هى رحلة الزيارة التفقدية التى تعلن عن بداية التجهيز أو عن المبادرة لانجاز المهمة ، على صعيد المساحة المعنية • وربما يقدم على ذلك الخروج الى المساحة المعنية ، ومباشرة الزيارة التفقدية ، شيئا من العناية بالاطلاع على المراجع والانتفاع بالدراسة المكتبية ، أو بالرجوع الى المصادر والانتفاع بالدراسة الوثائقية • ومع ذلك يكون الاستعداد لرحلة الزيارة التفقدية ، التى تضع الباحث الجغرافي في مواجهة صريحة مع أنماط استخدام الأرض هى شغله الشاغل •

وقل يكون الاجتهاد الجغرافي على يقين بأهمية هذه الزيارة التفقدية ، وهى الاستهلال الحسن الذى يبصر الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية • ولا يعنى هذا الاستهلال شيئا أهم من المعاينة على الطبيعة ،

ومشـاهدة أنماط استخدام الأرض فى شكلها الحقيقى ، وفى حجمهـا الواقعى ، على صـعيد الأرض . بمعنى أن تمهد هـذه الزيارة التفقدية للمعاينة ورؤية أنماط استخدام الأرض ، على الطبيعة . بل قل أن هـذا التمهيد ، يجسد شيئا من التجهيز والاعداد ، لمباشرة الدراسة الميـدانية على صعيد المساحة المعنية على بصيرة .

والخروج فى رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، لا يعنى أبدا ذهاب الباحث الجغرافى وحده متفردا الى الميدان على صعيد المساحة المعنية. ذلك أن هذا الذهاب أو هـذه الزيارة الميـدانية التفقدية لا تمثل جولة سريعة ، فى ربوع المساحة المعنية ، وكأنها نزهة تستهدف المتعة والترويح من خلال هذه المعاينة . بل قل انها زيارة عمل تفقدى جاد ، يتعمد المعاينة على الطبيعة والتعرف الجغرافى على صور أنماط استخدام الأرض ، والتمعن فى توزيعها أو انتشارها على صعيد الأرض فى أنحـاء المسـاحة المعنية . وقد يحتاج التمعن الى مهارة العين الجغرافية ، وهى ترصد بشىء كبـير من التأنى أنماط استخدام الأرض .

وتعترض الجغرافية المعاصرة على ، أو تستنكر رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، التى يقوم بها الباحث الجغرافى متفردا بذاته ، وانجاز أهداف هذا التفقد ، وهو يجرى الدراسة بتكليف لحساب حركة الحيـاة ، ويتمعن فى أنماط استخدام الأرض السـائدة . بل يتشكك الاجتهـاد الجغرافى كثيرا فى جدوى نتائج العمل الجغرافى العملى الميدانى عن استخدام الأرض ، التى لا يشترك فى انجازها الفريق . بمعنى أن الجغرافية المعاصرة تعترض أصلا على التفرد فى انجاز العمل الجغرافى العلمى ، حتى فى مرحلة الزيارة الجغرافية التفقدية . وتعترف بأن العين الجغرافية وحدها لا تكفى ، وتفضل اشراك أو اسناد هذه المهمة التفقدية الى أكثر من جغرافى واحد . ويمثل هذا الاشتراك نواة التكوين الحقيقى للفريق ، الذى تسند اليه مهمة اجراء الدراسة الميدانية فى مرحلة تالية .

وتكون رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية الى المساحة المعنية ، بداية المشوار • وينبغى أن تكون رحلة معاينة أو مشاهدة متأنية الى حد كبير ، وهى تطل أو تحملق فى أنماط استخدام الأرض ، أو وهى تلتمس العلاقة التى تنسق على صعيد الأرض ، بين هذه الاستخدامات • وقل أن محصلة هذه المعاينة ، لا تكاد تتجاوز طلب التعرف الجغرافى الموضوعى ، على الأنماط السائدة من استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، دون التغلغل فى التفاصيل • وهذا معناه بالفعل أن يطلب الجغرافى الزائر ، رؤية كلية شاملة ، تغطى أنماط استخدام الأرض فى الانتاج ، أو فى الاستيطان أو فى توفير الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية • وفى اطار المنظور الجغرافى الكلى الشامل ، فى المكان والزمان ، تستوعب العين الجغرافية ابعاد ذلك التوزيع الجغرافى العام لأنماط استخدام الأرض • بل قل تستوجب هذه الرؤية أو المعايشة ، أن يتحلى الجغرافى بمهارات العين الجغرافية المتخصصة الحصيفة ، فضلا عن ذكاء الحس الجغرافى المتفتح ووعيه وحسن تذوق واستيعاب ما تعلن عنه المعاينة على صعيد المساحة المعنية •

ويتعين على هذه العين الجغرافية المتخصصة ، التى تجاوب ذكاء الحس الجغرافى ووعيه ، أن تستوعب بشىء مناسب من الموضوعية ، خصوصية الاستخدامات السائدة فى أنحاء المساحة المعنية ، فى اطار عمومية المنظور الجغرافى الكلى الشامل • ويسعف الطواف الجغرافى المتأنى هذا الاستيعاب الموضوعى ، الذى لا يتحقق من غير التمعن الهادىء فى المنظور الجغرافى الكلى لحركة الحياة على صعيد المساحة المعنية ، أو من غير التدقيق فى محتوى هذا المنظور من أنماط الاستخدامات المتنوعة السائدة •

وينبغى أن يستمر الطواف المتأنى على صعيد المساحة المعنية ، فترة كافية من الوقت ، حتى تشبع العين الجغرافية من المعاينة ورصد أنماط استخدام الأرض ، أو حتى يفرغ الحس الجغرافى المرهف ووعيه من استيعاب المدركات الجغرافية التى تحدث عنها هذه المعاينة • وقل لا أجل مخذ

يحدد مدة بقـــاء الجغرافى وهو يطوف ويعاين ويتمعن فى المنظور الجغرافى الكلى الشامل • بل قل لا ينبغى أن يـكون الرجوع أو أن تـكون العودة وانهاء الزيارة الجغرافية التفقدية على صعيد المساحة المعنية أبدا ، الا بعد التيقن من بلوغ الغاية أو الهدف الجغرافى المرحلى ، الـذى تبتغيه هـــذه الزيارة التفقدية •

وصحيح أن خطوات هذا الطواف ومباشرة الزيارة الجغرافية التفقدية فى طلب المعاينة أو المشاهدة والتأمل ، على صعيد المساحة المعنية ، تضع الاجتهاد الجغرافى فى مواجهة صريحة وكاشفة لا تضلل مع المنظور الجغرافى الـكلى الشـــامل • ويتسنى للعين الجغرافية الماهرة أحيـــانا ، أن ترقب أو تلاحظ الصلة بين كل هـــذا المنظور الجغرافى المركب ، والاستخدامات السائدة وهى جزء من مكوناته • كما يتسنى لذكاء الحس الجغرافى ووعيه الفطرى أحيانا أخرى أن يستشعر مستوى اهتمامات الانتفـــاع البشرى المتفاوتة بهذه الاستخدامات السائدة فى أنحاء المساحة المعنية •

وصحيح أيضــــا ، أن وضوح وحسن بيـــان المنظور الجغرافى الـكلى الشامل ، ووضوح وحسن بيان أنماط هذه الاستخدامات ، فى اطار مكونات هذا المنظور الجغرافى وتركيبه الهيكلى ، على صعيد المساحة المعنية ، يضع الاجتهاد الجغرافى ، فى حالة تاهب أو استعداد لاستيعاب وتعقب ما تحدث عنه هذه المعاينة الجغرافية • ويتسنى للعقل الجغـــرافى أن يتمعن ويتـذوق ما تنبىء به هذه المعاينة ، تذوقا جغرافيا خاصا ومتخصصا • كما يتسنى للتفكير الجغرافى أن يتمعن حتى يستغرق فى كنه هـــذا التـذوق الجغرافى الخاص المتخصص • وهذا هو هدف جوهرى من جمـــلة أهـــداف الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، وطوافها المتأنى فى ربوع المساحة المعنية •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو بلوغ الغاية أو تحقيق الهـدف العملى النهائى ، من بعد حسن تفهم أو استيعاب كل ما تحدث عنه تفاصيل المعاينة أثناء مباشرة الطواف ، وتنفيذ واجبات الزيارة الجغرافية الميـدانية

التفقدية • وهذه الغاية من الزيارة التفقدية أو هـذا الهدف النهائى من الطواف على صعيد المساحة المعنية ، هو الذى يسعف الاجتهاد الجغرافى ، ويزوده بزاد جغرافى مناسب • ويرشد هذا الزاد الجغرافى التجهيز الجيد ، والاعداد المناسب ، لخروج الرحلة الجغرافية الميدانية فى المرحلة التالية ، وانطلاقها على صعيد المساحة المعنية • وقل أن هذا الزاد الجغرافى الـذى تفضى اليه المعـاينة ، وحسن استيعاب ما تحدث عنه الرؤية الجغـرافية ، يبصر اجزاء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لحسـاب جمع المادة العـلمية الجغرافية الخام ، وتقصى الحقائق الجغرافية الصحيحة عن أنمـاط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان •

هكذا تحقق الزيارة التفقدية جملة أهداف حيوية ، وهى تمهد لاجراء الدراسة الميدانية • ولا يجوز التفريط أبدا فى هدف من هذه الأهداف ، حتى لا يطعن هـــذا التفريط فى جدية أو فى جدوى الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض • ومن بين هذه الأهداف الأولية نذكر ذلـك الوضــوح الذى تكفله الرحلة الجغرافية ومبـاشرة الزيارة التفقدية ، وهى تطـــوف وتعاين وتدقق وتستوعب ، حتى يبـلغ الأمر حد توفير أو تهيئة الأسس السليمة التى ترشـد الاجتهـاد الجغرافى ، فى دراسة موضـوع استخدام الأرض ، فلا تخذله أو تضلله أبدا • ويمكن أن نتبين أبعاد هذا الترشيد والعمل الجغرافى على بصيرة ، فى قضية اختيـار وحسن تشكيل الفـــريق المتعاون فى انجاز الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض مرة ، وفى قضية التخطيط وحسن وضع الاطار الجامع الكلى والبرامج التفصيلية التى تغطى الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض مرة أخرى •

وهـذا معناه أن بلوغ الغـــاية الحقيقية والأهم من الزيارة الجغـرافية التفقدية ، يرشد اختيار أعضاء الفريق المتعاون فى انجاز العمل الميدانى • ويشمل هذا الترشيد تحديد مواصفات التخصص الدقيق ، اللازم توافره فى كل عضو من أعضاء هذا الفريق • كما تبصر هـــذه الغاية وضع خطة

العمل الميـداني اللازمة في اطار سليم منضبط ، قبـل خروج رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، واجراء الدراسـة الميـدانية عن استخدام الأرض ، في ثلاثة أمور هامة ، هي :

١ — وضع برامج العمل الجغرافي الميداني التي تلتمس تقصى قدرات الناس وهي تسأل الأرض ، وتقصى خواص الأرض وهي تجاوب على سؤال الناس ، توطئة لدراسـة أنماط استخدام الأرض ، وتحرى توزيعهـا على المستوى الأفقي في ربوع المسـاحة المعنية ، ثم الحكم على مستوى هـذا الاستخدام وتقويمه لحساب الانسان ٠

٢ — تجهيز واعداد الأدوات والمعدات والاستبيانات التي تسـأل الناس ، وتعجم عود الأرض ، توطئة لانجاز أو تنفيذ برامج العمل الجغرافي العملي الميداني ، عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المسـاحة المعنية وتحرى القدر المناسب من التدقيق في هذا التنفيذ الجغرافي الميداني ٠

٣ — حسن تصنيف وحسن تنسيق ، وحسن توزيع تكليفات العمل الجغرافي العملي الميداني وبرامجه على الشركاء في فـريق العمل المتعـاون ، وصـولا الى شيء مناسب من السيطرة على تقـدم الانجاز تقـدما متوازيا ومتوازنا وهو يتحرى القدر المطلوب عن خواص الأرض ، والقدر المطلوب عن قدرات الانسان ، حتى يتسنى التغلغل في عمق العلاقة التي تجسـد كنه ومستوى استخدام الأرض ٠

واضافة الى ذلك كله ، تفضى الرحلة الجغرافية الميدانية ، بعد الانتهاء من الزيارة التفقدية ، ومعاينة صور وأنماط استخدام ، على صعيد الأرض في أنحاء المساحة المعنية ، الى حسن توجيه الاجتهاد الجغرافي لانجاز البحث ٠ ويستوجب حسن التوجيه ، عودة الجغرافي من جديد الى شيء مهم من حسن الاطلاع على المراجع ، وانجاز ما ينبغي انجازه مرحليا على مستوى الدراسـة الوثائقية ٠

وما من شك فى أن هذا التزود المناسب ، من معين الدراسة المكتبية أو من معين الدراسة الوثائقية ، يكون بعد رحلة الزيارة التفقدية تزودا على بصيرة ووعى • بل قل أن هذا الزاد الجغرافى المسجل أو المكتوب ، يشد أزر الاعداد الجيد لرحلة الدراسة الميدانية ، وتقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية •

وهكذا يسفر بلوغ الغاية من الزيارة الجغرافية التفقدية ، على صعيد المساحة المعنية ، عن وضع جغرافى سليم وموضوعى ، فى طلب وتحرى الهدف الجغرافى الموضوعى ، عن دراسة استخدام الأرض • وبناء على حسن الوصول الى هذا الوضع الجغرافى السليم ، يبدأ الاستعداد الفعلى ، لانجاز التجهيزات الأساسية ، أو التحضير المناسب ، لخروج رحلة تقصى الحقائق الجغرافية الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية •

* * *

تشكيل الفريق وتكليفات العمل عن انماط استخدام الأرض

نعود ونكرر مبلغ حرص الجغرافية المعاصرة ، على العمل الجغرافى العملى الميدانى الذى ينجزه الفريق • وقل أنه يستشعر ضخامة حجم العمل وتنوعه تنوعا يتعذر معه قيام الباحث الجغرافى وحده بأداء أو انجاز هذا العمل • بل قل تزداد الحاجة الى العمل الجماعى ، عندما يكون المطلوب هو دراسة جغرافية ميدانية عن أنماط استخدامات الأرض ، فى المكان والزمان • بمعنى أن تتحرى الجغرافية المعاصرة ضرورة اسناد العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض الى الفريق ، وليس الى الفرد وحده •

وفحوى هذا الالحاح على مباشرة العمل الجغرافى الميدانى الجماعى ، والتحلى بروح الفريق ، لم يكن غريبا أبدا على الساحة الجغرافية بصفة عامة ، بين زملاء الصف المشترك ، أو زمرة الانتماء الجغرافى المتخصص ويكفى أن تتنوع استخدامات الأرض لكى تشمل الاستخدام الذى يغطى

الانتاج ، والاستخدام الذى يغطى السكن والاستيطان ، والاستخدام الـذى يغطى توفير الخدمات ، حتى يتأتى المبرر القوى ، لاشتراك أكثر من جغرافى متخصص فى تكوين الفريق • ويصبح هــذا الفريق مسئولا، عن دراسة موضــوع استخدام الأرض ، واجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية •

وهناك مبرر قوى آخر ، يبتنى على أساس الاهتمام الجغرافى العـلمى من غير حدود ، بالانفتـاح الحميد ، على العــلوم الطبيعية وهى تتـدارس الأرض ، وعلى العــلوم الانســانية وهى تتدارس الانسـان • ومع التحول الجغرافى الى المنهج التطبيقى ، تبرهن الجغرافية بهذا الانفتاح على أنها ما زالت تمثل العلم البينى التطبيقى • بمعنى أنها تقف فى مكان مناسب بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، وتعرف كيف تأخذ منهما الأخذ المناسب • وتبدو نتائج هذه العلوم التى تجيد الخبرة الجغرافية الانتفاع بهـا ، وكأنها جزء من المـادة العلمية الخام المتداخلة فى نسيج البحث الجغـرافى عـامة • وقل تكون هذه النتـــائج أكثر من مهمة ، وهى تتداخل فى نسيج البحث الجغرافى عن استخدام الأرض بصفة خاصة •

واستجابة لهذا المبرر القوى ، الذى يكفل الانجاز المناسب ، والذى يجاوب منطق وروح وفلسفة الانفتـاح الجغرافى ، يـكون الاقدام المطمئن ، على تكوين الفريق • ويدعو هذا التوجه الضرورى الى اشراك بعض العناصر العلمية المنتخبة من بين المتخصصين فى العــلوم الطبيعية ، والمتخصصين فى العلوم الانسانية ، فى صف واحد مع أعضاء من الجغرافيين المتخصصين ، لانجاز العمل الجغرافى الميدانى عن موضوع استخدام الأرض •

ومثل هــذا التوجه الجغرافى الحميد ، الـذى يحشد أو يجمع فى صف واحد أو فى فـريق مشترك ، بين زمرة من المتخصصين الجغرافيين ، وزمرة من المتخصصين العلميين غير الجغرافيين ، يستوجب مهارة وخبرة فى حسن الاختيار • كما يستوجب قبل ذلك وضع الضوابط المناسبة ، التى ينبغى أن يلتزم بها هــذا الاختيار • ومن بين هــذه الضوابط ، نذكر استعداد

المتخصص العلمى غير الجغرافى ، وحسن اقباله على الاشتراك فى تكوين الفـــريق ، دون اكراه أو التعرض لضغوط مادية أو معنـوية . كما نذكر أيضـــا ، حسن استعداد الشريك غير الجغرافى ، لاكتساب مهـارات العين الجغرافية وهى تعاين على صعيد المساحة المعنية ، ومهارات التذوق الجغرافى ، وهو يعمل ويختبر خواص الأرض أو قدرات الانســان ، ومهارات التحليل الجغرافى وهو يحلل ويقوم أنماط استخدام الأرض السائدة فى الميدان .

ويكون التطلع فى هـذا الاختيار الدقيق الذى يجمع شمل الفـــريق المتعاون ، وينسق بين أفراده فى اجراء الدراسة الميـدانية عن استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، موجها بعناية شديدة ، الى طلب حسن التنسيق بين مهارات ونتـائج عمل المتخصصين الجغرافيين والمتخصصين غير الجغرافيين ، وحسن الانتفاع المباشر أو غير المباشر فى انجاز العمل النهائى . كما يكون هذا التطلع فى هذا الاختيار الحميد ، موجها بعنـاية أشد وأكثر تدقيقا ، نحو سـبل التمـاس الكيفية التى تدخل بهـا اسهامات الشركاء فى هذا الفريق العلمى ، تداخلا سليما ومنطقيا وموضوعيـا ، فى توليفة البحث الجغـرافى النهـائى ، عن استخدامات الأرض ، على صعيد المســاحة المعنية . ولا شىء أهم فى هـذا الاختيـار ، من أن تخيم على الأعضـاء روح الفريق وأن يظلل التعاون عمل الفريق فى الميدان .

واضافة الى هذا التدقيق المناسب ، فى اختيار عنـاصر الفـريق من الجغرافيين ، ومن غير الجغرافيين ، تمتد يد الاختيار بنفس القدر من العناية والاهتمام الى عنـاصر مسـاعدة ، ينبغى أن تضم أو أن تكون فى صحبة الفريق ، عند الخروج لانجاز العمل الجغـرافى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية . ويقع هذا الاختيار على حشد جامع من العمـالة الفنية المدربة على العمل الجغرافى ، والمعـاونة فى مباشرة أو فى انجـاز البـرامج والتكليفات العملية فى الميدان . وتلك فئة مهمة فى اطار الفريق ولا يجوز أبدا التفريط فى حسن اختيارها . كما يقع الاختيـار أيضا ، على حشد آخر من العمالة

غير الفنية ، لكى يسند اليها توفير الخدمات العامة والخاصة ، أثناء العمل واجراء الدراسة الميدانية وتنفيذ برامجها • وقد تكون هذه الخدمات أحيانا لجناب العمل وانجاز التكليفات العملية ، أو أن يكون أحيانا أخرى لحساب أفراد الفريق • واذا كانت المهارات المكتسبة والتدريب الفنى هو الذى يزكى اختيار العمالة الفنية (الرسام - المصور - فنى تحليل التربة) ويثق فى أداء التكليفات التى تسند اليها ، فان أهم ما يزكى العمالة غير الفنية (السائق - الحارس) ، هو الشهادة لها بالنشاط والأمانة والانضباط وحسن الاستجابة المباشرة للتعليمات ، فى الميدان •

وهكذا نفهم أبعاد الاهتمام الجغرافى المناسب ، الذى يدقق فى اختيار كل عضو من أعضاء الفريق : وقل أن هـذا هو الاهتمام الجغرافى ، الذى يبرهن على منتهى العناية بانسجام الفريق ، وهيمنة روح الفريق أثناء اجراء الدراسة الميدانية ، وتنفيـذ خطة العمل الجغرافى عن استخدامات الأرض ، فى المساحة المعنية • ويتمادى هذا الاهتمام وهو يدقق فى هذا الاختيار الجيد أو المناسب ، وصولا الى تأمين :

١ - حسن تشكيل الفريق المتعاون ، وحسن جمع واختيار العناصر العامية المتخصصة ، والعناصر الفنية والعناصر غير الفنية ، الفنية ، فى منظومة عمل متفاهمة تفاهم العازفين فى الفريق الموسيقى ، ومقبلة بتفتح شديد على حسن الأداء وانجاز العمل الجغرافى الذى يسند للفرد عن استخدامات الأرض فى المساحة المعنية •

٢ - حصر طبيعة وماهية التعاون العملى الميدانى المشترك ، فى اطار حسن توزيع التكليفات العملية ، وفى تنفيذ وأداء العمل الجغرافى الميدانى على مستوى الفرد أحيانا ، وعلى مستوى الفريق أحيانا أخرى ، بكل التنسيق الموضوعى ، حتى تخيم على الفريق وعلى نتائج العمل روح الفريق ، لحساب الدراسة الميدانية الأجدى والأكثر انفتاحا وتفتحا عن استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية •

وهكذا تبرهن الجغرافية المعاصرة على حسن منطق وفلسفة الانفتاح الجغرافى الصحيح ، وهى تهتم بتوسيع « قاعدة الاشتراك التخصصى » فى تشكيل الفريق المتعاون فى الرحلة الجغرافية الميدانية • وتتحرى الخبرة الجغرافية الانتفاع بمهارات هذه الصحبة من المتخصصين العلميين ، وخاصة فى مرحلة اقدام الرحلة الجغرافية الميدانية ، على اجراء الدراسة الميدانية ، وتقصى الحقائق الموضوعية عن أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية • ويكون هذا التوسيع فى هذه القاعدة بانضمام المتخصصين العلميين الى الفريق ، واشراكهم فى اجراء الدراسة الميدانية ، ناجحا وموفقا ، كلما تحلت الخبرة الجغرافية بقدرات ومهارات أفضل وقت اختيار عناصر هذه الصحبة ، من صفوة المتخصصين العلميين • كما ينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى بعد ذلك كله ، بقدرة على حسن قيادة الفريق المتعاون ، وعلى حسن توزيع برامج وتكليفات العمل الميدانى ، عن أنماط استخدام الأرض ، على عناصر هذه الصحبة المتخصصة ، كل فيما يخصه •

وصحيح أن اختيار العناصر المناسبة ، من صفوة المتخصصين فى الجغرانية ، أو المتخصصين فى العلوم الطبيعية ، أو المتخصصين فى العلوم الانسانية ، للاشتراك الفعلى فى تشكيل الفريق ، يقع على عاتق الباحث الجغرافى ، وهو مسئول عن قيادة هذا الفريق ، وعن حسن توزيع التكليفات العملية ، وعن حسن تنسيق مسيرة العمل الجغرافى العملى الميدانى وتقصى الحقائق عن أنماط استخدامات الأرض •

وصحيح أيضا أن هذا الباحث الجغرافى ، وهو يتولى قيادة الفريق المتعاون فى كل مراحل اجراء الدراسة الميدانية ، يكون مسئولا بعد الشىء المناسب من التشاور مع الصفوة المشاركة له فى المسئولية ، عن حسن وضع الضوابط التى تكفل حسن اختيار العناصر الفنية المدربة وضمهم الى الفريق ، وحسن تشغيلهم والانتفاع بمهاراتهم العملية فى انجاز العمل الجغرافى الميدانى •

. . . ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو ضرورة حسن التزام الباحث الجغرافي القائد التزاما قاطعا ، بدواعي أو بضوابط الاختيار الموضوعية على كل مستوى من مستويات المشاركة في تشكيل الفريق ، وهي التي تتفاوت وتتنوع من رحلة جغرافية ميدانية لدراسة استخدامات الأرض في المكان والزمان ، الى رحلة جغرافية ميدانية أخرى لدراسة استخدام الأرض في المكان والزمان الآخر . وهذا هو عين ما يعبر عن معنى ومغزى تحرير مسألة تشكيل الفريق المتعاون في اجراء الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض ، من الوقوع في خطيئة القوالب الجامدة .

.. ولأن أنماط استخدامات الأرض في المكان والزمان المتنوعة ، تكون قابلة للتغير بفعل المتغيرات المتوقعة ، من مكان الى مكان آخر ، ومن زمان الى زمان آخر ، تبدو الحاجة الحقيقية الى تحرير تشكيل الفريق المتعاون لاجراء الدراسة الميدانية ، من جمود وتقليدية القوالب الجامدة . وهذا التحرير في تشكيل الفريق وضم العناصر الأنسب ، هو الذي يوفر التشكيل المناسب لدراسة استخدامات الأرض دراسة جيدة ومناسبة لحاجة العصر ومتغيراته ، في المكان والزمان . بل قل أن هذا التحرر في الاختيار ، هو الذي يكفل ضم العناصر التي تشارك بالفعل في انجاز العمل الجغرافي الميداني ولا يجوز غيابها أو التفريط فيها ، وهو الذي يكفل استبعاد العناصر الأخرى التي لا يتوقع منها أن تشارك مشاركة مجدية في هذا العمل الميداني في المكان والزمان . وما من شك في أن الانطباع الموضوعي العام ، الذي تكون رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية قد انتهت اليه ، هو وحده الذي يبصر هذا التوجه الجغرافي في قضية تشكيل الفريق ، وهو الذي يرشد ضم كل من يجب ضمه الى الفريق ، واستبعاد من ينبغي استبعاده من الفريق ، استجابة لحاجة العمل الميداني الحقيقية عن استخدامات الأرض في المساحة المعنية .

. . ولأن أنماط استخدامات الأرض في المكان والزمان ، هي مسئولية الانسان وهو يطلب ، ومسئولية الأرض وهي تجاوب هذا الطلب ؛ ولأن

هذه المسئولية المشتركة تعنى محصلة العلاقة الحميمة ، بين الأرض والعناصر التى تصنع وتوسع خواصها وتهيىء لها أن تضبط وتنضبط فى مواجهة الانسان الذى يسالها من ناحية ، والانسان ومهاراته التى تصطنع تكنولوجيته ووسائل عمله الحضارية ، وتهيىء له أن يضبط وينضبط فى مواجهة الأرض التى تجاوبه من ناحية أخرى ، ينبغى أن يضم تشكيل الفريق المتعاون فى اجراء الدراسة الميدانية عن استخدامات الأرض .

١ - نخبة من أصحاب التخصصات الجغرافية الطبيعية العلمية ، التى تعالج فى عمق وتتغلغل فى دراسة طبيعة الأرض ومتغيراتها ، وصولا الى تحليل مكونات الأرض وهى مسرح فسيح لاستخدامات الأرض . وتعاون هذه النخبة نخبة من أصحاب التخصصات العلمية الطبيعية التى تسعف هذا التحليل وتتعقب استجابة الأرض للانسان وهو يسالها ويتعامل معها .

٢ - نخبة من أصحاب التخصصات الجغرافية البشرية العلمية ، التى تعالج فى عمق وتتغلغل فى دراسة وجود الإنسان ومتغيرات هذا الوجود ، وصولا الى مهارات الإنسان وهو فاعل نشيط فى مجالات استخدامات الأرض . وتعاون هذه النخبة ، نخبة من أصحاب المتخصصات العلمية الانسانية ، التى تسعف هذا التحليل ، وتتعقب سبل واساليب الانسان للتعامل مع الأرض ، وهى تجاوبه ولا تخذله .

ويحدد الغرض من ضم أو جمع أصحاب هذه النخبة المتنوعة ، واشراكهم فى تشكيل الفريق المتعاون ، سبل توجهات الاختيار المناسب ، وكيفية الانتفاع الفعلى بخبراتهم ومهاراتهم ، فى انجاز الدراسة الميدانية عن أنماط استخدامات الأرض فى المكان والزمان . ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف لا يجب أن يتخذ تشكيل الفريق المتعاون ، شكلا ثابتا أو جامدا لا يتغير . بل قل أن هذا التشكيل يكون مرنا كل المرونة ، ويكاد يتغير تغيرا ملحوظا ، حسب ما تمليه خواص ومواصفات وأنماط

استخدامات الأرض السائدة ، التى تتغير من مكان الى مكان آخر أو من زمان الى زمان آخر ، يعنى أنه مع كل تكليف يسند الى الخبرة الجغرافية جهة دراسة استخدام الأرض فى مساحة معينة ، يكون من شأن هذه الخبرة أن تتحرى تشكيل الفريق بعد اجراء الزيارة الجغرافية الثفقدية ، على صعيد هذه المساحة المعنية . ومن ثم يتأتى هذا التشكيل ، وهو الأنسب على بصيرة .

وتشاور أعضاء الفريق من ذوى التخصص الجغرافى ، مع الباحث الجغرافى قائد الفريق ، تشاورا موضوعيا ، هو الذى يرشد حسن انتخاب أو اختيار النخبة من المتخصصين العلميين ، وضمهم الى تشكيل الفريق ، عن اقتناع بدورهم الوظيفى وذعم المهارة الجغرافية فى التحليل والتركيب . كما يرشد التشاور بين أعضاء الفريق المتعاون بكامل تشكيله ، حسن اختيار عناصر العمالة الفنية وغير الفنية ، وتأهيلهم قبل خروجهم فى معية الفريق المتعاون ، عند الخروج بالرحلة الجغرافية الميدانية ، فى مرحلة تقصى الحقائق الجغرافية وتحليلها ، واجراء الدراسة الميدانية وتنفيذ برامج العمل تحت أنماط استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية .

وتعلق الجغرافية المعاصرة أملا كبيرا ، على ما يمكن أن تسفر عنه توجهات الانفتاح الجغرافى ، من نتائج وتحليلات جغرافية أفضل . وقل تكون المصلحة الجغرافية فى التفتح الجغرافى بقصد التنور ، رهنا بحسن الأخذ من المعين العلمى ، وحسن استثمار التشاور وتبادل الرأى العلمى والعملى بين الصفوة المنتخبة من أعضاء الفريق المتعاون . ويدعم ذلك كله ، اجراء الدراسة الميدانية ، وحسن تنفيذ برامج العمل الميدانى ، التى تجاوب أو تحقق دواعى تجديده وتجويد البحث الجغرافى عن استخدامات الأرض ، ورسم الخرائط الجيدة التى تصور أو تعبر عن توزيع هذه الاستخدامات على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية . بل قل تهيمن على تشكيل الفريق وتسود روح الفريق ، ويخيم التنور ، ويتوفر المناخ

العلمي والعملي المتناسب ، لانجاز المهام الميدانية ، عن أنماط استخدامات الأرض في المكان والزمان ٠

وبعد ذلك كله ، يدرك الاجتهاد الجغرافي المعاصر جيدا ، قيمة أو جدوى التفتح الجغرافي الحميد ٠ ويثق كثيرا من غير حدود ، في التنور وحسن الأخذ من نتائج العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ٠ ويظل نجاح عمل هذا الفريق المتعاون ، أو يبقى معلقا على شرطين جوهريين ٠ وهذان الشرطان الجوهريان هما :

أولا ـ شرط حيوي يتحدث ولا يسكت أبدا ، عن حسن تصدى الجغرافي لقيادة الفريق ، واستحسان أن يكون هو وحده في نهاية المطاف المسئول أولا وأخيرا ، عن حسن توزيع العمل واسناد التكليفات العملية الى أعضاء الفريق والاسهام المباشر أو الاسهام غير المباشر في انجازه على صعيد الأرض في المساحة المعنية ٠ وهو المسئول أيضا ، عن جمع النتائج النهائية للعمل الميداني ، وتصنيفها التصنيف الأنسب واضافتها الى الرصيد الجغرافي عن أنماط استخدامات الأرض السائدة ٠

ثانيا ـ شرط آخر يتحدث ولا يسكت أبدا ، عن حسن انفتاح قنوات الاتصال والانفتاح والتنور والاستعداد للأخذ والعطاء ، وتنفيذ برامج العمل الجغرافي ، تنفيذا تخيم عليه روح الفريق ، فيسدد خطوات هذا التعاون العلمي والعملي ، حتى يتسنى انجاز الدراسة الميدانية الأنسب ، بل قل الأجدى والأكثر تغلغلا في كنه وماهية توجهات أنماط استخدامات الأرض السائدة ، في أنحاء المساحة المعنية ٠

وترى الجغرافية المعاصرة وهي صادقة وموضوعية ، أن اسناد قيادة الفريق الذي يعمل في الميدان ، ويتقصى الحقائق عن أنماط استخدامات الأرض ، الى الجغرافي وصاحب الخبرة الجغرافية ، تمثل مسئولية جسيمة ٠ ولا تنشأ هذه المسئولية من فراغ أبدا ، وهو يتحرى دراسة الأرض ودراسة

الانسان . ولا تنتهى هذه المسئولية من غير غاية أبدا وهو يتحرى العلاقة بين الانسان والأرض . ومن خلال مهارة الجغرافى فى التحليل والتركيب ، يكون الباحث الجغرافى هو الأولى والأصلح لتحمل أعباء هذه المسئولية .

وقل أن هذا الوضع الصعب ، الذى يكلف الخبرة الجغرافية المتخصصة فى استخدام الأرض ، أكثر مما يشرفها ، هو مسئولية صعبة وأمانة غالية فى العنق الجغرافى ، لا ينبغى أن يتهرب منها الباحث الجغرافى أبدا . ولا يتأتى هذا الاسناد أو هذا التكليف الذى يضع هذه الأمانة فى العنق الجغرافى ، الا على أساس ما يتمتع به الجغرافى المكلف من مهارات فى مباشرة التحليل والتركيب ، أو ما يكون قد اكتسبه من خبرات فى دراسة استخدام الأرض والتغلغل فى تخصصاتها الدقيقة . ويبدو هذا التخصص الجغرافى الدقيق مطلوبا بالحاح فى :

١ - حسن توزيع التكليفات العملية الميدانية ، وتنسيق العمل الجغرافى الجماعى ، ومتابعة التنفيذ ، وضبط ايقاعات التحرك والانتشار فى الأنحاء المتفرقة والمنتخبة لانجاز العمل ، وضبط وتنظيم ايقاعات التجمع والالتقاء والمراجعة بعد اتمام العمل اليومى وتكليفاته على صعيد المساحة المعنية .

٢ - حسن تقويم جدوى العمل الجغرافى الميدانى وتطبيقاته ، ومتابعة التقدم فى الانجاز المستمر ، وحصر الرصيد المتراكم من البياتات والمعلومات والحقائق والنتائج والمادة العلمية الخام ، وهى تتأتى وتتوالى وتتراكم تباعا ، من مواقع العمل المنتخبة بعناية شديدة ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية . ويعقب على ذلك كله حسن تصنيف هذه النتائج عن كل نمط من أنماط استخدام الأرض .

٣ - حسن التحلى بالقدرات الجغرافية المناسبة فى مباشرة التحليل والتركيب ، وحسن الاستعداد الفورى لفهم واستيعاب معنى ومغزى

الرصيد الجغرافى المتراكم من خلال العمل الميدانى فى الجعبة ، حتى يصبح فى وسعه صياغة أو صنع التوليفة الجغرافية المناسبة ، عن أنماط استخدام الأرض • وتتأتى هذه التوليفة من خلط وتداخل ماهر وسديد ، بين نتائج العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينجزه الاجتهاد المشترك للفريق من ناحية ، ونتائج الاطلاع الجغرافى على المراجع والرجوع الى الوثائق من ناحية أخرى •

٤ - وحسن التحلى بالقدرات والمهارات فى التقويم الجغرافى وحساب الجدوى الاقتصادية والاجتماعية ، لأنماط استخدام الأرض السائدة ، وتحديد مستويات هذا الاستخدام وكفاءته على صعيد المساحة المعنية • وعندئذ يتحقق الرأى الجغرافى الصحيح الذى يرشد تحسين هذا المستوى ، ورفع كفاءة الاستخدام ، دون الخروج ، أو دون تجاوز حد الصواب اقتصاديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو حضاريا • بمعنى أن يكون هذا الرأى الجغرافى مسئولا عن توثيق وتحسين العلاقة بين الانسان والأرض وصولا الى مستوى الاستخدام الأنسب أحيانا والأفضل أحيانا أخرى •

ووضع المتخصص الجغرافى ، على رأس الفريق المتعاون وتكليفه ، هو الوضع الصحيح • ولا يعنى هذا الوضع الصحيح أبدا أنها قيادة اشرافية مؤقتة ، أثناء رحلة العمل الجغرافى العملى الميدانى فقط • بل ولا يعنى أبدا أنها مسئولية محدودة ومنتهية بانتهاء العمل الميدانى • بل قل انها قيادة تكليف مستمر واشراف كلى وضرورى ، وليس تشريف أبدا أو اشراف صورى • ويستوجب هذا التكليف الاشتراك فى العمل ، ولا ينبغى أن يغادر الجغرافى قائد الفريق الميدان ، حتى يفرغ الفريق المتعاون تماما كل فيما يخصه ، من الانجاز وجمع أوصال العمل الميدانى •

وينبغى أن يوظف القائد الجغرافى مهاراته فى العمل الجغرافى الميدانى جنبا الى جنب مع رفاقه أو مع شركائه فى الفريق • وهو يرافقهم

فى الميدان عاملا ، ويجتمع بهم لمراجعة انجازات العمل الميدانى أو لمناقشة أو حذف أو تعديل أو اضافة من أجل انجاز عملى ميدانى أفضل . ولا يجب أن يغيب هذا الجغرافى القائد عن الفريق ، أو أن يمتنع أو أن يتهرب من مباشرة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، أو من مباشرة حسن حصر نتائجه ضمن الرصيد الجغرافى عن استخدامات الأرض . هذا بالاضافة الى الاستعداد الكامل لتوظيف مهاراته فى التحليل والتركيب ، وصولا فى نهاية المطاف الى التجهيز النهائى ، للموضوع الشامل الذى يعالج دراسة أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية .

وخطة العمل الميدانى هى التى تحدد تكليفات العمل الجغرافى فى الميدان . وتضع هذه التكليفات على كاهل كل فرد فى الفريق مسئولياته ، وهو يباشر العمل فى الميدان . ويكون الباحث الجغرافى قائد الفريق مسئولا عن تنسيق ايقاعات العمل وتقدمه من مرحلة الى مرحلة ، أو من يوم الى يوم آخر . وانتهاء هذا التكليف بقيادة الفريق المتعاون فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، لا يكون أبدا الا عندما ينتهى العمل الميدانى كله . والباحث الجغرافى قائد الفريق ، هو وحده الذى يعلن انتهاء العمل الجغرافى العملى فى الميدان ، بعد أن يطمئن على رصيد أو على نتائج العمل الميدانى .

وبعد انجاز المهمة فى الميدان ، يستحق المتخصص الجغرافى فى استخدام الأرض شيئا مناسبا من الثناء والاطراء . وهذا الثناء لا يحرم الشركاء معه أبدا حظهم أو نصيبهم المناسب ، من حق ثابت من الشكر وحسن التقدير . بمعنى أن من يسهم بعمله الميدانى ، وينجز التكليف الميدانى عن استخدامات الأرض ، وهو يجمع الأوصاف والتفاصيل والمادة العلمية الخام ، من المساحة المعنية عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، يستحق شيئا من التقدير والثناء . بل قل أن من يعكف فى اصرار ، على رسم الخريطة ، وتوقيع البيان الشامل عن توزيعات أنماط الاستخدامات السائدة ، فى أنحاء المساحة المعنية ، يستحق شيئا مناسبا من التقدير والثناء ،

ويستحق الجغرافى وهو الذى يتفرغ لقيادة مسيرة العمل الجغرافى الميدانى فى مرحلة ، وينعكس بعد ذلك كله على انجاز البحث الذى يتحدث عن استخدامات الأرض ، فيصور الأنماط ويكشف عن جدواها الاجتماعية والاقتصادية ، ثم يوصى بسبل تحسين مستوياتها على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، يستحق نصيبا مبالغا فيه من الشكر والثناء .

ومهما يكن من أمر ، فان الجغرافى ، يظل مسئولا عن اخراج البحث الجغرافى ، وفى صحبته الخرائط التسجيلية عن أنماط استخدامات الأرض ، وهو وحده دون غيره من أعضاء الفريق صاحب المهارة ، التى يعرف بموجبها أو التى يجيد بها اعداد العرض الموضوعى ، وكيف تكون الصيغة أو كيف تكون التوليفة المناسبة لهذا الغرض . وقل أنه يعرف كيف يلملم فى هذا المجال ، أوصال ونتائج العمل الجغرافى الميدانى ، وأوصال نتائج العمل الجغرافى المكتبى ، حتى يدخلها التداخل البديل فى نسيج البحث عن استخدامات الأرض . ويعرف الجغرافى ويجيد فى نفس الوقت ، ترشيد الرسام ، الذى يتولى توقيع البيانات المناسبة على خرائط استخدامات الأرض على صعيد المساحة المعنية .

هذا ، وما من شك فى أن المهارة الجغرافية التطبيقية ، فى صياغة الحبكة الجغرافية فى المكان ، وفى حسن انسياب التعبير الجغرافى الموضوعى فى الزمان ، وفى تجويد العرض الجغرافى على خرائط استخدامات الأرض فى المكان والزمان ، وفى حسن تقويم مستويات أنماط استخدامات الأرض وترشيد تحسين مستويات هذا الاستخدام ، كلها أمور جوهرية وهامة فى مجال دراسة استخدام الأرض ، على صعيد أى مساحة معينة . ولا يتقن هذه الأمور ، ولا يتالق فى حسن معالجتها من خلال التحليل والتركيب ، الا الجغرافى المتخصص تخصصا تطبيقيا دقيقا فى دراسة استخدام الأرض .

* * *

خطة العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض :

اذا كان الانطباع الجغرافى الحسن عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد الأرض فى ربوع المساحة المعنية ، بعد العودة من رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، يرشد اختيار أعضاء الفريق العلمى المتعاون والعمالة الفنية المعاونة ، فان هذا الانطباع الجغرافى نفسه ، مع شيء من حسن الاطلاع الجغرافى ، الذى يتيسر أثناء الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية ، يبصر ويسدد وضع خطة العمل الجغرافى ، وصياغة برامج الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض • وفى غياب هذه الخطة التى يعكف الفريق العلمى على وضعها يتخبط العمل الجغرافى ، ولا تحقق الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض أهدافها المناسبة •

هذا ، ولا يكون الذهاب الى المساحة المعنية ، من أجل تقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض ، وانجاز العمل الجغرافى العملى الميدانى ، قبل وضع خطة العمل المناسبة • وينبغى أن توضع هذه الخطة فى احسن حبكة تناسب المكان على صعيد الأرض فى أنحاء المساحة المعنية• كما ينبغى أن توضع هذه الخطة فى أحسن سياق يناسب حركة الزمان على صعيد الأرض فى أنحاء المساحة المعنية • ومتابعة تنفيذ خطوات العمل الجغرافى الميدانى ، حسب ما تستوجبه هذه الخطة ، هو الذى يؤكد نجاح الفريق فى اجراء الدراسة الميدانية عن استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية •

وصحيح أن الباحث الجغرافى المتخصص الذى يتحمل مسئولية التكليف ، هو الذى يستوعب محصلة الاطلاع الجغرافى على المراجع والمصادر ، وهو الذى يباشر أو يلتمس الانطباع الجغرافى الصحيح عن أنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • ولا أحد غيره ، فى وسعه أن يمتلك وأن يستثمر نتائج الاطلاع والانطباع ، التى ترشد الاقبال الجغرافى على دراسة استخدام الأرض •

وصحيح أيضا ، أن الباحث الجغرافى ، الذى يقود الفريق ، وهو مسئول عن اجزاء البحث ، يمتلك الخبرة الجغرافية أو المهارة اللازمة ، التى تؤهله تأهيلا مناسبا لوضع خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى ، من أجل دراسة ميدانية شاملة ، عن أنماط استخدام الأرض • ولا أحد غيره ، يعرف كيف يسأل حتى تتيسر الاجابة التى تكشف عن الوجه الصحيح لأنماط استخدام الأرض ، أو التى تقوم مستويات هذا الاستخدام لحساب الانسان فى المكان والزمان •

ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن الباحث الجغرافى لا يطاوع هوى النفس ، ولا يقدم أبدا على وضع هذه الخطة ، ولا يتحمل مسئولية صياغة تفاصيل برامج العمل الجغرافى العملى الميدانى ، دون التشاور مع رفاقه فى الفريق • ويباشر الجغرافى هذا التشاور الهادىء ، ويتبادل الرأى مع أعضاء الفريق الذين وقع عليهم الاختيار ، حتى يتسنى الاتفاق على وضع خطة العمل • وهذا أمر حسن يبشر بانجاز الدراسة الميدانية فى جو مناسب تخيم عليه روح الفريق •

ويبدو أن معاينة أنماط استخدام الأرض ، والوقوف أمامها وجها لوجه على صعيد المساحة المغنية ، بعد التزود بشىء من محصلة الاطلاع على ما تحدث عنه المراجع والكتابات الجغرافية وغير الجغرافية وحده ، لا يكفى - فى الغالب - لوضع خطة العمل الجغرافى الميدانى ، توطئة لانجاز الدراسة الميدانية عن موضوع استخدام الأرض • ومن ثم لا يستقل ولا ينبغى أن يستقل الجغرافى قائد الفريق المتعاون برأيه الخاص ، فى انجاز هذه المهمة• بل قل لا ينبغى أن يغيب أعضاء الفريق ، الذين يشتركون جنبا الى جنبه فى صحبة متعاونة ، عن وضع هذه الخطة الميدانية •

ويكون التشاور وتبادل الرأى الموضوعى بين أعضاء الفريق ، خطوة هامة من الخطوات المناسبة التى تتعمد حسن ترسيخ معنى ومغزى روح

الفريق • ويجرى هـذا التشاور المفيـد ، الـذى لا ينبغى الاحجام عنه أو التفريط فى معطياته ، فى شىء كثير من التانى الهادىء ، مع كل من يهمه الأمر من أعضاء الفريق أحيانا ، أو مع كل الفريق المتعاون أحيانا أخرى • ويدور هذا التشاور ، فى حوار وجدل موضوعى مناسب ، حول عدد من القضايا الجوهرية عن استخدام الأرض • ويكون الهدف الحقيقى من هذا التشاور ، الاتفاق والوصول السليم الى الرأى السديد ، الذى ينبغى الالتزام به ، عند مباشرة وضع هيكل واطار وعناصر وتفاصيل خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى الأنسب ، لدراسة أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية •

وتبدو مجموعة القضـايا الجوهرية محل التشـاور بين الشركاء فى الفريق ، أو التى يغطيها الحوار والجدل الموضوعى ، كثيرة ومتنوعة • وهى - من غير شك - القضايا الحيوية التى تمثل الشغل الشاغل ، الذى يشغل ويهم الاجتهـاد الجغرافى ، وهو يلتمس وضع الخطة لضبط وتنظيم وتنسيق مسيرة الدراسة الميدانية على درب الصواب ، عن أنماط استخدام الأرض • وتتمثل هذه القضايا فى :

١ - قضية التوجه المناسب والصحيح بالرحلة الجغرافية الميـدانية الى المساحة المعنية ، فى الوقت المناسب بالأسلوب المناسب •

٢ - قضية ضبط وتنظيم اهتمامات الاجتهاد الجغرافى بالمسح الجغرافى الذى يغطى أنماط استخدام الأرض ، وبالتقويم الجغرافى الذى يحدد مستوى هذه الأنماط ويعقب على جدواها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، على صعيد المساحة المعنية •

٣ - قضية التزود بالمعلومات والأدوات والوسائل ، التى ينبغى أن تستخدم حتى تسعف اجراء الدراسة الميدانية ، وحسن التعـامل الميدانى مع المنظور الجغرافى لأنماط استخدام الأرض السائدة •

وعن قضية التوجه الى الميدان ، لمباشرة الدراسة الميدانية ، يدور الحوار ويكون التشاور ، ثم الاتفـاق ، ليس لكى يتحدد موعد الذهاب ، أو الانطلاق فى الرحلة الجغرافى الميدانية فقط ، بل لكى يتسنى الاتفـاق الجماعى بين أفراد الفريق على نمط أو شكل الوجود أو البقاء فى الميدان • وتكون المفاضلة فى اختيـار مناسب لمباشرة العمل الميدانى ، بين الوجود المستمر على مدى فترة زمنية منـاسبة ، تدوم الى حين الانتهـاء من اجراء وتنفيذ برامج العمـــل الجغرافى العملى فى دفعة واحدة أحيـانا ، والوجود غير المستمر أو المنقطع ، حيث يتـكرر الذهاب وتتكرر العـــودة من والى المساحة المعنية ، حتى يتسنى الانتهاء من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافى العملى ، على دفعات متعددة ومتعاقبة أحيانا أخرى •

وعندما يقع الاختيار ويتم الاتفاق على الوجود المستمر ، يتعين وضع خطة عمل متكاملة • وفى اطار هـــذه الخطة توضع بـرامج العمل الجغرافى العملى فى تنسيق مناسب • بل قل ينبغى أن يراعى ترتيب خطوات التنفيذ واجراء العمل على التوالى أحيانا وعلى التوازى أحيـــانا أخرى • ويستمر العمل الجغرافى فلا يتوقف أبدا الا بعد أن يفرغ الفريق من انجاز التكليفات ، التى تسندها الخطة ، لـكل فرد متخصص من أفراد الفــريق • ولا ينبغى أن تكون العودة من الميدان الا بعـد الانتهاء من انجـاز كل بـرامج العمل الجغرافى الميدانى • وفى هذه الحالة ، ينبغى أن تؤمن الخطة اقامة الفريق ، ووجود واختيار المكان المناسب لهذه الاقامة فى موقع أو فى أكثر من موقع على صعيد الأرض فى أنحاء المساحة المعنية •

وعندما يقع الاختيار ويتم الاتفاق على الوجود غير المستمر ، ومباشرة الذهاب والعودة بعد الانتهـاء من تكليفات كل يوم من أيام العمل ، يتعين وضع مجموعة من الخطط • وينبغى أن تكون على النحو الذى يناسب تنفيذ العمل الجغرافى الميـدانى على التوالى • بل قل لا محل أبدا لانجـاز العمـل الجغرافى فى هذه الحالة على التوازى • كما ينبغى أن يراعى فى وضع هـذه

الخطط ، أن تتكامل حسبه دواعى تكرار الذهاب فى بداية اليـوم والعودة فى نهايته من المساحة المعنية • ومع هـذا التكرار ، يتسنى اجراء بـرامج العمل الجغرافى الميدانى ، عن أنماط استخدام الأرض ، على دفعـات متعاقبة أو على مراحل متوالية • ومع ذلـك فالعودة فى نهـاية اليـوم ينبغى آن يسبقها الاطمئنان على تنفيذ الوجبة اليومية من العمل الجغرافى حسب الخطة الموضوعة •

هذا ، و لايكون هذا الاختيار أو هذه المفاضلة ، عشوائية أو اعتباطية وكأنه يتأتى دون مبررات منطقية تستوجبها الأوضاع والأحوال السائدة على صعيد المسـاحة المعنية • بل قل هنـاك بالقطع دواعى وموجبات ومبررات كثيرة ومتنوعة ، ينبغى أن توجه هــذا الاختيار ، أو هذه المفاضلة ، بين استمرار ووضع خطة عمل واحدة تخدم وتنظم هذا العمل الجغرافى الميدانى المستمر أحيـانا ، أو عـدم الاستمرار وتفضيل الذهاب اليومى والعودة ، ومجموعة خطط عمل فى خدمة العمل الجغرافى الميدانى المتوالى ، حتى ينتهى ويتكامل أحيانا أخرى • وتقف وراء هذا الاختيار هذه العوامل التى نذكر منها :

١ ـ مبلغ قدرة واستعداد أعضـاء الفـريق على التفرغ دون موانع أو متاعب لانجاز العمل الجغرافى فى الميدان • بمعنى أن لا يشغلهم شاغل آخر عن هذه المهمة ، على المدى الزمنى الذى يتعين حسن تقديره •

٢ ـ مبلغ الاطمئنان الى توفر امكانيات الاقامة المستمرة على صـعيد المساحة المعنية ، حتى يتسنى انجاز العمل الميـدانى دون ارهاق أو مشقة تؤثر على جودة الانجاز أو تطعن فى جدواه •

ويبقى بعد ذلك كله ، العامل الموضوعى الذى تعلن عنه حاجة العمل الجغرافى الميدانى نفسه ، على صعيد المساحة المعنية • بمعنى أن نتبين مبلغ استعداد العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض ، لأن يتجزأ ، أو لأنه

يدم الانجاز على مراحل متباعدة ، دون أن يتضرر اجراء العمـل وتنفيـذ البرامج الموضوعة ، أو دون أن يتعذر جمع الحصاد وحصر الرصيد المطلوب من البيانات عن أنماط استخدام الأرض • بمعنى أن يجيب الفريق المتعاون وهو على بينة بالعمل الجغرافى الميدانى المرتقب ، وعلى بصـيرة بالأوضـاع التى تواجه هذا العمل ، على استفسار يسأل عن الاختيار الأفضل لانجاز المهمة على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية •

واحتواء خطة العمل الجغرافى الميدانى ، البـرامج المرحلية العمـلية اللازمة لانجاز المهام المتعددة والمتنوعة عن استخدامات الأرض فى المسـاحة المعنية ، على دفعة واحدة ، أثنـاء الاقامة المستمرة فى الميـدان هو التوجه الاعتيادي الذى لا يحتـاج إلى تعليق • ومع ذلك يستحق التجهيز لهـذا التوجه شيئا كثـيرا من العنـاية والتدقيق فى اصطحاب الأدوات والأجهزة والمعـدات المناسبة لتغطية حاجة العمـل الميدانى ، وانجازه دون توقف • كما يستحق هذا التجهيز أيضا أن يحسب حساب راحة أعضـاء الفـريق ماديا ومعنويا ، حتى يحـافظ على مستوى الحماس المطلوب لانجـاز العمل الجغرافى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية •

أما توزيع العمـل الجغرافى العملى الميدانى ، على عـدد من المراحل ، حتى يتسنى انجازه على دفعـات متوالية ، فانه هو الذى يستوجب شيئا كثـيرا من الاهتمـام الجغرافى • ويشمل هذا الاهتمام التـدقيق فى مسألة التنسيق وضبط ايقاعات العمل الجغرافى الميدانى بين مجموعة الخطط التى توضع بعناية شديدة ، وينبغى أن يتكامل بها انجاز العمل الجغرافى العملى كله ، عن استخدامات الأرض فى نهاية المطاف • بمعنى أن توضع الخطط للعمل الميدانى ، فى الشكل ، وفى المضمون ، وفى الترابط الموضوعى ، لكى تتكامل تكاملا جيدا • وعنـدئذ يكون الاطمئنان الى أن انجـاز العمل الجغرافى الميدانى فى مرحلة ، يؤدى بالضرورة الى حسن متـابعة الانجـاز الميدانى فى مرحلة تالية •

وفى مثل هذه الحالة الاستثنائية ، التى تستوجب الذهاب والعودة من والى المساحة المعنية مرات كثيرة ، يكون من الضرورى تأمين الحبكة التى تصطنع اطارا حاكما لمجموعة خطط العمل الجغرافى الميدانى . وتكفل هذه الحبكة حسن سير العمل ، وانضباط وتنظيم ايقاعات العمل الجغرافى العملى الميدانى . وقل تحتاج هـذه الحبكة العملية ، شيئا من المهـارة والتأنى فى تقسيم وتصنيف ، فى اطار تركيب العمل الجغرافى الميدانى . وعنـدئذ ، يتسنى الحفـاظ على نسق مناسب فى الترتيب أو فى التعاقب من ناحية ، وحصر عدد المرات التى يتكرر فيهـا الذهاب والعودة الى المسـاحة المعنية من ناحية أخرى .

ورغم الفرق الكبير بين الاستعدادات والتجهيزات بين انجـاز العمل الجغرافى العملى الميدانى على دفعة واحدة ، وانجـاز العمـل الجغرافى العملى الميدانى على دفعات متعاقبة ، فلا ينبغى أن يكون هناك أى فرق بين حصاد العمل فى هاتين الحالتين . بمعنى أن يتحرى الاجتهـاد الجغرافى التـدقيق فى جمع المادة الخام عن استخدام الأرض ، وتغطية أهداف العمـل الميدانى دون تفريط فى أى شىء ، أو دون الخروج عن الموضوعية .

وعن قضية الاهتمام الجغرافى بالعمل الميدانى ، الذى ينبغى أن يغطى كل أنماط استخدامات الأرض المتنوعة على صعيد المسـاحة المعنية ، نذكر مسألة ضبط وتنظيم هـــذا العمـل ، وتأمين خطوات الانجـــاز على درب الصواب . وقل أن خطة العمل التى توضع قبل الخروج فى رحلة العمل ، أو فى رحلات العمل الميدانى ، هى المسئولة عن هـذا الضبط والتنظيم . وينبغى أن يشمل هذا الضبط والتنظيم ويتحرى شيئا مناسبا من العنـاية بالمسح الجغـرافى لأنمـاط استخدام الأرض على صـعيد المساحة المعنية . ويستوجب هـــذا المسح الجغـرافى اهتمـاما بتوزيع أنمـاط الاستخدامات المتنوعة ، على صعيد الأرض . كما يستوجب أيضا العناية بتعليل هـــذا

التوزيع الجغرافى ، أو هذا الانتشار الأفقى • ثم يلتمس هذا المسح قدرا مهما من العناية ، باستشعار الصلة ، أو بالتكامل أو بالربط الموضوعى بين منشارات التنوع فى استخدامات الأرض من ناحية ، وباستشعار دواعى وأصول التداخل والتكامل من خلال هذا التكامل بينها من ناحية أخرى •
ويكون هذا المسح الجغرافى لأنماط استخدام الأرض ، وكأنه يجسد التقاط الصورة التى تتحدث عن هذه الأنماط • ومع ذلك يضيف العمل الجغرافى بالتعليق تارة وبالتعقيب تارة أخرى شيئا مفيدا عن أهم ما تعلن عنه هذه الصورة عن استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية

ويغطى الاهتمام الجغرافى الدراسة الميدانية التى تتغلغل فى عمق العلاقة بين الانسان وهو يسأل الأرض ، والأرض وهى تجاوب الانسان • ويستوى فى ذلك أن يكون السؤال موجها للأرض فى طلب الانتاج ، أو موجها للأرض فى طلب السكن ، أو موجها للأرض فى طلب الخدمات • ويكون هذا التغلغل ، سبيلا من سبل الاقدام الجغرافى ، على تقويم جغرافى جيد ، عن أنماط استخدام الأرض • وينبغى أن يسلك الاجتهاد الجغرافى فى اجراء الدراسة الميدانية ، السبل التى يبتنى عليها حساب جدوى العمل البشرى الذى يعمل من أجل بلوغ الغاية من أى نمط من أنماط استخدام الأرض • بل قل يسعف التغلغل حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، واستشعار سبل تحسين مستوى هذه الجدوى •

ومن خلال هذا الاهتمام الجغرافى ، ووضع خطة العمل الجغرافى الميدانى ينبغى أن يفضى الاجتهاد الجغرافى بعد انجاز الدراسة الميدانية الى :

١ ــ حسن بيان أنماط استخدام الأرض ، ووضوح رؤية توزيعها الجغرافى على صعيد المساحة المعنية • ويسعف العمل الجغرافى الميدانى ، توقيع هذا التوزيع الجغرافى على الخرائط ، والتوصيف الدقيق الذى يغطى أنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية

٢ - حسن اجراء حسابات التقويم الجغرافى ، لأنماط استخدام الأرض ، وحسن ابداء الرأى الجغرافى عن مستويات الاستخدام ، وتحديد مسئولية الانسان الذى يطوع الأرض ، ومسئولية الأرض التى تطاوع الانسان .

هذا ، وينبغى أن توضع خطة العمل الميدانى ، وهى تتضمن برامج العمل الجغرافى العملى الميدانى ، لكى تبدو وكأنها مسئولة عن حسن تحليل أو تفكيك أوصال المنظور الجغرافى السائد لأنماط استخدامات الأرض ، أو كأنها مسئولة عن حسن التماس خيوط العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية ، المتداخلة فى نسيج الرؤية الجغرافية لأنماط الاستخدامات السائدة ، على صعيد المساحة المعنية . بمعنى أن يكون العمل الجغرافى الميدانى ، على النحو الذى يكفل الاستدلال الجيد ، على مكونات المنظور الجغرافى ، وهو يصور العلاقة بين الانسان والأرض ، حتى يتسنى ترسيخ كل نمط من أنماط استخدام الأرض . وهذا الاستدلال الجغرافى هو الذى يسعف البحث والتحرى الجغرافى ، عن خصائص هذه العناصر المشتركة فى صميم هذه العلاقة ، وصولا الى صياغة أنماط استخدام الأرض . وهو الذى يسعف البحث والتحرى الجغرافى ، عن حسن تقويم أنماط استخدام الأرض .

ومن ثم لا يكون التشاور والحوار بين أعضاء الفريق المتعاون ، حول هذه القضية مفيدا ، لضبط وحسن تنظيم الاهتمامات الجغرافية ، التى تلتمس حسن بيان أنماط الاستخدامات السائدة فى أنحاء المساحة المعنية فقط ، بل يكون هذا الحوار والتشاور أكثر جدوى وفاعلية ، فى تحديد توجهات العمل الجغرافى العملى عن هذه الاستخدامات وبرمجته . بل قل أنه يبدو أكثر جدوى فى مباشرة حسن توزيع التكليفات العملية ، التى تعهد لكل عضو فى الفريق بنصيب مناسب ومتفق عليه ، من العمل الجغرافى العملى الميدانى . وفى ظل الاتفاق الذى ينتهى اليه هذا الحوار

والتشاور ، يلتزم العضو بانجاز هذا العمل الذى يسند اليه ، فى تناغم جيد وحسن تنسيق عملى ميدانى ، بين انجازات الأعضاء مع مضى أو مع تقدم معدلات التنفيذ العملى فى المساحة المعنية ، من مرحلة عمل ميدانى ، الى مرحلة عمل ميدانى أخرى .

ويدرك الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، قيمة أو جدوى هـذا التشاور والحوار الموضوعى ، فى وضع الخطة والاتفاق على تفاصيلها ، حتى لا توضع على غير هدى ، فى غيبة الفريق المتعاون. وقل أن غياب هذا التشاور والحوار الموضوعى ، أو اهماله والتفريط فيه ، لا يعنى غير التنكر لمنطق وفلسفة وروح الفريق ، ووضع خطة العمل على غير بصيرة . كما يعنى هذا الغياب أيضا ، حرمان الخطة ، من الانتفاع بخبرات المشاركين فى عضوية الفـريق المتعاون ، وهم مسئولون أولا وأخيرا ، مسئولية فردية وجماعية ، عن انجاز العمل الجغرافى العملى عن استخدامات الأرض ، على صعيد المساحة المعنية .
بل قل أن هذا الاشتراك الذى يجمع شمل الفريق ، ويشركهم بالمسئولية الجماعية ، عن حسن انجـاز العمل الجغرافى العملى ، يستوجب بالضرورة الاشتراك الحقيقى أو الفعلى ، فى مسألة التخطيط الموضوعى من أجل حسن تنفيذ الدراسة الميدانية . ويحول هذا الاشتراك فى المسئولية الجمـاعية ، دون التهرب من هذا الحوار والتشاور بأى شكل ، لأن هذا التهرب يطعن فى دواعى وموجبات الجدية فى تحمل مسئولية الانجـاز المناسب للدراسة الميدانية عن موضوع استخدام الأرض .

وفى اطار هـذا التشاور والحوار الموضوعى الجماعى ، حيث لا يغيب طرف من الأطراف المعنية ، بدراسة ميدانية جيـدة ، يدرك الاجتهـاد الجغرافى المعـاصر ، أن وضع برامج العمل الجغـرافى العملى الميدانى ، عن استخدامات الأرض ، ووضع الاطار الحاكم الذى يحتوى هـذه التفاصيل الكثيرة ، ويكفل الحبكة وحسن السـياق ، فى المكان والزمان ، يختلف اختلافا كبيرا باختلاف المساحة المعنية من مكان الى مكان آخر ، ومن عصر

الى عصر آخر . بمعنى أن لا خطط عمل جغرافى ميـــدانى تحتويها قوالب جامدة ، ولا ينبغى أن تكون أبدا . وهذا معناه أنه لا اتفاق أبدا ، يقبل به الفريق على خطة عمل جغرافى نموذجية جامدة ، لا تتغير ولا تتبدل ، ويتكرر تطبيقها والعمل بها ، وكأنها القالب الجامد فى كل مكان ، وفى كل زمان . ومعناه أيضا ، أنه ينبغى تجهيز الخطة الميدانية المناسبة للموضوع ، الذى يغطى أنماط استخدام الأرض المتنوعة ، ويتحدث عنهـا الواقع على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

وعن قضية **التزود بالأدوات والأجهزة** اللازمة لاجراء الدراسة الميدانية ، نقول انها تشغل الفريق المتعاون قبـــل الخروج فى رحلة العمـــل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية . وينبغى أن يدور الحوار ويجرى التشاور الموضوعى الجيد ، بين أعضاء الفريق وزملاء العمل الجغرافى الميدانى عن استخدام الأرض ، لـكى يتـأتى الاتفاق على ما ينبغى التـزود به من الأدوات والأجهزة ، لانجاز العمل الميدانى . وقل صحيح أن من حق كل عضو أن يلتمس ما يخصه من أدوات وأجهزة تسعف انجاز العمل المسند اليه ولـكن الصحيح بعـد ذلك أن يكون من حق الفـــريق وهو شريكه فى المسئولية الجماعية ، أن يدلى برأيه أو أن يعلم على الأقل بقائمة الأدوات والأجهزة المطلوبة لانجاز العمل فى صحبة الفريق .

وينبغى أن يسبق هـــذا الحوار والتشاور ، تكليف كل عضو من أعضاء الفريق ، باعداد قائمة بما يطلبه من الأدوات والأجهزة لانجاز تكليفات العمل الميدانى المنشود . كما يحق لكل عضو أن يعـــد قائمة بالأدوات والأغراض التى تغطى حاجته الخاصة ، وهو يباشر العمل والاقامة فى الميدان. وفى جلسة الحوار أو التشاور الموضوعى بين أعضاء الفريق ، تعرض هذه القوائم ، وتطرح على بساط البحث ، حتى يتأتى الاتفاق على القائمة الموحدة التى تسجل كل الأدوات والأجهـــزة والمعدات اللازمة لانجـاز الدراســـة

الميدانية ، عن استخدامات الأرض على صعيد المساحة المعنية . واضافة الى ما يرد فى هـذه القائمة المشتركة ، هنـاك حاجة الى ضم بعض الأدوات والمعدات والأجهزة التى تيسر الرحلة الجغرافية الميدانية ، والاقامة اثنـاء الفترة الزمنية المناسبة لانجاز العمل الجغرافى الميدانى(١) .

---

(١) لا يتجاوز محتوى القائمة التى ترد على صفحاتهـا الأدوات والأجهزة ، الوارد فى القائمة التالية :

أولا - أدوات المعيشة فى معسكر العمل الميدانى أو فى محل الاقامة فى المستوطنة المنتخبة :

١ - خيام اقامة مؤقتة ، بواقع خيمة واحدة لكل أربعة أفراد من أعضـاء الفريق . ٢ - أسرة نوم مناسبة بعدد أفراد الفريق . ٣ - خيمة مكتب وعقد جلسات عمل واجتماعات ميدانية . ٤ - خيمة خدمات خاصة وحمام . ٥ - خيمة مطبخ وأخرى كبيرة لتقديم وجبات الطعام اليومى . ٦ - عدد مناسب من المقاعد والمناضد والمكاتب وفرش الأرضية . ٧ - أدوات اعداد الطعام وتشـغيل المطبخ وأدوات مائدة واعاشـة . ٨ - أنوار اضاءة وموتور مولد كهربائى ، وأدوات اسعاف ورعاية طبية أولية ، وأدوات اطفاء الحريق . ٩ - جهاز استقبال (راديو - تليفزيون) وجهاز ارسال واتصالات لاسلكية ، وجهاز كومبيوتر . ١٠ - سيارات ركوب صالون صغيرة مجهزة بفتيس عُرز . ١١ - سيارة نقل كبيرة . ١٢ - طائرة عمودية فى بعض الأحوال الخاصة ، لمباشرة الدراسة الميدانية على الصعيد الصحراوى أو فى المساحات غير المـأهولة بالسكان .

ثانيا - أدوات ومعدات وأجهزة العمل الجغرافى العملى فى الميدان .

١ - تيودليت مناسب . ٢ - ميزان . ٣ - بلانشيطة وحامل . ٤ - بوصلة منشورية . ٥ - بوصلات عـادية لأفراد الفريق . ٦ - اليداد . ٧ - مساطر رسـم عادية ومساطر حرف T . ٨ - ميزان ابنى . ٩ - شواخص وشوك وأشرطة قياس مساحية بأطوال متفاوتة . ١٠ - شاكوش عينات جيولوجية . ١١ - جاروف وفأس عينات تربة . ١٢ - أكياس جمع عينات صخور وتربة . ١٣ - أحماض تحاليل ميدانية سريعة . ١٤ - وحدة تحـاليل تربة (تحليل كيماوى وتحليل ميكانيكى) . ١٥ - قامات قياس مساحية . ١٦ - آلة كاتبة وآلة طباعة رونيو ، وآلة تصوير طباعة . ١٦ - كاميرا عادية ، وكاميرا تصوير تليفزيونى ، وكاميرا تصوير سينمائى ، وكاميرا تصوير جوى . ١٨ - مناظر مكبر . ١٩ - ميكروفون ، وجهاز عرض سينمائى ، وجهاز فيديو . ٢٠ - لفات من الحبال .

ثالثا - أدوات رسم الخرائط والرسوم البيانية :

١ - ورق كتابة مساحات متنوعـة ، وورق رسم فبريانو ، وورق رسـم مربعـات . ٢ - مساطر تهشير . ٣ - مساطر رسم منحنيات ، اقـلام تحبير ، ومجموعة من المثلثـات المتنوعة . ٤ - أقلام رصاص درجات متباينة ، وأقلام تحبير ، وأقلام فلوماستر وأقلام ألوان متعددة . ٥ - مجموعة استونجات رسم كبيرة . ٦ - لوحات رسم كبيرة مقاسات متفاوتة . ٧ - دبابيس تثبيت لأوراق الرسم . ٨ - أدوات رسم كثيرة أخرى معاونة .

وفى اطار وضع وتجهيز خطة العمل الجغرافى العملى الميدانى الأنسب ، التى تتعقب ملامح أنماط استخدام الأرض ، وفى اطار التشاور والحوار الموضوعى بين أعضاء الفريق المتعاون ، لحصر قوائم الأجهزة والمعدات والأدوات اللازمة لانجاز العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، تكون العناية بتجهيز أو اعداد الاستبيان • وقل أن هذا الاستبيان يمثل جزءا لا يتجزأ من اعداد أدوات العمل الميدانى • ذلك أنه يسجل الاستفسارات عن العلاقة بين الانسان والأرض ومباشرة استخدام الارض ، ويتحرى حصر وتسجيل الاجابات والردود على هذه الاستفسارات •

ويستحق اعداد الاستبيان شيئا كثيرا من العناية الجغرافية ، حتى تخرج الرحلة الجغرافية الميدانية وهى تملك وسيلة من أهم وسائل العمل لانجاز الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض • وتشمل هذه العناية الجغرافية ، حسن صياغة الأسئلة والاستفسارات ، التى تجاوب تنفيذ البرامج العملية فى الميدان ، وتجد فى المقابل اجابات سديدة وصادقة • كما تشمل هذه العناية الجغرافية أيضا ، حسن تبويب وتصنيف الاسئلة والاستفسارات ، تبويبا موضوعيا ، حتى ينساب سياق الاجابات انسيابا منسقا ومفيدا ، وهى تتحدث عن توزيع أو عن تعليل أو عن الربط ، بين أنماط استخدام الأرض ، وانتفاع حركة الحياة بها ، وتحديد الجدوى الاجتماعية أو الجدوى الاقتصادية لهذه الاستخدامات •

وهكذا ، لا يجب أن يستقل عضو فى الفريق برأيه ، فى مجال اعداد الأسئلة والاستفسارات ، أو فى تصميم الاستبيان ، وترتيب ورود هذه

رابعا ـ خرائط ورسوم وصور جوية :

١ ـ خرائط تفصيلية عن المساحة المعنية (طبوغرافية ـ تضاريسية جيولوجية ـ مناخية ـ حيوية ـ سكانية ـ اقتصادية ، وأى خرائط أخرى متاحة) • ٢ ـ صور جوية من الاقمار الصناعية • ٣ ـ رسوم بيانية وقطاعات متنوعة • ٤ ـ مجموعات من الخرائط الصماء بمقاييس رسم مناسبة ، لتفريغ المعلومات عليها فى الميدان •

الأسئلة ، حتى لا تفتقد الدراسة الميدانية شيئا من جدوى عمل الفريق في حسن التدقيق ، وانضباط ايقاعات الردود ، عند حصر الاجابات التى يسفر عنها تنفيذ العمل الميدانى ، عن استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية . ومع ذلك يبقى الاهتمام باعداد الاستبيان وصياغة الأسئلة الواردة فيه ، أمانة غالية في عنق الاجتهاد الجغرافى ، وهو مسئول عن مراجعة الاستفسارات التى يعدها ويتقدم بها الزملاء العلميين غير الجغرافيين. ويستوى فى هذه المسئولية ، أن يكون هذا الاستبيان ، هو الاستبيان الناطق ، الذى يجرى فيه الحوار بصوت مسموع ، يتعامل مع من يستخدم الأرض ويسخرها ، فيصغى الى السؤال ويجاوب عليه ، أو وهو الاستبيان الصامت الذى يجرى فيه الحوار دون صوت مسموع ، فيعرف كيف يوظف السؤال الجيد ، الذى ينتزع من صمت الأرض المستخدمة الاجابة الصحيحة.

وعن **الاستبيان الناطق** الذى يسأل الانسان ، ينبغى أن يدرك الاجتهاد الجغرافى كيف يطلب الاجابة من الانسان الذى فى وسعه قول الصدق أو قول الكذب أو قول المبالغة والتضليل . وتستحق صياغة هذا الاستبيان شيئا من المهارة فى اختيار صيغ الأسئلة ، وشيئاً من المهارة فى ترتيب الأسئلة ، حتى تفوت الفرصة على الكذب أو التضليل أو المبالغة . بل قل ينبغى أن يوضع الاستبيان ، لكى يخدم المسح الجغرافى اللازم لبيان توزيع أنماط استخدام الأرض ، واستشعار دواعى التعليل التى تفسر هذا التوزيع الجغرافى ، ثم لكى يخدم التقويم الجغرافى الصادق عن مستوى استخدام الأرض ، وجدوى الانتفاع بها اقتصاديا أو اجتماعيا ، على صعيد المساحة المعنية ، وقد يضيف الاجتهاد الجغرافى بعض الأسئلة التى تلتمس مبلغ استعداد الانسان لتحسين مستوى تعامله مع الأرض ، ومبلغ استعداد الأرض للاستجابة لتطوير أساليب الانسان من أجل استخدام أفضل . ولا ينسى الإستبيان الأسئلة والاستفسارات التى تلتمس التنسيق بين تحسين مستوى الاستخدام من ناحية والمحافظة

على البيئة وتجنب الطعن فى قابلية الأرض للاستخدام ، وتجنب تلوث البيئة ، من ناحية أخرى ٠

وتسأل بعض الأسئلة فى هذا الاستبيان عن رأى الناس فى أنماط استخدام الأرض ، سواء أعلن هذا الرأى عن التحفظ أو عن الاعتراض وطلب التعديل ٠ كما تسأل بعض الأسئلة عن مبلغ الحاح الناس فى طلب أنماط مستجدة من استخدام الأرض ٠ ويورد الاجتهاد الجغرافى بعض الأسئلة التى تعجم عود الضبط البشرى حتى تتكشف قوة فعله ومبلغ تأثيره على الأرض والسيطرة عليها وتطويعها ٠ ويظل من حق الباحث الذى يسأل ، ويتلقى الاجابات ، أن يضيف بعض الأسئلة ، التى يستوجبها الموقف ، أثناء اجراء العمل الميدانى ٠ ومع ذلك لا يحق له أن يحذف أى سؤال ، أو أن يجرى تعديلا على صيغة السؤال فى الاستبيان ، الا بعد الرجوع ، والتشاور مع الفريق ، بمعنى أن الاضافة جائزة ، وأن الحذف أو التعديل غير جائز ، دون الرجوع الى الفريق ٠

وعن **الاستبيان الصامت** ، الذى يسأل الأرض ، يعتمد الباحث فى الميدان على الأجهزة والمعدات أحيانا وعلى التجربة أحيانا أخرى ، فى القاء السؤال وتلقى الاجابة ٠ ولأن الأرض لا تعرف الكذب ولا تعرف المبالغة ولا تتعمد التضليل أو اخفاء شىء ، يطمئن الاجتهاد الجغرافى ولا يتخوف من سؤال الأرض ٠ ومع ذلك يجب الاهتمام بوضع السؤال فى الصيغة التى تؤمن حسن استجابة الأرض والرد ردا مناسبا عليه ٠ وقل لا ينبغى أن يضم هذا الاستبيان سؤالا ، الا اذا كان فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يمتلك الوسيلة ، التى تحسن القاء السؤال على مسامع الأرض ، وتحسن تلقى الاجابة الفورية عليه ٠

وتسبق المهارة فى القاء السؤال على الأرض ، وتلقى الاجابة أو الرد ، المهارة فى اختيار صيغ الأسئلة المناسبة ، والمهارة فى حسن ترتيب هذه

الأسئلة ، والمهارة فى حسن تنسيق الأسئلة تنسيقا موضوعيا • وتسأل هــذه الأسئلة عن خواص الأرض ، وهى تتعمد حسن التمعن فى المنظور الجغرافى الطبيعى ، والتماس التدقيق فى كل عنصر من العنــاصر المتداخلة فى تركيب هذا المنظور • كما تسأل هذه الأسئلة عن الضوابط الطبيعية التى تعلن عنها هذه الخواص ، وهى تملك قوة الفعل فى مواجهة الانسان • ويعقب على هذه الأسئلة والاستفسارات التى تسأل عن خواص الأرض ، وعن ضوابطها ، أســئلة واسفسارات مهمة ، تسأل عن مبــلغ استعداد الأرض ، لمواجهة الانسان والانضباط بالضوابط البشرية فى اطار تطــويع الأرض • ،بل قل ينبغى أن يعجم السؤال طبيعة الأرض ، حتى تتبين له مبــلغ استعداد الأرض لفرض المتغيرات الطبيعية التى تؤثر على مســتوى استخدام الأرض ، ومبلغ استعداد الأرض للاستجابة لوسائل الانسان التى تبتغى تحسين مستوى استخدام الأرض •

هذا ، وفى الوقت الــذى تبصر فيه رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، وضع خطة العمل الجغرافى العلمى الميدانى لدراسة أنماط استخدامات الأرض ، وتجهيز أو اعداد الاستبيان ، تبصر الدراسة الجغرافية المكتبية والوثائقية ، والتشــاور الموضــوعى بين أعضاء الفريق هذا الاعداد الجيد للعمل الجغرافى فى المرحلة التالية • ومع ذلك يبقى دائمــا الحق فى مرونة كاملة يتحلى بهــا الاجتهــاد الجغرافى ، وتستوجبها دواعى اعــادة النظــر ، فى بعض تفاصيل البــرامج العملية فى الخطة ، من أجل الحذف أحيانا ، أو من أجــل التعديل ، أو من أجــل الاضافة أحيــانا أخرى • بمعنى أن الخطة ينبغى أن تتجــرد من دواعى الجمود ، وأن تتحلى بالمرونة • وتصبح هذه المرونة وسيلة مشروعة ، لــكى تواجه احتياجات البحث الجغــرافى العملى ، عن أنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان •

وحيث تكون المرونة متاحة فى وضع خطة العمــل الجغرافى العملى ،

وفى الاستبيان الذى يسأل الأرض أو الانسان ، أو حتى يتسنى الحذف أو التعديل أو الاضافة ، أثناء اجراء العمل فى المساحة المعنية ، يكون التشاور أكثر من واجب بين أعضاء الفريق المتعاون • ويكون هذا التشاور الموضوعى ، الوسيلة التى تتدارك الموقف ، وترشد التعديل بالحذف أو بالاضافة • بمعنى أن الحذف جائز ، وأن التعديل مباح ، وأن الاضافة متوقعة ، ولكن لا ينبغى أن ينفرد عضو من أعضاء الفريق وحده ، برأى فى شأن استحداث هذا التغيير فى محتواها •

وعندما ينتهى الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، من تشكيل الفريق المتعاون ، ومن وضع خطة العمل الجغرافى ، ومن تجهيز الأدوات والمعدات ، ومن صياغة الاستبيانات المناسبة ، تتهيأ كل الأوضاع المناسبة لبداية المرحلة التالية • وقل ينبغى أن تبدأ رحلة الخروج الجغرافى ، الى المساحة المعنية ، واجراء أو مباشرة وتنفيذ برامج العمل الجغرافى الميدانى عن موضوع استخدام الأرض •

★ ★ ★

خروج رحلة العمل الجغرافى ، وتقصى أنماط استخدام الأرض :

يجسد خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، معنى التوجه الجغرافى على درب الصواب ، لاجراء الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الارض فى المساحة المعنية • وقل أن هذه الرحلة الجغرافية تخرج الى الميدان لكى تتقصى الحقائق الجغرافية ، ولكى تحصل على المادة الخام ، حتى تنال وضوح الرؤية ، وهى تحملق فى المنظور الجغرافى ، وتملك القدرة على التأمل فى أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل انها الرحلة الجغرافية الميدانية ، التى تباشر جولات التعامل الجغرافى العملى ، مع المنظور الجغرافى الطبيعى الذى يتحدث عن خواص الأرض ، ومع المنظور الجغرافى البشرى الذى يتحدث عن قدرات الانسان ، حتى تفلح فى تعقب

عناصر ومكونات التعامل بين الانسان والأرض ، وكيف يسفر عن أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية ٠

وفى مواجهة هذا المنظور الجغرافى الطبيعى ، يجيد الاجتهاد الجغرافى التمعن فى طبيعة الأرض ٠ وفى مواجهة المنظور الجغرافى البشرى ، يجيد الاجتهاد الجغرافى التمعن فى قدرات الانسان ٠ وتلك بداية واقتراب مناسب لمواجهة المنظور الجغرافى الكلى ، الذى يتحدث ويعلن ويعبر عن مواصفات وملامح أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ٠ وينبغى أن يتحلى الباحث الجغرافى قائد الفريق ، وأن يتحلى معه أعضاء الفريق المتعاون ، بأكبر قدر مناسب من ذكاء الحس الجغرافى ، وسلامة الادراك الجغرافى ، وحصافة التفكير الجغرافى ، حتى يلتمس وضوح وحسن ادراك جدوى الانتفاع باستخدام الأرض اقتصاديا واجتماعيا ٠

هذا ، وقل أن الحاجة فى الميدان وقت اجراء الدراسة الميدانية ، الى ذكاء الحس اللماح ، وسلامة الادراك الواعي ، وتفتح التفكير الجغرافى المتنور ، هى التى تبصر أو ترشد العمل الجغرافى العملى ، عندما يواجه أى عضو من أعضاء الفريق أنماط استخدام الأرض ٠ وفى هذه المواجهة يتعامل معها الباحث تعامل من يطلب منها فى رفق ، أن تبوح له ولا تسكت ، أو تعلن على أسماعه ولا تتكتم الحقيقة الجغرافية ، عن العلاقة بين الانسان وهو يطلب ، والأرض وهى تجاوب ٠ بل قل أن المتخصص الجغرافى وفى صحبته شريكه فى العمل غير المتخصص الذى يخرج معه ، ويتعاون فى خدمة العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، ينبغى أن يعرف ، أو أن يجيد ويتقن التمعن فى المنظور الجغرافى الذى يجمع بين أرض صالحة للاستخدام وقابلة للتطويع فلا تخذل الانسان أبدا فى جانب ، وحركة حياة تملك مهارات استخدام هذه الأرض ، فى جانب آخر ، بعين جغرافية ثاقبة ومتمرسة ٠ كما ينبغى أن يجيد الباحث فى الميدان ، تذوق طعم الحقيقة الجغرافية ، التى تعلن عن :

١ ـ مبلغ استجابة الأرض ومواردها المتساحة وخواصها فى اطار المتغيرات الطبيعية والضوابط الحاكمة لها ، لاجتهاد الانسان ، وهى تطاوع وسائله وتجاوب تكنولوجيته ٠

٢ ـ مبلغ مهارة وسائل حركة الحياة ، فى اطار المتغيرات البشرية والضوابط الحاكمة لها ، التى تلتمس تطويع الأرض والانتفاع بها فى المساحة المعنية ٠

والعمل الجغرافى العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، الذى يتحرى ويدقق فى دراسة أنماط استخدام الأرض ، سواء تفرغ له الجغرافى المتخصص فى الفريق ، أو قام به الشريك العلمى غير الجغرافى أو عهد به الى الفنى الماهر فى صحبة الفريق ، هو الهدف الموضوعى ، أو هو الأساس المتين ، فى تقصى الحقائق الجغرافية التى تحدث عن أنماط استخدام الأرض ٠ وقد تغطى هذه الحقائق الموضوعية التى تلملم أوصالها الدراسة الميدانية من المساحة المعنية ، شكل الاستخدام ، أو مضمونه ونتائجه ، أو كنه العلاقة المتبادلة بين أرض قابلة للاستخدام وكأنها تعرض نفسها على حركة الحياة ، وانسان يطلب استخدام الأرض والانتفاع بها ٠ كما تغطى هذه الحقائق الجغرافية ، محصلة هذا الاستخدام ، وتكشف عن مستوى العلاقة المتبادلة ، فى اطار فهم جيد لمعنى الضبط والانضباط المتبادل ، بين خواص الأرض واستعداداتها للاستجابة فى جانب ، وقدرات الانسان ومهارته ودرجة الحاحه فى الطلب فى جانب آخر ٠

ويجسد هذا العمل الجغرافى العملى ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، معنى المواجهة الجغرافية الصريحة والمباشرة ، مع المنظور الجغرافى الطبيعى مرة ، ومع المنظور الجغرافى البشرى مرة أخرى ٠ ولا تكون هذه المواجهة مقصودة لذاتها ، بل انها تقدم لمباشرة التعامل الميدانى المناسب ، مع المنظور الجغرافى الذى يتحدث بصدق وموضوعية عن أنماط استخدام

الأرض فى المساحة المعنية ، ولا تخفى عن العين الجغرافية شيئا ٠ وتستحق هذه المواجهة ، ومباشرة التعامل الجغرافى التحليلى ، واجراء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن أنماط استخدام الأرض ، حسب جدولة مراحل التنفيذ فى الخطة المعمول بها ، ما يلى :

* * *

دراسة وعمل الفريق المقيم :

على صعيد المساحة المعنية ، تكون اقامة الفريق المتعاون فى دراسة أنماط استخدام الأرض ، دراسة ميدانية متأنية ، فى مستوطنة حضرية أو فى مستوطنة ريفية مناسبة ٠ ويقع الاختيار على هذه المستوطنة — فى الغالب — أثناء رحلة الزيارة التفقدية ٠ وقد يستوجب اتساع المساحة المعنية ، الاقامة فى أكثر من مستوطنة منتخبة ، تصلح لمباشرة العمل الجغرافى الميدانى ، وتكاد ترحب بحضور واقامة فريق العمل المتعاون ٠

ويستوجب هذا الاختيار كسب ود الناس ، واستيعاب الدور الوظيفى للفريق على صعيد المساحة المعنية ، والحصول على اذن السلطات المحلية ٠ وكسب الود والحصول على اذن السلطات ، هو الذى يبيح مباشرة العمل الجغرافى العملى الميدانى ٠ بل قل تخيم على اقامة الفريق كل دواعى الاطمئنان والأمان المتبادل بين من يكدح ويعمل ويسأل عن حقائق استخدام الأرض وتسخيرها فى جانب ، ومن يرد ويجاوب على الأسئلة والاستفسارات ويعمل وينتفع بانماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية فى جانب آخر ٠

ومن هذا الموقع المنتخب لاقامة الفريق ، يباشر أعضاء الفريق ، كل فيما يخصه أو يسند اليه العمل الجغرافى العملى الميدانى بعناية المتأنى والواثق على صعيد المساحة المعنية ٠ ومن هذا الموقع على المستوطنة المنتخبة ، تخرج رحلات العمل الجغرافى اليومية ، لاجراء العمل ، وتنفيذ البرامج العملية ، وجمع وتسجيل الردود والاجابات على صفحات

الاستبيان • وقد تتفــرق السبل ، وينهمك كل فرد من أعضــاء الفريق فى انجاز ما ينبغى أن يشغله • وقل أن لا عودة الا بعــد تمام الانتهاء من الشغل الميدانى الذى كان يشغله ، وهو وجبة عمل جغرافى يومية •

هذا ، ويكون هـــذا الانتشار والتحرك فى أنحـــاء المساحة المعنية منضبطا • وقل أنه يكون ملتزما بالخطة الموضوعة ، والمتفق عليها بين سائر أعضاء الفريق • واذا ما انتهت الوجبة اليـــومية من وجبـات العمل ، تبدأ العودة من الميدان الى محل اقامة الفريق • وعودة أعضاء الفريق بعــد عمل يوم كامل ، وتجمعهم ، يـكون أمرا مهما ومتفقا عليـــه • وفى اجتمـــاع أو فى جلسة عمل ، تخيم عليهـا روح الفـريق ، مساء كل يوم ، تتسنى مراجعة رصيد العمل اليومى • كما يتاح للفريق أن يتشاور فى معــدلات تقدم العمل الجغرافى اليومى ، وفى تصويب ما يستحق اعادة النظر فيه مرة أخرى • ويدور الحوار بين أعضاء الفريق على المحاور البحثية الموضوعية • كما يتسنى لهم مناقشة المشكلات البحثية المستجدة ، وعرض الاقتراحات وتبادل الرأى حول ما كان ، قد تم انجازه من العمل الجغرافى العملى فى يوم العمل الذى انتهى ، وما ينبغى انجازه من العمــل الجغرافى فى يوم العمل التالى ، على صعيد المساحة المعنية •

* * *

دراسة وعمل الفريق غير المقيم :

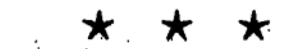
على صعيد المساحة المعنية ، يحضر الفريق الى الميدان ، بقصد اجراء الدراسة الميدانية ، عن أنماط استخدام الأرض • ويبدأ يعمل العمل الجغرافى اليومى بجد ونشاط • ويتولى كل عضو من أعضاء الفريق انجاز التكليف الذى تسنده خطة العمل اليه • وهناك بالضرورة نقطة بداية متفق عليها ، منها يتفرق أعضـــاء الفريق كل فى الوجهة التى تيسر له العمــل الجغرافى اليومى • وهذه النقطة هى بعينها نقطة التجمع عندما يفــرغ كل فرد من أفراد الفريق من انجاز الوجبة الجغرافية العملية اليومية •

واختيار هذه النقطة فى الموقع المناسب ، التى يكون وصول الرحلة الجغرافية الميدانية اليها ، وتكون منها انطلاقة كل فرد الى الوجهة المحددة لانجاز العمل الجغرافى اليومى ، ويكون عندها التجمع بعد اتمام هذا العمل توطئة لرجوع الفريق ، يجسد المعنى الحقيقى ، لمباشرة الدراسة الميدانية دون حاجة الى اختيـــار محل اقامة ثابت على صـعيد المســاحة المعنية • وفى الوقت الـذى تيسر فيه وسائل المواصـلات تحـرك الرحلة الجغرافية الميدانية ، وانتقال اعضاء الفريق يوميا من والى الميدان على صعيد المساحة المعنية ، ينبغى أن تكون جلسة اتفاق على الوجبة اليومية من وجبات العمل الجغرافى الميدانى ، قبل الذهاب الى الميـــدان ، وأن تعقد جلســـة مراجعة لمنجزات العمل ومعـــدلات تقـدم العمل بعـد العودة فى نهاية يوم العمل الجغرافى الميدانى •

وقل أن هذا الذهاب اليومى ، والعودة بعـد كل نهـاية يوم من أيام العمـــل ، يستوجب حسن العنـــاية بوضع خطة تناسب العمل الجغرافى اليومى • كما تستوجب شيئا من العنـــاية بتقسيم العمـل وحسن توزيع التكليفات اليومية على أفراد الفريق • بل قل انها وجبة العمل اليومى التى يباشرها الفريق كل فيما يخصه على صعيد المساحة المعنية ، دون ضغوط تدعو الى شىء من التعجل فى انهاء يوم العمل ، أو التعجل فى طلب العودة من الميـــدان • ويدرك الاجتهـاد الجغرافى جدوى هذا التمهل ، حتى لا تقع الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى عواقب واخطاء الانجاز العملى الجغرافى المتعجل •

ولا ينبغى ان تفتر همة الفريق فى الذهاب أو فى العودة ، مع تكرار الوصول اليومى الى الميدان • بل يجب أن يتكرر هـذا الوصول اليومى ، فى خفة ونشاط ودون تعجل ، لانجاز العمل الجغرافى الميدانى المناسب تماما لتغطية موضوع دراسة أنماط استخدام الأرض • ومداولات أعضاء الفريق فى نهاية كل يوم عمل ميدانى هى التى تحدد وجبات العمل فى كل يوم ،

وتحدد دواعى تكرار الذهاب الى الميدان ، حتى يمضى العمل الجغرافى على درب الصواب • ولا ينبغى أن يتوقف تكرار رحلة العمل الجغرافية اليومية أبدا ، حتى يتيقن الفريق من تمام انتهاء الدراسة الميدانية المتأنية من جمع المادة المطلوبة عن موضوع استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية •



ومن غير تمييز حقيقى ، بين شكل وأسلوب عمل وجدوى حضور الفريق المتعاون المستمر ضمن معسكر العمل الخاص ، أو فى أحضان مستوطنة منتخبة ومناسبة ، والاقامة لفترة زمنية متفق عليها لانجاز العمل احيانا ، وشكل وأسلوب عمل وجدوى ذهاب وعودة الفريق اليومية الى الميدان على صعيد المساحة المعنية ، على المدى الزمنى المناسب ، يكون التفرغ لأداء الدراسة الميدانية مطلوبا • والتفرغ معناه أن تكون الدراسة الميدانية هى شغل الفريق الوحيد الذى يشغله • ومعناه أيضا أن لا يدع الفريق أى هموم تهمه أو تؤثر على حسن أداء العمل الميدانى ، وانجاز الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض • ويبدو هذا التفرغ الذى نعنيه ، وهو طوع أمر الخطة الموضوعة ، التى يوكل اليها الفريق مسألة ضبط وتنظيم وتنسيق المضى التنفيذى على درب الصواب ، وتوجه مسيرة العمل الجغرافى العملى على صعيد المساحة المعنية ، من يوم الى يوم آخر •

وينبغى أن تطاوع الرحلة الجغرافية الميدانية ، ارادة الفريق ، وهو يباشر العمل الميدانى المنظم ، على صعيد المساحة المعنية • بل قل انها تطاوع ارادة الانتقال المنضبط ، والتحرك السليم ، والبحث الواعى ، والتحرى الدقيق عن المادة اللازمة ، لتجسيد صور استخدام الأرض ، والتعقيب على جدوى هذا الاستخدام ومستوى استجابته اقتصاديا واجتماعيا • ويجب أن تسعف الرحلة الجغرافية الميدانية ، وتجاوب جولات أعضاء الفريق المنضبطة ، وهم يفترقون أو ينتشرون ، انتشارا مناسبا ،

حسب نوعيــة التكليفات العملية الميدانية المنوطة بكل واحـد منهم ٠ كما نجاوب هذه الرحلة ارادة الفريق ، وهم يعودون ويتجمعون بعد انجاز العمل الجغرافى المنشود فى أنحـاء متفرقة من المساحة المعنية ٠ وتصبح الوجبة اليومية من هـذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، مسئولة يوميـا عن الانتشـار الواعى وجمع المـادة الجغرافية الخام فى بداية كل يوم ، وعن التجمع وتفريغ هذه المادة فى الجعبة الجغرافية فى نهـاية كل يوم من أيام العمل ٠ وهذا معناه اضافة الجديد كل يوم الى الرصيد الجغرافى ، عن انماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ٠

ويحتاج هـذا العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الـذى ينبغى أن يتقن أساليب التحرى ، والقاء السؤال ، ومباشرة الاستفسار عن أنماط استخدام الأرض ، شيئا من التدقيق ٠ كما يحتـاج تلقى الاجابات وحسن الاستماع للردود التى تجاوب عن الاستفسارات ، الى شىء كثير من الحصافة والتأنى الشـديد ٠ وفى جميع الأحوال ، يستوجب التدقيق والحصـافة والتأنى الشديد فى اجراء العمل الجغرافى الميـدانى ، حسن الانتفـاع بمهارة العين الجغـرافية فى المعايشة وتقصى الحقيقة ، حتى تـكون النتـائج الصحيحة والأجوبة السديدة ٠ كما يحتاج العمل الجغرافى الميدانى بعـد ذلك كله الى شىء كثـير من الصبر والجلد ، فى مواجهة تكرار العمل أو تـكرار القـاء السؤال فى مواقع متفرقة أو متعددة ٠ هذا بالاضافة الى شىء مناسب من حسن الانتفاع بالتذوق الجغرافى ، لنتـائج العمل والاجابات التى ترد على الاستفسارات والأسئلة ، حتى يتسنى التيقن من صدق وموضوعية وجدوى الحصـول على النتـائج الجغرافية ، من مصـادرها البكر على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ٠

ويحتاج هذا الصبر وتلك الحصافة ، من خلال مهارة العين الجغرافية المدربة ، وحسن تذوق نتائج العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن استخدام الأرض فى المساحـة المعنية ، إلى وقفات انتظار وتأمل دقيق ، حتى يتحقق

التمعن الجغرافى العميق • ويوفر هذا التمعن حسن التدبر والتفكير الجغرافى العقلانى الهـــادىء ، فى موقف الانســـان وهو يطـاوع الأرض لمبـــاشرة الاستخدام ، وفى موقف الأرض وهى تطـاوع ارادة الاستخدام • بل قل يوفر هذا التمعن حسن التحليل الجغرافى لأى صورة من صـــور استخدام الأرض ، وحسن التقويم الجغرافى لأى مســـتوى من مســتويات استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية •

وفى كل الأحوال ، وعلى صعيد أى مساحة معنية ، لا ينبغى أن ينفض أى عضو من أعضاء الفريق المتعاون يديه من العمل الجغرافى الميدانى أبدا ، قبل أن يلتمس الجدوى الفعلية من انجازات هذا العمل الميدانى • وقد يعتمد التماس هذ الجدوى ، على المهارة الذاتية الخاصة والمتخصصة أحيانا ، ولكن جلسات الاجتماع العلمى ، التى تضم أعضاء الفريق المتعاون ، بعد اتمام العمل الميدانى ، تكون الأفضل فى التماس هذه الجدوى • بل قل يــكون الحوار فى هذه الجلسات التى تسجل التمعن المشترك فى انجازات العمــل الميدانى ، سبيلا للتيقن من قيمة هذا العمل الميدانى عن استخدام الأرض ، أو من مضى هذا العمل على درب الصواب ، فى أنحاء المساحة المعنية •

ويمضى العمل الجغرافى العملى عن أنماط اســتخدام الأرض ، من يوم الى يوم آخر ، فى انضـــباط حقيقى على درب الصـــواب ، حسب الخطة الموضوعة والمعمول بها • وقل لا استثناء أبدا ، الا ما قد يستجد أثنـــاء جلســات التشــاور بين أعضــاء الفريق ، فيضيف ما يستحق الاضــافة ، أو يحذف ما يستوجب الحذف • ويتأتى هذا العمل الجغرافى الميدانى ، عن استخدام الأرض فى المساحة المعنية ، على وجهين متكاملين ، لا تنقطع الصلة الواجبة بينهما أبدا •

وعلى الوجه الأول ، يكون العمل الجغرافى الميــدانى ، من الاختصاص الجغرافى البحت • وهو مسئول عن انجازه ، ولا سبيل للمنافسة معه على هـــذا العمل • وهو المسئول عن مطالعة المنظور الجغرافى الطبيعى ، وكأنه

يلتمس خواص الأرض ، وكيف تطاوع الانسان فلا تخذله • وهو المسئول عن مطالعة المنظور الجغرافى البشرى ، وكأنه يلتمس قدرات الانسان وكيف يطوع الأرض التى تجاوبه •

وتستوجب هذه المسئولية ، على صعيد المساحة المعنية ، خبرة الجغرافى فى التحليل والتركيب التى يجيدها أكثر مما يجيدها غيره • وقل أن هذا الشق العملى الجغرافى الميدانى ، هو الذى يمهد ويسعف الاقتراب من أنماط استخدام الأرض ، وهو الذى يتقصى ويتدارس أوضاع ويتحرى مستويات استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات • ومن أجل هذا الهدف يعمل الاجتهاد الجغرافى ، ويباشر الدراسة الميدانية ، ولا يكاد يصلح لانجاز هذا الهدف فى نهاية المطاف ، غير الجغرافى المتخصص•

وعلى **الوجه الآخر** ، يكون العمل الميدانى ، لحساب الهدف الجغرافى من التصدى لدراسة استخدام الأرض ، من الاختصاص العلمى المتعاون فى صفوف الفريق • ويلتمس الاجتهاد الجغرافى من العلمى المتخصص ، خبرته التى تسعف التدقيق والتغلغل فى تفاصيل المنظور الجغرافى الطبيعى ، أو فى تفاصيل المنظور الجغرافى البشرى • وقل يستوجب العمل الجغرافى الميدانى ذات العلاقة المباشرة بالهدف الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض ، طلب خبرة ومهارات المتخصص العلمى فى العلوم الطبيعية أو فى العلوم الانسانية ، الذى يعاون ويشارك فى العمل ، ولا يبخل أبدا ، فى انجاز حصته التى تعمق الفهم الجغرافى الموضوعى ، لأنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية •

وقل أن هذا هو الشق العملى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية ، الذى يسعف التحليل الجغرافى فى مرحلة ، ويرشد التقويم الجغرافى ، ولا يصلح له غير المتخصص العلمى عضو الفريق المتعاون • بل قل ان هذا هو العمل الجغرافى الميدانى غير المباشر ، الذى ينجزه غير المتخصص الجغرافى حتى يشد أزر الدراسة الميدانية • ويسدد هذا التعاون العلمى العملى ، توجهات التحليل والتغلغل الجغرافى ، وصولا الى الحكم الجغرافى ، عن جدوى

أي نمط من أنماط استخدام الأرض ومستوياته لحساب الانسان على صعيد المساحة المعنية •

وتكفل الخطة الميدانية المعمول بها ، فى المساحة المعنية ، لحساب دراسة ميدانية جغرافية جيدة ، عن أنماط استخدام الأرض ، فى المكان والزمان ، شيئا كثيرا من حسن التنسيق ، وضبط ايقاعات وتوجهات العمل الميدانى المباشر وهو مسئولية المتخصص الجغرافى ، والعمل الجغرافى غير المباشر ، وهو مسئولية المتخصص غير الجغرافى • وبناء على هذا التنسيق ، يجنى البحث الجغرافى عن استخدام الأرض ، نتائج وثمرات الدراسة الميدانية • كما تكفل هذه الخطة الميدانية ، حسن توظيف خبرات ومهارات الجغرافى المتخصص قائد الفريق ، فى حسن استيعاب محصلة العمل الجغرافى الميدانى ونتائجه النهائية ، استيعابا ، يطوع النتائج تطويعا مناسبا ، يسهم فى :

أولا – انجاز البحث الجغرافى المناسب عن استخدام الأرض ، فى نهاية المطاف ، لكى يغطى المسح حسن توزيع الأنماط السائدة ، ويغطى التقويم حساب الجدوى واحتمالات تحسين مستويات استخدام الأرض •

ثانيا – رسم الخرائط الجيدة التى تخدم أهداف هذا البحث الجغرافى ، من خلال حسن بيان التوزيع الجغرافى ، لأنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية •

ويبرهن الجغرافى قائد الفريق ، المتخصص فى موضوع استخدام الأرض دائما ، على حسن الاستعداد ، لأن ينتفع برصيد الدراسة الميدانية • ومن محصلة هذا الرصيد العملى ، ومحصلة الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية ، يصطنع نسيجا جغرافيا جيدا ، أو توليفة جغرافية مناسبة • وتتحدث هذه التوليفة الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض وتوزيعها الجغرافى على صعيد المساحة المعنية • كما تتحدث هذه التوليفة أيضا ، عن

مستوى هذا الاستخدام لحساب الانسان • ويختم هذه التوليفة الجغرافية ، بعرض موضوعى هادف ، يكاد يلمس منطلق التغيير واحتمالاته الممكنة ، من أجل تحسين مستويات هذا الاستخدام ، وتحسين أوضاعه السائدة على صعيد المساحة المعنية •

والدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، التى يكون فى وسعها أن تجسد الحكم على توزيع أنماط استخدام الأرض ، وهى تميز بين حسن التوزيع وسوء التوزيع ، توفر رأيا سديدا • ويمتدح هذا الرأى الجغرافى حسن التوزيع الذى ينسق بين من يباشر استخدام الأرض فى جانب ، ومن ينتفع بمحصلة هذا الاستخدام ، فى جانب آخر • ويكشف هذا الرأى الجغرافى أحيانا أخرى سوء التوزيع الذى يفتقد التنسيق بين من يباشر استخدام الأرض ، ومن يلتمس الانتفاع بمحصلة هذا الاستخدام • ومعنى ذلك أن يمسك الاجتهاد الجغرافى بزمام الخطأ فى مجال التوزيع الجغرافى لأنماط استخدام الأرض • وتأسيسا على ذلك يكون فى وسع الرأى الجغرافى أن يقدم التوصية للنظر فى شأن اعادة النظر فى هذا التوزيع الجغرافى ، والتحول من الخطأ الى الصواب ، من أجل الانتفاع الأفضل •

والدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، التى يكون فى وسعها أن تجسد الحكم على مستوى استخدام الأرض ، وهى تميز بين الاستخدام الجائر ، والاستخدام التقليدى ، والاستخدام المتطور ، توفر رأيا جغرافيا سديدا • ويضع هذا الرأى الجغرافى فى اعتباره حساب الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية ، على صعيد المساحة المعنية • وقل يكون فى وسع هذا الرأى الجغرافى أن يمتدح الاستخدام المتطور ، ويسجل دواعى التحسين التى تجاوب قوة تأثير المتغيرات ، دون خروج أو تمرد على الضوابط التى تحرس العلاقة بين الانسان والأرض • كما يكون فى وسع الرأى الجغرافى أيضا ، أن يشجب الاستخدام الجائر ويعيب عليه الطعن فى الأرض ، أو الافساد فى البيئة ، وأن يفضح الاستخدام التقليدى ويعيب عليه الجمود

والاعراض عن المستجدات والقبول بمستوى الحد الأدنى من الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية •

وهكذا نتبين كيف يمسك الاجتهاد الجغرافى من خلال الدراسة الميدانية ، بزمام الخطأ فى استخدام الأرض ، أو بزمام الصواب فى أنماط استخدام الأرض • وترشده الدراسة الميدانية وهو يحدد مسئولية الانسان وهو يقترف الخطأ ، أو وهو يتعمد الصواب ، فى التعامل مع الأرض وتسخيرها ، وتحسين مستويات استخدامها • وترشده هذه الدراسة الميدانية أيضا ، وهو يحدد مسئولية الأرض وهى تكاد تتمرد ولا تجاوب أساليب تحسين مستويات الاستخدام • بل قل يكون فى وسع الدراسة الميدانية بعد ذلك كله ، أن تلهم الاجتهاد الجغرافى ، وهو يصدر الرأى الجغرافى السديد الذى يبتنى على التوجه التطبيقى ، فيلتمس العلاج ويكبح جماح الخطأ فى استخدام الأرض ، ويعيده الى الصواب •

وحسن سير العمل الميدانى ، وتقدم معدلات الانجاز العملى ، فى الشق الجغرافى البحت ، أو فى الشق العلمى ، غير الجغرافى ، وحسن التنسيق بين النتائج والانجازات المرحلية المتكاملة فى هذين الشقين ، تستوجب شيئا كثيرا ومهما من الحصافة الجغرافية فى التركيب وصياغة التوليفة • وقد تعنى هذه الحصافة الجغرافية شيئا من المهارة والخبرة وحسن التعامل واستيعاب تفاصيل المدركات الجغرافية ، التى تصور أو التى تعبر عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية • وقد تعنى هذه الحصافة الجغرافية ، شيئا مفيدا من الانتفاع المناسب بنتائج الاستبيان الجيد ، الذى يتحرى ويدقق فى تفاصيل العلاقة بين الانسان والأرض ، حتى تفضى الى تجسيد صور وأنماط ومستويات استخدام الأرض ، لحساب الانتاج ، أو لحساب السكن أو لحساب الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية •

وقل أن هذه العناية الجغرافية التى تبتنى فى البداية على اشراك المتخصصين العلميين ، وتعتمد عليهم فى مباشرة الشيء المناسب من التدقيق

في التفاصيل ، تستوجب حسن تمسك الاجتهاد الجغرافي وهو يباشر الدراسة الميدانية على صعيد المساحة المعنية ، بأمرين جوهريين • وهذان الأمران الجوهريان هما :

أولا – المحافظة على روح الفريق التي تخيم على العمل واجراء الدراسة الميدانية ، الى الحد الذي يحول دون انفراد أي عضو في انجاز العمل الجغرافي الميداني •

ثانيا – المواظبة الجماعية على حضور جلسات الفريق الدورية ، للتشاور أو لمراجعة معدلات تقدم العمل الجغرافي العملي الميداني ، الى الحد الذي يحول دون تكتم أي عضو على ما قد أنجزه في الميدان •

وينبغي أن يثق فريق العمل المتعاون في جدوى عمله الميداني ، عن استخدام الأرض في المساحة المعنية•وتبتني هذه الثقة على الاقتناع الموضوعي بمهارة الجغرافي في متابعة العلاقة بين الانسان والأرض متابعة تكفل أن يبوح كل منهما بأسرار كثيرة عن استخدام الأرض ومستواه • وقل أن هذا الاقتناع يكون على أساس تعميق المعرفة الجغرافية بالأرض ، وفي وسعها أن تكشف عن خواص الأرض ، وعن التحديات التي تعلن عنها الأرض ، في مواجهة الانسان ، وكأنها لا تريد أن تستسلم له وتطاوعه • كما يكون الاقتناع أيضا على أساس أن تعميق المعرفة الجغرافية بالانسان ، في وسعها أن تكشف عن استعداد الانسان لقبول التحدي ، وعن مهارة الوسيلة الحضارية التي يتوسل بها ، لتطويع الأرض حتى تطاوعه •

ومن خلال الدراسة الميدانية ، ومباشرة العمل الجغرافي الميداني على صعيد المساحة المعنية ، يتمادى اقتناع الفريق بجدوى المعرفة الجغرافية وحسن التمعن في كنه وماهية ما تتحدث عنه الرؤية الجغرافية • ويجد الفريق في اجراء الدراسة الميدانية ، حتى يكون في وسعه أن يتبين أبعاد العلاقة بين الانسان والأرض ، أو أن تتكشف له حقيقة المصالحة بينهما ،

لكى تبدو الأرض قابلة للاستخدام أحيانا ، أو غير قابلة للاستخدام أحيانا أخرى . كما يكون فى وسع المعرفة الجغرافية ، أن تسعف الفريق حتى تتبين له المتغيرات الطبيعية ، ومبلغ تأثيرها على خواص الأرض واستعداداتها للاستجابة للانسان ، أو حتى تتبين له المتغيرات البشرية ومبلغ تأثيرها على قدرات ومهارات الانسان واستعداداته لتسخير الأرض . بل قل فى وسع المعرفة الجغرافية التى تلملم أوصالها الدراسة الميدانية ، أو تكشف قوة فعل المتغيرات ، وكيف يستوجب هذا التغيير جولة مصارعة بين الانسان والأرض ، تتغير بموجبها بنود الاتفاق وحد المصالحة بينهما ، الذى يحدد أبعاد استخدام الأرض ، لحساب الانسان وعلى حساب الأرض أحيانا ، أو على حساب الانسان ولحساب الأرض أحيانا أخرى .

وهكذا نفهم جيدا قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينجزه الجغرافى المتخصص ، عن خواص الأرض ومتغيراتها فى المساحة المعنية . كما تدرك جدوى اسهام العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينجزه المتخصص العلمى غير الجغرافى ، وهو يعمق المعرفة الجغرافية الطبيعية بالأرض ، خواصها ومتغيراتها على المدى القصير ، أو على المدى الطويل . وهذا هو عين ما ينتهى الى حسن التمييز بين الأرض التى تلين وتبدى الاستعداد وتشهد تطوير أنماط استخدام الأرض فى جانب ، والأرض التى لا تلين ولا تعلن عن الاستعداد الذى يجاوب ارادة الاستخدام فى جانب آخر . بل قل هذا هو ما يبين مبلغ استعداد الأرض لأن تلبى طلب الانسان ، وتجاوب الوسيلة التى يتوسل بها لاستخدام الأرض وتسخيرها فى الانتاج أو فى السكن أو فى توفير الخدمات . وكأن هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى على صعيد المساحة المعنية ، عن خواص الأرض ومتغيراتها المنتظمة أو غير المنتظمة ، يتأتى تحت شعار : ينبغى التعرف على الأرض لكى يعرف الانسان كيف يسيطر عليها ، فتجاوبه وتعطيه ما يستحقه فى المقابل .

كما نفهم جيدا مرة أخرى ، قيمة اسهام العمل الجغرافى العملى الميدانى

الـذى ينجزه الجغـرافى المتخصص ، عن خواص الأوضـاع ومتغيراتها التى يعيشها الانسان ، فى المساحة المعنية . كما ندرك أيضـا ، جدوى اسهام العمل الجغرافى العملى غير المبـاشر ، الـذى ينجزه المتخصص العـلمى غير الجغرافى ، وهو يعمق المعـرفة الجغرافية البشرية بالإنسـان ، وجوده بالكم وقدراته بالكيف ومتغيراتها على المدى القصير أو على المدى الطويل : وهذا هو عين ما يبين مبلغ استعداد الانســان والحاجه فى التعامل مع الأرض فى اطار الضبط والانضباط المتبادل ، حتى يبلغ الحد المناسب لتطويعها . وهذا هو مرة أخرى عين ما يعلن عن جدية وجدوى الوسيلة التى يتوسل بها الانسان لمباشرة استخدام الأرض فى الانتـــاج أو فى السكن أو فى الخدمات . وكأن هذا العمل الجغرافى العملى الميدانى ، عن أوضاع الانسـان وقدراته ومتغيراتها ، يتأتى تحت شعار : تعرف على الانسان جيدا ، لـكى يتبين لك كيف يسيطر على الأرض ، وكيف يصارعها فى طلب تطويعها ، حتى تجاوبه وتعطيه ما يستحقه فى المقابل ، على صعيد المساحة المعنية .

ومهما يكن من أمر فان تكليف الدراسة الميدانية بالعمل على صعيد المســاحة المعنية ، وتعقب خواص ضوابطها ومتغيراتها ، وتعقب حضـــور الانسان وجس نبض قدراته وضوابطه ومتغيراتها ، يمثل ضرورة جغرافية . وتلتمس هذه الضرورة الجغرافية ، الموضوعية والصدق ، فى دراسة وتقصى العلاقة بكل أبعادها الايجابية والسلبية ، على صعيد المساحة المعنية ، بين الانسان والأرض ، وما يمكن أن تفضى اليه فى مجالات استخدام الأرض . بل قل ان هذ الضرورة الجغرافية هى التى تسعف رصـد التوزيع الجغرافى لأنماط استخدام الأرض فى ظل الانتشار البشرى ، على صعيد المسـاحة المعنية .

وتستوجب هـــذه الضرورة الجغرافية مرة أخـرى ، شيئا من الوعى والحصافة والمهارة ، فى تحليل خواص الأرض ، وفى تحليل أوضاع الانسان على الأرض ، حتى تتيسر فرص التغلغل فى تحليل العـلاقة بين الانســان

والأرض • ومن خلال هذا التحليل الجغرافى الذى تفضي‌اليه الدراسة الميدانية تتكشف نتائج هذا التغلغل والتدقيق فى صور وأنماط استخدام الأرض • وتكون وكأنها تبوح للاجتهاد الجغرافى بأوضاع استخدام الأرض مرة ، وبجدوى هذا الاستخدام مرة أخرى • بل قل انها هى التى لا تسكت أبدا حتى تبوح للاجتهاد الجغرافى أثناء اجراء الدراسة الميدانية :

أولا — بأسرار التحديات التى تعلن عنها خواص الأرض ، وتواجه بها الانسان ، وهو يقبل على مباشرة أنماط استخدام الأرض •

ثانيا — بأسرار الوسائل الحضارية والمكتسبات والخبرات والتكنولوجيا التى يتوسل بها الانسان للتعامل مع التحديات المعلنة وتطويعها وابطال الشىء المناسب من مفعولها ، حتى يتسنى مباشرة أنماط استخدام الأرض•

ومع تقدم العمل الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، ومراعاة هذا التغلغل فى كنه وماهية العلاقة بين الانسان والأرض ، يتبلور الرأى الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض • ويكون هذا الرأى الجغرافى موضوعيا ، فى ظل دراسة ميدانية متوازنة ، لا تنحاز الى صف الأرض وخواص الطبيعة على حساب الانسان ، ولا تنحاز الى صف الانسان وقدرات فعله على حساب الطبيعة • وبناء على هذه الموضوعية ، تتجلى الحقائق التى تبصر الانسان فى مجالات تحسين الوسائل التى تشد أزر الاقدام المتطور على استخدام الأرض ورفع كفاءته ، فى ربوع المساحة المعنية •

ولا ينهى الفريق المتعاون حضوره المتكرر ، أو اقامته المستمرة فى المساحة المعنية ، والعمل لحساب الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض ، الا بعد أن يفرغ تماما ، أو بعد الانتهاء فعلا ، من اجراء وتنفيذ برامج العمل الجغرافى العملية ، الواردة فى صلب الخطة المعمول بها • وقل ينبغى أن يتأكد أعضاء الفريق من جدوى هذا العمل ، وحسن جمع الرصيد الجغرافى عن استخدام الأرض • بل قل ينبغى أن يتأكد أعضاء

الفريق من صدق وموضوعية الوصول بهذا الرصيد الجغرافى المتـاح ، الى الهدف الجغرافى عن استخدام الأرض • ومن ثم يكون الاتفاق الجماعى ، الذى يجمع به أعضاء الفـــريق ، على عودة الرحلة الجغرافية الميدانية من محل اقامتها فى الميـدان ، أو على توقف الرحلة الجغرافية الميـدانية عن الذهاب المتكرر الى الميدان •



الانجاز الجغرافى العملى الميدانى عن استخدام الأرض

يلتمس الانجاز الجغرافى العملى فى الميدان ، اتبـــاع سبيل التوزيع والتعليل والربط ، وصولا الى الهدف الجغرافى من دراسة وتحرى موضوعية البحث الجغرافى عن استخدام الأرض • وقل يتحرى هـذا الانجاز الميدانى الذى يشارك فيه الجغرافى وغير الجغرافى فى فريق متعاون ، الالتزام الـكامل بالهدف الجغرافى • ويتأتى هـــذا الالتزام والاجتهـاد الجغرافى ، يطل بعين الفريق على رؤية جغرافية شاملة ، تجسد أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية ، حتى يبلغ حد التـدقيق والتمعن والتغلغل فى التفاصيل الدقيقة • ويتأتى هذا الالتزام مرة أخرى ، والاجتهاد الجغرافى يدقق ويحسب بعين الفريق ، ويقوم الرؤية الجغرافية لأنماط استخدام الأرض فى المكان والزمان ، على صعيد المساحة المعنية •

ومعاينة وتحليل التفاصيل والتغلغل فى أوضـــاع تعلن عنها الرؤية الجغرافية لأنماط استخدام الأرض ، وتحرى التمعن والتدقيق وحسن حساب الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصـادية ، التى تتحدث عنها هـــذه الرؤية التحليلية لأنماط استخدام الأرض فى المكان والزمان ، هى مهمة الدراسة الميدانية ، ومسئولية الفريق الذى يباشر هذه الدراسة على صعيد المساحة المعنية • ومباشرة هذه الدراسة الميدانية وتحرى الهـدف الجغـرافى تضع الاجتهاد الجغرافى فى وضع يهتم بكل ما وراء أنماط استخدام الأرض ، حتى

تتكشف له مسئولية الانسان وهو يسأل ، ومسئولية الأرض وهى تجاوب . بل قل يصبح الاجتهاد الجغرافى وفى وسعه أن يدلى بالرأى الجغرافى السديد عن أنماط استخدام الأرض ، وأن يكون وكأنه المستشار الذى يرشد العلاقة بين الانسان والأرض ، والذى يبصر تطوير فعل المتغيرات دون الخروج عن قواعد الضبط والانضباط المتبادل بينهما ، من أجل استخدام أفضل كما وكيفا ، يطوع الأرض وتجاوب الانسان ، على صعيد المساحة المعنية .

ومن يمتنع عن مباشرة هــذا العمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يتبين ويتغلغل فى كنه وماهيــة استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن ، أو فى توفير الخدمات ، لحساب حركة الحياة ، يكون وكأنه يغمض عينيه فلا يرى ، أو يسد أذنيه فلا يسمع ، حتى يفقد أطراف كل الخيــوط التى يصطنع منها نسيج بحثه الجغـرافى الهادف . وقل بثقة أن موضــوعية الدراسة الجغـرافية ، التى تلتمس الدور الوظيفى والهدف الجغرافى التطبيقى ، عن موضوع استخدام الأرض ، فى أى مساحة معنية ، لا تمضى على الدرب الصحيح ، الا من خـــلال الدراسة الميــدانية المناسبة فى المكان والزمان .

وبناء على هــذا التوجه الجغرافى العمــلى التطبيقى الى حقل الدراسة الميدانية ، لا تبدأ دراسة أنماط استخدام الأرض من فــراغ أبدا . وقل كيف تكون البداية من فراغ ، وهى دراسة معنية بالواقع ، تعايش التجربة على صعيد الأرض ، بمهارة جغرافية تتحلى بالقدرة على التحليل والتغلغل فى أبعاد كل نمط من أنمــاط اســتخدام الأرض ، فى المكان والــزمان . بل قل أيضا ان هذه البداية الموضوعية ، التى توجه الاهتمام الجغرافى الى معاينة الواقع ، وتكفل حسن التعامل مع صور وأنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية ، حتى لا تبــدأ من فراغ ، تعنى المضى بدراسة هـــذه الأنماط على درب الصواب ، وتحليلها وتقويمها والحكم عليها ، وصولا الى الغاية الجغرافية التطبيقية المنشودة .

وقيمة أو جدوى مباشرة الدراسة الميدانية ، وما تفضى به من تقدم الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، على درب الصواب الى الغاية أو الهدف الجغرافى التطبيقى المنشود ، فى مجال استخدام الأرض ، تبدو أهم من قيمة أو من جدوى الدراسة المكتبية والاطلاع على الكتب والمراجع ، والدراسة الوثائقية والاطلاع على المصادر والوثائق • وفى الاعتقاد الجغرافى التطبيقى ، أن مكان الدراسة الميدانية ومكانتها فى دراسة أنماط استخدام الأرض ، تسبق أو تتقدم على مكان الدراسة المكتبية ، لنفس هذا الغرض الجغرافى المنشود• ومن ثم قل يستحق هذا الغرض الجغرافى التطبيقى المنشود ، تكليف الدراسة الميدانية ، بالتحرى والعناية بالعمل الجغرافى العملى ، على صعيد المساحة المعنية • ومن خلال عين جغرافية واعية ، لا تغفل عن أى وجه من وجوه دراسة أنماط استخدام الأرض ، ينجح الاجتهاد الجغرافى فى توظيف الدراسة الميدانية ، لتغطية أهداف هذه المهمة التطبيقية •

وعلى **الوجه الأول** من هذه الوجوه المتعددة ، يكون التعامل الجغرافى مع الأرض ، وخواصها وطبيعتها وفعل المتغيرات الطبيعية التى تهيمن عليها ، محل عناية جغرافية مركزة ، على صعيد المساحة المعنية • وتدقق هذه العناية الجغرافية المركزة مرتين : مرة فى المنظور الطبيعى الكلى ، ومرة أخرى فى العناصر المتداخلة فى تكوين المنظور الطبيعى الكلى • ويستشرف هذا التدقيق أو التغلغل فى طبيعة الأرض ، مبلغ استعداد هذه الأرض ، بكل أبعادها المؤلفة من اليابس والماء والهواء ، للاستجابة لفعل الانسان ، وبذل العطاء فى المقابل • كلما يلتمس هذا التدقيق أو التغلغل فى طبيعة الأرض ، مبلغ استعدادها ، لأن تطاوع فعل المتغيرات الطبيعية ، حيث يتناقص العطاء أحيانا أو يزداد العطاء أحيانا أخرى •

وتعقيبا على نتائج الدراسة الميدانية ، على هذا الوجه الأول ، على صعيد المساحة المعنية ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى الاجابة على ثلاثة أسئلة أو استفسارات هامة • ويكون السؤال :

الأول ـ وهو الذى يسأل بالحاح عن دواعى كم وكيف العطاء الحقيقى لأى نمط من أنماط استخدام الأرض ٠

الثانى ـ وهو الذى يسأل بالحاح عن دواعى الاستجابة للمتغيرات الطبيعية أو للمتغيرات البشرية ، فى تغير كم وكيف العطاء بالزيادة أو بالنقصان ٠

الثالث ـ وهو الذى يسأل بالحاح عن الأرض البكر التى يكون فى وسعها أن تجاوب نمط الاستخدام المعنى أدواته ووسائله ٠

وعلى **الوجه الثانى** من هذه الوجوه المتعددة ، يكون التعامل الجغرافى مع الناس وقدراتهم ومهاراتهم ، وفعل المتغيرات البشرية التى يمكن أن يفرضها الانسان ويحسن استيعابها وتوظيفها فى صفه ، محل عناية جغرافية مركزة ، على صعيد المساحة المعنية ٠ وتدقق هذه العناية الجغرافية المركزة مرتين ، مرة وهى تحملق فى المنظور الجغرافى البشرى الكلى ، ومرة أخرى وهى تحلل العناصر المتداخلة فى تكوين هذا المنظور ٠ ويستشرف هذا التدقيق أو التغلغل فى قدرات الانسان ، مبلغ استعداد هذا الانسان لاستخدام الأرض ، ومبلغ القدرة على تطويعها ، فى طلب الحاجة من الأرض ٠ كما يلتمس هذا التدقيق أو التغلغل فى قدرات ومهارات الانسان ، مبلغ استعداده لأن يطوع فعل المتغيرات الطبيعية أو المتغيرات البشرية ، التى تحول دون تمرد الأرض أحيانا ، أو التى تطور وتنمى استجابة الأرض أخرى ٠

وتعقيبا على نتائج الدراسة الميدانية ، على هذا الوجه الثانى ، على صعيد المساحة المعنية ، يلتمس الاجتهاد الجغرافى ، الاجابة على ثلاثة أسئلة أو استفسارات هامة ٠ ويكون السؤال :

الأول ـ وهو الذى يسأل عن وسائل الانسان ، وعن مهارات توظيفها فى استخدام الأرض وطلب الانتفاع بها ٠

الثانى ــ وهو الــذى يسأل عن مبــلغ استيعاب واكتســاب مهارات أفضل ، ومباشرة توظيف تكنولوجيــا متطورة ، فى طلب تحســين مستوى استخدام الأرض ٠

الثالث ــ وهو الــذى يســأل عن الكيفية التى يتسنى بهــا انعــاش وتطوير وشحذ مهارات الانسان ، حتى يكون فى وسعه أن يمارس أو يباشر استخدام أفضل للأرض فى المكان والزمان ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وعلى **الوجه الثالث** من هذه الوجوه المتعددة ، يقوم الاهتمام الجغرافى ، من خلال الدراسة الميدانية الجدوى الحضارية والجدوى الاجتماعيــة والجدوى الاقتصادية لأنمــاط استخدام الأرض ، على صعيد المســاحة المعنية ٠ وعلى هامش حساب هذه الجدوى ، يتعقب الاجتهاد الجغرافى سلبيات وايجابيــات استخدام الأرض فى الانتاج أو فى السكن أو فى الخدمات ٠ ويعاون فى هذا التقويم وحساب الجدوى ، اسهام المشاركين فى الفــــريق ، من المتخصصين فى العلوم الانســــانية ، وهم على بينة بأوضاع حركة الحيــاة على صعيد الأرض ، اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ٠

هذا وينبغى أن تنفتح العين الجغرافية على كنه وماهيــــة السلبيات والايجابيات التى تعلن عنها صور وأنماط استخدام الأرض ، حتى تتحرى وتسأل عن عواقبها على صعيد المساحة المعنية ٠ ويكون السؤال :

الأول ــ وهو الــذى يسأل عن تفســير صحيح يفضح نتائج هــذه السلبيات ، التى تتضرر بموجبها مصلحة الانسان فى استخدام الأرض ، أو التى تعلن عن شىء أشبه بالتمرد وعصيان الأرض ، وعجز الوسيلة عن انهاء هذا التمرد والسيطرة عليها وامتلاك حق تطويعها ٠

الثانى ــ وهو الذى يســـأل عن الايجابيات التى تعلن عن مهــارات الانسان وحسن تعامله مع الأرض ، حتى يكاد يلتمس امكانيات تطوير هذه الايجابيات تطويرا جادا ، تنتفع به مصالح الانسان فى استخدام الأرض ٠

الثالث ـ وهو الـذى ينبغى أن يستفسر فى الحاح عن الدوافع التى فى وسعها أن تفجر فى الانسان ، طاقات أفضـل ، حتى يصبح فى وسعه مباشرة التغيير واستيعاب تكنولوجيا أفضل ، تشد أزر الاستخدام الأفضل فى المكان والزمان ، على صعيد المساحة المعنية ٠

ومن أجل حسن انجاز العمل الجغرافى العملى ، عن كل وجه من هـذه الوجوه الثلاثة ، لدراسة استخدام الأرض ، فى المسـاحة المعنية ، يطرح أعضـاء الفريق المتعـاون ، كل فيما يخصه ، ويسـند اليـه الأسـئلة والاستفسارات على الأرض أو على الناس الذين يستخدمون الأرض فى المكان والزمان ٠ وينبغى أن يتحلى هذا الطرح الموضوعى ، بشىء كثير من الحصافة والمهارة والتدقيق ، لـكى تبوح الأرض بالاجابات الصحيحة عن الأسـئلة المطروحة ، أو لكى يبوح الانسان بالاجابات الصحية عن الأسئلة المطروحة ٠ كما ينبغى أن يحسن صاحب السـؤال الاستماع الى الاجابات ، والتمعن فى مبلغ صدقها وموضوعيتها ٠

وينبغى أن تكون هـذه الأسئلة والاستفسارات مرتبة ومتفق عليهـا وعلى طرحهـا فى الوقت المناسب ٠ ويفضـل فى طـرح هـذه الأسـئلة والاستفسارات ، الوضوح الذى يتجنب الاثارة أو المبـاغتة ، والموضوعية التى تتجنب الخروج عن الهـدف ٠ وقل يفضل أن يغلف هـذه الأسئلة والاستفسارات المطروحة على الناس بصفة خاصة ، شيئا من الود والتودد الذى يعرف كيف يلتمس الصدق فى الاجابات المتوقعة ٠ ويتوقع كل عضو من أعضاء الفريق فى المقابل حسن الاستماع الى الأسئلة والاستفسارات ، وحسن الرد والاجابة عليهـا ٠ بل قل ينبغى أن يتحلى البـاحث بمهارة الاصـغاء واستيعاب الاجابات والردود عن الأسـئلة المطروحة على الأرض أو على الناس ، على صعيد المساحة المعنية ٠

ومن خلال حوار مستمر لا يسكت أبدا ، وهو بصوت مسموع يخاطب المنظور الجغرافى البشرى ، أو هو بأسلوب صامت يسـأل المنظور الجغرافى

بالطبيعى ، توفر الاجابات والردود على الأسئلة المطروحة ، بالتحليل الحسن او المادة الخام المناسبة • ويستخدم هـذا الرصيد الجغرافي ، فى تصوير جغرافى جيد يعبر عن أنماط استخدام الارض السائدة ، فى أنحاء المساحة المعنية • كما توفر هذه الاجابات والردود أيضا شيئا مفيدا ، يعبر ويكشف بموضوعية وصدق عن مبلغ استجابة الأرض للتغيير أو لفعل المتغيرات الطبيعية والبشرية فى جانب ، أو عن استجابة الانسان للتغيير أو لفعل المتغيرات الطبيعية والبشرية فى جانب آخر • وتعلن فى نهاية المطاف عن المواجهة بين هذه المتغيرات الطبيعية والبشرية التى تؤثر سلبا وايجابا على اساليب وتوجهات أنماط استخدام الأرض ، والضوابط الطبيعية والبشرية التى تلتمس التأثير الايجابى وتجمد فعل التأثير السلبى على أنماط استخدام الأرض •

وقل أن هـذا الحوار الحيوى الذى يباشره أعضاء الفريق كل فيما يخصه ، هو جزء أصيل من برامج العمل التى تلتمسها الدراسة الميدانية عن انماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية • بل قل أنه حوار موضوعى جاد ، يوفر خطوة أساسية مباشرة ، يخطو بهنا العمل الجغرافى الميدانى ، فى الاتجاه الصحيح ، حتى يصبح فى وسعه أن يحسب حساب الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية لكل نمط من أنماط استخدام الأرض • ومن ثم يتسنى ابداء الرأى الجغرافى فى الشكل الذى يلبى حاجة التوجه الجغرافى التطبيقى ، لتقديم المشورة أو التوصية ، فى شأن تحسين مستويات استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية •

وتخدم هذه الأسئلة والاستفسارات ، تطلع الجغرافى المباشر ، وهو يجرى الحوار ، الى معرفة تعلن عنها الاجابات والردود • وتشمل هذه المعرفة حصرا دقيقا ، لأنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية • كما تشمل هذه المعرفة أيضا عناية تدقق فى توزيع وانتشار أنماط استخدام الأرض ، توزيعا جغرافيا على صعيد هذه المساحة • وعندئذ ، تتسلل

الدراسة الميدانية في مهارة ، حتى تتكشف بوضوح وموضوعية الضوابط الحاكمة لهذا التوزيع لأنماط استخدام الأرض • بل قل يتسنى للدراسة الميدانية فرز وتحديد مسئولية الضوابط الطبيعية ، ومسئولية الضوابط البشرية ، عن توطين استخدامات الأرض المتنوعة وتوزيعها الجغرافى فى المكان والزمان •

واذا كان فى وسع الخبرة الجغرافية المكتسبة ، أن تعد الأسئلة والاستفسارات المناسبة ، وأن تلقى بها بمهارة على مسامع المنظور الجغرافى لأنماط استخدام الأرض ، وأن تتلقى الاجابات والردود عليها ، تبقى الحاجة ملحة الى شيء مناسب من تعاون الخبرة العلمية المتخصصة فى العلوم الطبيعية أو فى العلوم الانسانية ، مع الخبرة الجغرافية البحتة ، فى صياغة الأسئلة والاستفسارات ، وفى حسن توجيهها المباشر وغير المباشر ، وفى تحليل الاجابات والردود عليها • ويسعف هذا التعاون ، التماس الفريق العمق والوضوح والموضوعية فى التفسير أو فى التحليل ، أو تحرى الدقة والصدق والموضوعية ، فى تعقب العلاقات ودواعى الربط بين التفاصيل الجغرافية الطبيعية فى مواصفات وخواص الأرض فى جانب ، والتفاصيل الجغرافية البشرية عن قوة فعل الانسان الذى يستخدم الأرض فى جانب آخر • كما يسعف هذا التعاون العلمى بين الشركاء فى الفريق ، التماس المتغيرات الطبيعية والضوابط الطبيعية ، أو المتغيرات البشرية والضوابط البشرية ، وقوة الفعل المتبادل بينهما ، ومبلغ تاثيره المباشر أو غير المباشر سلبا وايجابا على أنماط استخدام الأرض على صعيد المساحة المعنية •

وهناك بالضرورة ، أسلوب عمل جغرافى ميدانى خاص ومتخصص ، يحقق أهداف الدراسة الميدانية • ويلتمس هذا الأسلوب جمع البيانات أو تجميع أوصال المادة العلمية الخام ، التى يحسن الاستماع اليها أعضاء الفريق ، عندما ينطق بها أو يعبر عنها المنظور الجغرافى لأنماط استخدام

الأرض فى ربوع المساحة المعنية ، ويعتمد هذا الأسلوب أصلا على حسن التمييز الأولى ، بين أنماط استخدام الأرض فى الانتاج ، وأنماط استخدام الأرض فى الاستيطـان والسكن ، وأنمـــاط استخدام الأرض فى توفير وتوزيع الخدمات • ويلتمس أسلوب الدراسة الميدانية محاور الاتجاه الخاص المناسب لدراسة كل نمط من أنماط استخدام الأرض •

وتتحرى الدراسة الميدانية أن يكشف كل محور من هـذه المحاور ، عن رؤية الجغـــرافى البينة ، لكل نمط خاص من أنمـاط استخدام الأرض المتنوعة • وقل أنها تعلن عن مبلغ حرص الجغرافى على تعقب أهم العناصر الجغرافية الطبيعية وما يحيط بهـا من ضوابط ومتغـيرات طبيعية ، وأهم العنـاصر الجغرافية البشرية ، وما يحيط بها من ضوابط ومتغيرات بشرية وتحرى الكيفية التى تتداخل بها فى صـــياغة النمط المتميز من أنمـاط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • ومن خلال هـذا الأسلوب الخاص الذى يباشر به الفريق الدراسة الميدانية ، تكون خصوصية التكليفات العملية الميـدانية ، التى تحملق فى صورة كل نمط من أنمـاط استخدام الأرض • ومن خلال هذ التكليفات يتعقب كل عضو من أعضاء الفريق كل فيما يخصه رؤية كل نمط من أنماط استخدام الأرض • ومن خلال هـذا التعقب ، تتحرى برامج العمل الميدانى ، تداخل العناصرالجغرافية فى تركيب وصياغة النمط السائد من أنماط استخدام الأرض ، وتتحرى مستوى هذا الاستخدام وما يسفر عنه من عطاء لحساب حركة الحياة فى المساحة المعنية•

ويصير توزيع هذ التكليفات العملية الميدانية الخاصة ، واسنادها الى العضو المتخصص فى الفريق المتعاون ، حجر الزاوية فى حسن انجاز العمل الجغرافى الميدانى ، وفى تحقيق الهدفالنهائى للدراسة الميدانية عن موضوع استخدام الأرض • ومن غير ارغام ، يقبل كل عضو التكليف الذى يضع

الجزء المناسب من العمل الجغرافى الميدانى أمانة بين يديه أو فى عنقه . وينبغى أن يستشعر قدراته على تحمل هذه المسئولية ، وهى جزء من المسئولية الكلية عن الدراسة الميدانية لأنماط استخدام الأرض . وينبغى أن يجيد قائد الفريق حسن الاتفاق ، مع كل عضو من الأعضاء فى صحبته على تفاصيل أو على محتوى التكليف الذى يسند اليه ، وعلى أسلوب التنفيذ الميدانى وضرورة حسن الالتزام به . ومثل هذا الاتفاق الموضوعى على محتوى التكليف الخاص بكل عضو ، يلقى العمل الميدانى وأعباء الانجاز العملى ، على عاتق الشريك المناسب فى الفريق المتعاون بالفعل .

ويبقى بعد ذلك كله ، على قائد الفريق مسئولية ، أن يتابع حسن أداء العمل الميدانى وانجازاته المرحلية ولا يسكت أبدا . كما يبقى عليه أن يتحمل مسئولية حصر النتائج الميدانية التى تتوالى من مرحلة الى مرحلة أخرى مع تقدم العمل الميدانى . وفى الوقت الذى يتيقن فيه من صدق وموضوعية هذه النتائج ، يكون مسئولا عن تحرى اضافتها اضافة مناسبة وسليمة الى الرصيد الجغرافى الميدانى كله ، عن أنماط استخدام الأرض .

ومسئولية قائد الفريق المتعاون عن اجراء الدراسة الميدانية ، وهو مسئول عن حسن توزيع التكليفات العملية الميدانية ، ومسئول عن متابعة تنفيذ هذه التكليفات العملية فى المساحة المعنية ، ومسئول عن استخلاص النتائج وتنميتها وتصنيفها وضمها الى الصيد الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض تجسد أهم هموم الاجتهاد الجغرافى العملى التطبيقى .

كما تجسد أيضا معنى الأمانة الغالية فى العنق الجغرافى . بل قل انها تجسد أيضا ، معنى ومغزى اسناد قيادة الفريق المتعاون فى الميدان ، الى صاحب الخبرة الجغرافية ، وكيف أنها تمثل تكليفا اشرافيا صعبا ، لا مكان أو لا محل فيه أبدا للتشريف . ولا يعفى هذا التكليف الاشرافى الجغرافى من أداء العمل الميدانى ، الذى يسند اليه ، وهو فى صحبة الفريق .



وتتضخم مسئولية قائد الفريق المتعاون تضخما كبيرا ، ومع ذلك يكون أهلا لذلك التضخم • ويغطى هذا التضخم الاتفاق على التماس الكيفية الأنسب لانجاز العمل الميدانى • ولا ينشأ هذا الاتفاق بين قائد الفريق وأعوانه أبدا من فراغ ، لأنه يبتنى على النحو الذى يجاوب الهدف من اجراء الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض ، ولا ينتهى من غير غاية تجسد الوصول الى هذا الهدف ، بمعنى أن قائد الفريق المتعاون فى الميدان على صعيد المساحة المعنية وهو جغرافى بالضرورة ، يعرف جيدا أكثر من أى متخصص آخر ، ماذا يريد من انجاز العمل الجغرافى الميدانى ؟ وبناء على ذلك ، هو الذى يتسنى له تحديد ومباشرة توزيع تكليفات هذا العمل الجغرافى ، وفى وسعه حسن توجيه التنفيذ العملى الميدانى على النحو الذى يجاوب التطلع الجغرافى الى اتقان دراسة أنماط استخدام الأرض السائدة ، فى أنحاء المساحة المعنية •

والتزام الشريك المكلف من الفريق المتعاون بالتكليف العملى الذى يسند اليه ، يؤكد جدوى روح الفريق التى تخيم على انجاز برامج العمل ، على صعيد المساحة المعنية • واجراء الدراسة الميدانية العملية التى تجاوب هذا التكليف ، معناه التعاون فى جمع المادة التى تغطى أنماط استخدام الأرض ، وينبغى أن يفضى اليها هذا العمل الميدانى • ولا يجب أن يتهاون الشريك المكلف فى تنفيذ هذا الانجاز العملى الميدانى ، حتى يهمل بعض العمل • كما لا ينبغى أن يتمادى فى التنفيذ ، حتى يتجاوز الحد الأنسب ، الذى يغطى الالتزام الموضوعى عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية •

وقل أن الفريق من خلال الأعضاء ، مطالب بالدقة والتدقيق والتحرى وبجمع نتائج العمل الجغرافى الميدانى ، فلا نقصان ولا زيادة ولا اهمال ولا تهاون ولا تجاوزات ، تكون مقبولة فى انجاز العمل حسب الخطة الموضوعة • واذا كانت الخطة المتفق عليها توجه العمل الميدانى وتحدد

المطالب ، فان جلسات الاجتماع الدورى ، التى تجمع أفراد الفريق فى نهاية كل يوم عمل ميدانى ، أو فى ختام كل مرحلة عمل ميدانى ، هى وحدها التى تراقب حسن الالتزام والتنفيذ • وفى اطار المناقشة واجراء هذه المراجعة ، يكون فى وسع الفريق أن يستحدث تعديلا على صلب العمل كله أو على صلب بعض التكليفات ، حتى تكون الاضافة المجددة ، أو حتى يكون الحذف والتعديل المتعمد لصالح الانجاز الميدانى فى نهاية المطاف •

والتعديل فى مهام التكليفات العملية الميدانية ، سواء تأتى بالاضافة أو تأتى بالحذف جائز • ولا ينبغى الاعتراض عليه • وقل أنه مهم ولا يجب التفريط فيه ، لصالح العمل الجغرافى الميدانى الأفضل أو الأنسب عن أنماط استخدام الأرض فى أنحاء المساحة المعنية • ومع ذلك فانه يعنى تغيرا جوهريا ، ووقفة جادة تناقش هذا التغيير • بل قل تستوجب هذه الوقفة اعادة النظر فى الخطة العامة المتفق عليها ، التى تؤمن مسيرة العمل الجغرافى الميدانى وتنفيذ ما يطلبه التعديل ، فى شكله الموضوعى ، أو فى جوهره المعدل الجديد •

وقد تكون دواعى التعديل جادة ، ولا يجوز اهمال النظر فيها من أجل اجراء الدراسة الميدانية الأنسب • ومع ذلك تنهض دواعى الاعتراض الجغرافى الشديد على مباشرة التعديل التطوعى ، الذى يباشره الفرد وحده دون علم الفريق والتشاور معه ، من أجل المصادقة عليه • بل قل أن هذا التعديل يكون واجبا ملحا ولا يجوز اهماله أبدا ، ولكن الاقدام عليه فى غيبة الفريق والحصول على المصادقة عليه ، يمثل شكلا من التمرد الذى يطعن فى روح الفريق ، أو قد يجسد الخروج من غير حق عن دواعى الالتزام الضرورى بروح الفريق فى مجال الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية •

ويبقى بعد ذلك كله ، ما هو أهم لاتمام العمل الجغرافى الميدانى ، وحسن العناية بالجوانب والأمور الموضوعية التى تعين وتمهد لمباشرة تقويم

أنماط استخدام الأرض • ويبتنى هذا التقويم الجغرافى على تحرى مستوى استخدام الأرض ، فى جانب ، وعلى حساب الجدوى الاجتماعية والجدوى الاقتصادية للاستخدام فى جانب آخر • ويضع الاجتهاد الجغرافى فى اعتباره الاختلاف الكبير البين والموضوعى ، بين تقويم استخدام الأرض لحساب الانتاج ، وتقويم استخدام الأرض لحساب الاستيطان ، وتقويم استخدام الأرض لحساب الخدمات العامة أو الخاصة • وتأسيسا على هذا الاختلاف ، تتفاوت المعايير التى توظف فى اجراء هـذا الحساب ، ومباشرة التقويم ، واستشعار مبلغ التوازن بين انتاج أى نمط من أنماط الاستخدام فى كفة ، واستهلاك المعروض من محصلة هذا الاستخدام فى كفة أخرى •

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى يدقق فى توظيف هذه المعايير المناسبة لكل نمط من أنماط استخدام الأرض ، حتى يتسنى الحكم على آداء الانسان وهو يسال الأرض ، ويتسنى الحكم على استجابة الأرض وهى تجاوب الانسان • ومع ذلك يبقى أو يظل هـذا التقويم معنيا بالدرجة الأولى ، بتحرى الموضوعية فى :

اولا ـ حساب خواص الأرض ، واستعداداتها فى صحبة المتغيرات والضوابط الطبيعية ، لكى تطاوع الانسان وتبـدى الشىء المناسب من الاستجابة للانسان •

ثانيا ـ حساب قدرات الانسان واستعدادات وسائله وأساليب تكنولوجيته ، لكى يطوع الأرض ، ويبـادر بالسؤال المناسب للانتفاع بالأرض •

وهذا معناه أن الاجتهاد الجغرافى لا يتهـاون فى حسن التماس معنى الندية ، بين قوة فعل الانسان وهو يطلب وقوة فعل الأرض ، وهى تجاوب هذا الطلب ، وتبتنى هـذه الندية على فهم سليم وموضـوعى للضبط والانضباط المتبادل بينهما ، ومعنى أن تعطى الأرض على قدر الفعل الذى يباشر به الانسان هذا الطلب •

هـذا ، وما من شك فى أن هـذا التقويم الجغرافى المناسب الذى تلتمسه الدراسة الميدانية ، وهى تعجم عود الأرض مرة ، وتعجم عود الانسان مرة أخرى ، فى وسعه أن يبصر حركة الحياة بانجازات كل نمط من أنماط استخدام الأرض . وفى وسعه أيضا أن يرشد حركة الحياة ، عندما تقدم على زيادة كفاءة قوة فعل الانسان ، لكى يباشر تطويعا وسيطرة وتسخيرا أفضل للأرض ، دون اتجاوزات تطعن فى امكانيات الأرض أو فى سلامة الأرض . بل قل ان هـذا التقويم يسعف الانسان ويشد أزره ، فى التماس تغيير أنسب يزحزح حد المصالحة مع الأرض ، لحسابه وعلى حسابها ، من أجل استخدام استخدام أفضل لها فى المساحة المغنية ، فى الانتاج ، أو فى الاستيطان أو فى الخدمات ، على صعيد المساحة المعنية.



وكما تنتهى رحلة الزيارة الجغرافية الميدانية التفقدية ، وهى فى طلب التعارف الجغرافى العام على صعيد المساحة المعنية ، أو وهى تستثمر مناخ الانفتاح الجغرافى المتنور ، على المنظور الجغرافى وتعبيره الواقعى عن أنماط استخدام الأرض ، دون أن تستنفد هـذه الرحلة كل أغراضها العلمية الميدانية ، تنتهى أيضا رحلة تقصى الحقائق الجغرافية التى تبحث وتتحرى وتتعقب أنماط استخدام الأرض ، وتلتمس جوهر هذه الأنماط ، وتقوم عطاء الأرض فى المكان والزمان . بمعنى أن عودة الفريق من الميدان ، بعد الانتهاء من انجاز العمـل الجغرافى الميدانى ، عن أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية ، تعنى نهاية مرحلة أساسية من العمل الميدانى. ونهاية هذه المرحلة وهى بالفعل أساسية ، لا يعنى أبدا الوصول الى نهاية المطاف فى هذه المهمة الدراسية الميدانية .

ويبقى الباب مفتوحا لذهاب الرحلة الجغرافية الميـدانية من جديد الى المساحة المعنية ، طالما لم تستنفد الدراسية الميدانية كل أغراضها من العمل الجغرافى العملى ، عن أنماط استخدام الأرض . بمعنى أن يبقى احتمـال

الحاجة ملحة الى رحلة جغرافية ميدانية ثالثة وأخيرة ، الى المساحة المعنية ٠ وتكون هذه الرحلة فى هــذه المرة ، مطلــوبة لاستيفاء بعض النقص فى المعلومات ٠ ولا يكاد يستشعر الباحث الجغرافى أنه قد أنهى العمل الجغرافى العملى عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، حتى تبوح له هــذه الأنماط بــكل ما ينبغى أن يتوفر من بيــانات صــادقة ، عن شكل وماهية وكنه وتوجهات هذا الاستخدام ، الا بعد هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ٠

وهكذا ، نتبين بوضوح وموضوعية ، أن حاجة البحث الجغــرافى عن أنماط استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، من الدراسة الميدانية أثناء رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، لم تكتمل تماما ٠ بمعنى أن تتكشف للباحث الجغرافى أن هنــاك بقية ينبغى الحصول عليها ، وأن دور الرحلة الجغرافية الميدانية الوظيفى فى طلب استيفاء هذه البقية ، يبقى ويتجدد حتى يتسنى له الحصول على هذه البقية ٠ ومثل هــذه العودة الأخيرة الى المساحة المعنية ، لا تعنى أبدا أن العمل الجغرافى العملى ، أثناء تقصى الحقائق الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض ، قد تردى فى الخطأ أو فى الاهمال ، الذى ينبغى تداركه ٠ كما لا تعنى هــذه العودة أيضــا ، أن رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، قد تعجلت فى العودة ، قبــل أن تتم العمــل الجغرافى العملى كله ٠ وقل أن هذه العودة من جديد الى المســاحة المعنية تعنى فقط استيفاء العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى تستجد الحاجة اليه ، بعد شئ من الدراسة المكتبية والوثائقية ، عن أنماط استخدام الأرض ؛

ومثل هذه العودة من جديد الى المساحة المعنية ، ومباشرة الدراســة الميدانية التى تتدارك النقص وتتممه ، تكون فى حاجة الى قــرار خاص ٠ ويصدر هذا القرار وهو مسئول عنه ، الباحث الجغرافى ، الذى يبــاشر الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية ، ويراجع الرصيد النهــائى للدراسة الميــدانية ، وتتكشف له أوجه النقص وتتبين له الثغرات ، فى الرصيــيد الجغرافى المطلوب عن أنماط استخدام الأرض فى المســاحة المعنية ٠ وتكون

هذه العودة المتوقعة الى الميدان فى الوقت المناسب ، بعد أن يدرك الاجتهاد الجغرافى بالضبط :

أولا — لماذا ترجع الرحلة الجغرافية من جديد الى المساحة المعنية ؟

ثانيا — متى وكيف يكون هذا الرجوع الى المساحة المعنية واجبا ، ولا يجوز اهماله أو الرجوع عنه ؟



رحلة جغرافية ميدانية أخيرة واستكمال دراسة استخدام الأرض

هذه رحلة ذهاب جغرافى يتكرر من جديد للمرة الثالثة ، الى نفس المساحة المعنية ، التى تكون قد شهدت رحلة الزيارة الجغرافية التفقدية مرة ، والتى كانت تتعايش وتتعامل على صعيدها رحلة العمل الجغرافى وتقصى بعض الحقائق الموضوعية عن أنماط استخدام الأرض مرة أخرى . وقل أنها رحلة ذهاب لا يبدأ من فراغ أبدا . بل قل انها رحلة ذهاب تجاوب استشعار الباحث الجغرافى بعض النقص بعد أن يباشر الدراسة المكتبية والدراسة الوثائقية . بل قل انها رحلة ذهاب الى المساحة المعنية فى الوقت المناسب لاستكمال النقص فى المعلومات أو للتيقن من صدق وموضوعية بعض البيانات والمعلومات عن استخدام الأرض .

والحاجة الملحة الى هذه العودة الأخيرة الى المساحة المعنية ، تعنى طلب الاضافة الواجبة والضرورية ، التى تضاف الى ما فى الجعبة الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض السائدة . وسواء تكون هذه الاضافات مطلوبة لاستكمال وضوح رؤية أنماط استخدام الأرض وتوزيعها الجغرافى فى المساحة المعنية ، أو تكون هذه الاضافات مطلوبة أو لازمة ، لاستيفاء مقومات تقويم هذا الاستخدام ، من حيث مستوى الاستجابة لوسيلة الانسان ، أو من حيث الاستعداد للعطاء ، يصبح الذهاب الأخير الى المساحة

المعنية أمرا ضروريا • بل لا ينبغى التفريط فى جدوى هذا الذهاب الأخير الى الميدان ، ومباشرة الدراسة الميدانية التكميلية من جديد •

وقل أن هذه الحاجة الملحة التى تتكشف للباحث الجغرافى ، هى التى تدعو الاجتهاد الجغرافى ، لاتخاذ القرار فى الوقت المناسب ، دون حرج أو تكاسل أو دون ابطاء • وهذا القرار هو الذى يستوجب تنظيم رحلة الخروج الى نفس المساحة المعنية من جديد ، وهو الذى يعيد تشكيل الفريق الذى يبادر بالذهاب الى الميدان • ويتمم هذا الذهاب الجغرافى الأخير ، الى المساحة المعنية من جديد ، رحلة العمل الجغرافى الميدانى عن أنماط استخدام الأرض • بل قل انه الذهاب الجاد الذى يكفل استيفاء النقص فى تفاصيل الحقائق الجغرافية ، أو فى بعض عناصر المادة الجغرافية الخام ، وهى التى تبدو ألزم ما ينبغى الحصول عليه لانجاز البحث عن موضوع استخدام الأرض •

وقل مرة أخرى أنها رحلة استيفاء جغرافية واجبة ، قبل اعداد البحث الجغرافى وكتابته ، أو رسم وتجهيز خرائط عرض أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية • وهى – من غير شك – تصوب الخطأ أحيانا أو تتدارك ما يفوته العمل الجغرافى الميدانى أحيانا أخرى ، عن موضوع استخدام الأرض • بل قل انها رحلة جغرافية ميدانية ، تتمم العمل الجغرافى الميدانى ، على صعيد المساحة المعنية • ويبقى الاحتمال الذى لا يجد فيه الباحث الجغرافى حاجة الى الخروج فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية ، وهو يستشعر أن لا مبرر لها • بمعنى أن يكون دائما السؤال الذى يسأل فيه الباحث عن لزوم هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ، تخرج أو لا تخرج •

واذا تقرر خروج هذه الرحلة الجغرافية الميدانية فى هذه المرحلة ، ومبررات كثيرة ومعقولة تؤيد هذا القرار ، يستحق هذا الخروج الاعداد الجيد ، قبل الذهاب من جديد الى المساحة المعنية • ويستوجب هذا الاعداد الجيد ، خطة عمل جديدة ، لكى يكون هذا الذهاب الأخير ، موفقا فى تدارك

النقص أو فى تلافى التقصير ، أو فى التماس الاضافة الواجبة وسد الثغرات ، من أجل بحث جيد عن أنماط استخدام الأرض فى المساحة المعنية • كما يستوجب هذا الاعداد الجيد أيضا اعادة النظر فى تشكيل الفريق ، لكى يستبعد من لا لزوم له ، ويضم من ينبغى ضمه ، لانجاز العمل الجغرافى الميدانى لاستيفاء الدراسة الميدانية ، على صعيد المساحة المعنية •

هذا ، ولا يكون النقص أو التقصير فى تقصى الحقائق الجغرافية ، عن استخدام الأرض - فى الغالب - وليد التعجل أو التهاون أو الاهمال ، فى اجراء الدراسة الميدانية • بل ولا يكون أبدا ، نتيجة من نتائج الاستخفاف وعدم تحرى الدقة فى انجاز برامج العمل الجغرافى الميدانى فقط ، حتى يتأتى الوقوع فى الخطأ وتجنب الصواب • ولكنه يكون دون شك ، وليد حاجة التغلغل الجغرافى الى :

١ - مزيد من العمق ، أو من الشمول ، أو من التدقيق ، أو من الاضافات فى مجالات التحرى والبحث الذى تلتمسه الدراسة الميدانية عن أنماط استخدام الأرض أحيانا ، أو عن الخلفية الجغرافية العريضة التى تحدد ملامح هذه الأنماط أو تناقش وتحلل أوضاعها ، على المسرح الجغرافى فى أنحاء المساحة المعنية أحيانا أخرى •

٢ - مزيد من الوضوح ، وتحرى الصدق والتدقيق والموضوعية ، الذى يتعقب ويتغلغل فى تفاصيل أنماط استخدام الأرض السائدة ؛ حتى يجاوب الحاجة الى تدارك أو استيفاء النقص وسد الثغرات ، فى بنية النسيج الجغرافى الذى يحكى ويتحدث عن أنماط استخدام الأرض ، حديثا جيدا يقومها ويحدد مستوياتها ويحسب جدواها لحساب حركة الحياة ، فى المساحة المعنية •

٣ - مزيد من حصر وتقصى قوة فعل المتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية فى مواجهة الضوابط الطبيعية والضوابط البشرية ، وكيف تؤثر

على أنماط استخدام الأرض السائدة فى المساحة المعنية ، حتى يتسنى استشعار توجهات التغير الى ما هو أفضل ، وترشيد فعل الانسان ، الذى يصطنع ويجنى ثمرات هذا التغيير عندما يباشره •

ولا يملك الاجتهاد الجغرافى ، أن يتخاذل أو أن يتهرب من ضرورة الخروج الأخير الى المساحة المعنية ، استجابة لحاجة البحث الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض السائدة • بل قل على الاجتهاد الجغرافى التزام أكيد ، بأن يطاوع كل دواعى هذا الذهاب الأخير الى الميدان ، لاستيفاء النقص واستكمال العمل الميدانى ، أو لمواصلة التحرى والعمل الميدانى والحصول على الاضافة عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، فى ربوع المساحة المعنية •

واستشعار النقص فى الرصيد الجرافى ، الذى تلملمه الدراسة الميدانية أثناء رحلة تقصى الحقائق الجغرافية ، ووضوح رؤية الثغرات فى سياق العرض الموضوعى ، بعد التمعن فى جلسات الدراسة المكتبية ، هى التى تفرض وتوجه هذا الذهاب الأخير الى الميدان • وقل أيضا أنها هى التى توجه وضع خطة العمل من جديد مرة أخرى ، قبل هذا الذهاب الى المساحة المعنية ، ومباشرته • بل قل انها هى التى توجه اختيار الأفراد ، من بين أعضاء الفريق المتعاون ، وتلزمهم بهذا الذهاب الاجبارى الأخير الى الميدان • كما توجه اعداد القائمة التى تسجل فى ترتيب أهم ما ينبغى أن تباشره الجماعة فى المساحة المعنية لاستيفاء النقص فى المعلومات والبيانات •

ويدعو هذا الخروج الأخير والذهاب من جديد الى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية ، الى شىء مناسب من الحوار والتشاور بين أعضاء الفرق المتعاون • ويدور هذا الحوار أو هذا التشاور فى هدوء ووعى حول هذه العودة وصولا الى اجابة مناسبة عن ثلاثة أسئلة أو استفسارات هامة • وتتمثل هذه الأسئلة فى :

أولا - ما هو بالضبط العمل الجغرافى العملى الميدانى ، الذى ينبغى القيـــام به ، حتى يتدارك النقص فى المعلومات ، أو حتى يتجنب عواقب التقصير الموضوعى ، أو حتى يسد الثغرات التى تشوه السياق ، أو حتى يجنى ثمرات الاضافات التى تحسن مستوى العرض ؟ وهذا هو ما ينبغى أن يلتزم به مجموعة الأفراد المنتخبين ، لتغطية العمل ، فى صحبة الجغرافى قائد الفـريق عنـدما يتـأتى الذهاب الأخير الى الميـدان على صعيد المساحة المعنية ٠

ثانيا - من هو الباحث المتخصص الذى ينبغى أن يقع عليه الاختيار ، حتى يخرج وهو ملتزم بحسن أداء المهام المنوطة به ، فى الميدان ؟ ويشارك من يقع عليه الاختيار قائد الفريق فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة حيث يعـاود الشركاء من جديد مبـاشرة العمـل الجغرافى العملى ، واجـراء الدراسة الميدانية التكميلية المناسبة فى أنحاء المساحة المعنية ٠

ثالثا - ما هى خطة العمل المنـاسبة ، وما هو أسلوب العمل الجغرافى الميدانى التكميلى الأنسب ، الـذى يتعين اتبـاعه والالتزام به فى انجـــاز التكليفات العملية المستجدة ؟ وينبغى أن يجاوب الأسلوب وتخـدم الخطة القصد الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض السائدة فى المســاحة المعنية ، أو حتى يلبى الانجاز ارادة هذا التوجه من جديد الى طلب المعلومة الجديدة ، أو حتى يتسنى تصحيح المعلومة التى سبق الحصول عليها من الميدان ٠

وهكذا يخضع خروج هـــذه الرحلة الجغرافية الميـدانية الأخـيرة الى الميدان ، على صعيد المســاحة المعنية ، لضوابط محـددة لا ينبغى تجاوزها أبدا ٠ وهى تحمل طابع الاستيفاء ، أو تدارك النقص أو اسقاط الغموض عن كنه وماهية استخدام الأرض ٠ ويضع التشاور والحوار الموضوعى ، الذى يدور بين أعضاء الفريق المتعاون ، أيدى الاجتهاد الجغرافى على هذه الضوابط التى تحكم الذهاب الأخير الى الميدان ، وانجاز العمـل الجغرافى الميـدانى ٠

كما تكفل هذه الضوابط أيضا العودة النهـائية منـــه ، والجعبة الجغرافية متخمة بما ينبغى أن تحصل عليـــه ، عن أنمـاط استخدام الأرض • كما يسعف التشاور والحوار الموضوعى ، وضع خطة العمل الجغرافى الميدانى •

ولا ينبغى أن يلتزم بالخروج فى رحلة الذهاب الى المســاحة المعنية ، لاستكمال العمــل الجغــرافى الميداني عن أنماط استخدام الأرض ، الا من تستوجب حاجة هذا العمل التحاقه بها • بل ولا يجوز الاستغناء أبدا عن هذا الدور الوظيفى لكل متخصص فى معية الفريق • وقد يكون فى وسع الجغرافى وحده أن يذهب الى الميدان بمفرده ، ودون أن يصطحب معه أحدا ، فى هذا الذهاب الأخير • بل قل أنه يمتلك القدرة ، لانجاز هـذه المهمة ، متفردا ، بالعمل الجغرافى العملى الميدانى • ولـكن المؤكد أن شرط الصحبة فى هذه الرحلة الجغرافية الميدانية الأخيرة ، وفى كل رحلة جغرافية ميدانية أخرى ، هو شرط حاكم وضرورى ولا ينبغى التهرب منه أبدا أو التفـريط فيـــه •

ومن ثم لا ينبغى تجاوز هـــذا الشرط الحاكم ، عنـد الذهاب الأخير فى رحلة العمل الى المساحة المعنية • وقل أن هذا التجاوز ، يكون بمثابة التهرب ، أو الخروج على موجبات العمل الجغرافى الميدانى الجماعى ، أو بمثابة التفريط فى جدوى العمل تحت مظلة الفـريق ، والتنكر لروح الفـريق • بل قل يتعين الالتزام بشرط هـــذه الصحبة ، واختيــار الرفيق المناسب أو أكثر من رفيق • ويصبح هذا الرفيق حتى لو كان أحد الأفراد الفنيين هو المعاون للجغرافى ، فى انجاز العمل الجغرافى المطلوب عن أنماط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية ، الذى لا يستغرق أحيانا الى سويعات قليلة •

ومن أجل هذه المهمة الطارئة ، التى تشهد انجاز العمل الجغرافى العملى التكميلى ، قد تستوجب الخطة الذهاب الخاطف السريع الى أكثـر من موضع معين متفق عليه ، أكثر من مرة • وفى كل مرة من مرات هـــذا الذهاب المتكرر ، تنجز الرحلة الجغرافية الخاطفة ، عملا ميدانيـا معينا ، لاستيفاء

النقص أو التقصـــير ، فى التمـاس وضـبـوح الرؤية الجغرافية عن أنماط استخدام الأرض ، أو فى التماس الـرأى الجغرافى السـديد عن مستوى وجدوى استخدام الأرض • ولا ينبغى أن يتزامن هذا الذهاب المتكرر الأخير فى اطار الخطة المعمول بها الى كل المواقع المعنية ، لأن الباحث الجغرافى قائد الفريق ، ينبغى أن يـكون الشريك الأصلى ، فى كل مرة من مرات هـــذا الذهاب الى كل موضع من مواضع هذا العمل الجغرافى الميدانى ، عن موضوع استخدام الأرض •

وعلى صـعيد المسـاحة المعنية ، وفى كل موقع منتخب يشـهد أداء أو انجاز الدراسة الميدانية ، ينبغى أن يتعاون الباحث الجغرافى مع شريكه فى الميدان • بل وينبغى أن يكون هذا التعاون تعاونا مستنيرا وحصيفا ، حتى يتسنى انجاز المهمة ، التى تتوجه من أجلها رحلة الذهاب الأخيرة الى الميدان • وخطة العمل والقائمة التى تسجل رؤوس الموضوعات التى يتعين الاهتمام بها واجراء الدراسة الميـدانية التى تعالج هـذه الموضوعات تكون مسئولة عن ضبط العمل الجغرافى العملى ، وتأمين حسن انجازه •

ولا يجب أن يكون انجاز هذا العمل الجغرافى ، سواء استوجب انجازه جمع الاجابات عن الأسئلة فى استبيان جديد ، أو استوجب اجراء التجربة العملية الميدانية ، متعجلا من أجل عودة سريعة من الميـدان • ولا يجب أن يهبط مسـتوى الأداء والتمعن والتدقيق فى جمع المـادة العلمية الخام من الميـــدان ، أو فى حصر الاجابات والردود على الأسـئلة والاستفسارات المطروحة ، عن مستوى الأداء العملى الميدانى ، فى الرحلة الجغرافية الميدانية السابقة • بل قل ينبغى أن يعزز هـذا الأداء الميـدانى ، شيئا من التحلى بالصبر والمثابرة ، الى جانب حسن التذوق الجغرافى ، فى طلب النتـــائج وحصرها وتصنيفهـا واستيعاب تعبيرها الموضـــوعى عن أنمـاط استخدام الأرض ، فى المساحة المعنية •

وسواء يتكرر هذا الذهاب الأخير الى الميدان ، أو لا يتكرر ، فلا تنقطع

الصلة الحميمة بين الاجتهاد الجغرافى ، وهو يعمل عملا جغرافيا ميدانيا مناسبا عن أنماط استخدام الأرض من ناحية ، والمساحة المعنية التى تشهد وتسيطر عليها هذه الأنماط السائدة على صعيد الأرض من ناحية أخرى • ولا ينبغى أن تكف العين الجغرافية أبدا ، عن حسن التمعن الهادىء والتأمل فى صورة الواقع الجغرافى الذى يتحدث بالصدق عن أنماط استخدام الأرض •

هذا ، وينبغى أن يستشعر نشأة ونمو العلاقة بين الانسان والأرض ، وأن يتبين الكيفية التى تسفر بها هذه العلاقة ، عن انتشار وتوزيع هذه الأنماط السائدة على صعيد المساحة المعنية • بل قل ينبغى أن يمضى هذا التمعن الجغرافى فى الاتجاه الصحيح ، وهو يميز جيدا بين الفصل من حيث الشكل ، والفصل من حيث الانتفاع ، عندما يتابع استخدام الأرض فى الانتاج والتعامل مع الموارد المتاحة ، واستخدام الأرض فى السكن والاستيطان الريفى أو الحضرى ، واستخدام الأرض فى توفير الخدمات وتأمين حسن توزيعها •

ولا يكاد يشبع الجغرافى من معطيات هذا التمعن الجغرافى فى أنماط استخدام الأرض ، الا وهو يفهم جيدا ، كل شىء عن مستوى العلاقة مع الأرض التى يباشر استخدامها ، وعن مستوى العطاء أو الاستجابة التى يجاوب بها الاستخدام السائد مطالب حركة الحياة • بل قل أن هذا التمعن الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، يلتمس شيئا من العناية بالتوازن الحقيقى الذى ينبغى أن يكون بين استخدام الأرض وهى تجاوب الانسان فى جانب ، والمحافظة على الأرض حتى لا تكف عن الاستجابة لحساب الانسان فى جانب آخر • بمعنى أن يفضح سوء استخدام الأرض ، ومضى التعامل معها على درب الخطأ الذى يسىء أو الذى يفسد فى الأرض ويطعن فى قدراتها على مواصلة العطاء •

وفور الانتهاء من هذه الدراسة الميدانية ، فى هذه المرحلة الأخيرة ، تستكمل الرحلة الجغرافية الميدانية مهمتها ، على صعيد المساحة المعنية ،

وقل يكتمل على امتداد المراحل الثلاثة ، جمع الرصيد الجغرافى المناسب ، عن أنماط استخدام الأرض • وفى صحبة هذا الجمع ، يتحقق استيعاب هذا الرصيد الجغرافى وتعبيره المباشر وغير المباشر ، عن مستوى هذا الاستخدام على صعيد الأرض ، وعن مبلغ استعداد الأرض لكى تجاوب تحسين مستوى الاستخدام ، وعن مبلغ استعداد الانسان لمباشرة الأساليب الأفضل لتحسين مستوى التحول من الاستخدام الجائر أو الاستخدام التقليدى أو الى الاستخدام المتطور الأحسن •

ومن ثم يصبح فى وسع الجغرافى بعد ذلك كله ، أن يباشر مهارته وخبرته فى التحليل والتركيب ، لكى يصطنع من حسن توظيف المادة العلمية الخام ، التى يحصل عليها من الميدان ، مع المادة الجغرافية المنتخبة من المراجع ومن المصادر والوثائق ، البحث المناسب ، عن أنماط استخدام الأرض • وحسن التعبير الجغرافى عن أنماط استخدام الأرض السائدة ، وتوزيعها الجغرافى وحسن تقويم مستواها ، وهى مسئولية حركة الحياة من ناحية ، أو وهى مورد عطاء يلبى حاجات حركة الحياة من ناحية أخرى ، يفتح أبواب البحث الجغرافى انفتاحا من غير حدود ، لكى يطل الجغرافى ويتمعن حتى يلتمس النتائج الجغرافية ذات الطابع التطبيقى[١] • ومثل هذا الوصول الجغرافى الى النتائج ذات الطابع التطبيقى ، يخدم حركة الحياة فى المساحة المعنية • بل قل انه يبصر التغيير ، وتوجهات التحسين فى الأساليب التى يرتفع بموجبها مستوى استخدام الأرض ، أو فى مباشرة العمل الذى يصون الأرض لكى تواصل العطاء ، فى المكان والزمان •

---

(١) يجسد فتح هذا الباب ، مبلغ اهتمام الاجتهاد الجغرافى التطبيقى بالتنمية (راجع الملحق عن موضوع الجغرافية وعملية التنمية) •

خاتمة

استخدام الارض وتوجهات الاجتهاد الجغرافى التطبيقية

خاتمــــــة

استخدام الأرض وتوجهات الاجتهاد الجغرافى التطبيقية

بعد هذا العرض الموضوعى عن استخدام الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، ينبغى أن ندرك كيف تستوجب هذه الموضوعية ضرورة التحلى بمهارات كثيرة فى المسح والتدقيق ، وفى التقويم وحساب الجدوى الاقتصـادية والجدوى الاجتمـاعية · كما ينبغى أن ندرك أيضـا ، كيف تستوجب هذه الدراسة الجغرافية الموضوعية عن استخدام الأرض :

أولا ــ مباشرة العمل الجغرافى فى فريق ، يضم نخبة من الباحثين العلميين ، لكى يتحرى الجغــرافى التمعن فى الجزء الدقيق الــذى يخصه وهو يطل على الأرض أو وهو يطل على الانســان ، ولكى يسعف العلمى المتخصص فى العلوم الطبيعية أو فى العلوم الانسانية ، التغلغل والتدقيق والتقويم الجغرافى لكل ما تعلن عنه الأرض ، أو لـكل ما يفعله الانســان مع الأرض ·

ثانيا ــ مباشرة العمل الجغرافى الذى ينجزه الفريق ، مباشرة ميدانية وتحـرى الدراســة التى تطل بعين جغرافية تتحلى بالقـــدرة على التحليل وهى تتمعن فى المنظور الجغــرافى الكلى الجامع لأنماط استخدام الأرض ، وتتحلى بالقدرة على التركيب وهى تتمعن فى الأجزاء التى تجســد أنماط استخدام الأرض ، وتتابع تداخل هــذه الأجزاء فى صياغة المنظور الـكلى الجامع لها ·

وتلتمس موضوعية هـــذه الدراسة والتحرى الميدانى ، أبعـاد الحق المكتسب الذى أقام العلاقة بين الانسان وهو يطلب ، والأرض وهى تجاوب هذا الطلب · بل قل تتحرى هــذه الموضوعية ، الضبط الذى تعلن عنه

خواص الأرض فى موجهة الانسان ، والانضباط الـــذى يبشر بتطويعها • كما تتحرى هذ الموضوعية أيضا ، الضبط الذى يبــاشره الانســان ويقدر عليه فى مواجهة الأرض ، والانضباط الذى يبـــديه فى سبيل تطويعها • ومن ثم يــكون التحرى الـــذى تتبين بموجبه مباشرة هـــذا الحق المكتسب فى استخدام الأرض ، وتأمين الحد المناسب للانتفاع بها فى أنحاء المساحة المعنية •

وعلى صعيد المساحة المعنية المأهولة ، التى تفيض بالحيـــاة وحضور حركة الحياة ، تكون مهمة التحرى ودراسة أنماط استخدام الأرض ، سهلة وميسرة عنـــدما يباشر الجغرافى حصر انتشـــار وتوزيع هـــذه الأنماط ، أو عندما يباشر الاجتهـــاد الجغـــرافى المسح الـــذى ينتهى الى عرض المنظور الجغرافى الكلى الجامع لأنماط استخدام الأرض • ثم تكون المواجهة الصعبة ، عندما يتحرى الاجتهاد الجغرافى التمعن والتدقيق والتغلغل فى كنه وماهية أنماط استخدام الأرض وتقصى مبلغ الحاح الانســـان فى الطلب وهو حق مكتسب ، وتقصى مبـــلغ اســـتعداد الأرض للاستجابة لهـــذا الطلب ، وهو التـــزام يجاوب الحق المكتسب • وأصعب ما يتعـــرض له الاجتهـــاد الجغرافى ، هو التماس تقويم مستوى أداء وفعل الانســـان الـــذى يستخدم الأرض ، والتماس تقويم مستوى استجابة الأرض لأداء الانسان فى مجالات استخدام الأرض •

ويكون هـــذا التقويم بداية مناسبة على درب الصـــواب وصولا الى الهدف التطبيقى • وعلى الاجتهـــاد الجغـــرافى أن يســـأل الأرض عن مبـــلغ استعدادها لتحسين مستوى الاستجابة للمتغيرات أو لتغير قدرات الانسان الفاعلة ، وأن يسأل الانسان عن مبلغ استعداداته لتحســـين مستوى العمل والأداء الفاعل فى تطوير أو تنمية استخدام الأرض • ولا يكاد ينتهى هـــذا التقويم الجغرافى الى شىء أهم من تحلى الخبرة الجغرافية بالمهـــارة والمؤهلات التى تيسر له اسداء النصيحة أو اعلان التوصية التى تبشر بالخير وترشـــد

الى تحسين مستويات استخدام الأرض أحيانا ، أو تقليم أظافر الاستخدام الجائر الذى يفسد فى الأرض أحيانا أخرى .

وأصعب ما يواجه الاجتهاد الجغرافى فى مجال دراسة استخدام الأرض ، يكون وهو حريص على الأصالة التى عاشت على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، وينبغى المحافظة عليها فى جانب ، وهو حريص على المعاصرة التى تلتمس وترسخ التحسين على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ، وينبغى استشرافها فى جانب آخر . بمعنى أن يتحلى الاجتهاد الجغرافى بالقدرة على ابداء النصيحة أو تقديم المشورة لمباشرة التغيير أو التحسين فى أنماط استخدام الأرض ، فى اطار أكبر قدر من التوازن وحسن التنسيق بين الأصالة والمحافظة عليها ، والتماس المعاصرة واستشراف سبل الانتفاع الأفضل بالأرض . وبمعنى أن يجتنب الأخذ بروح وأسلوب المعاصرة فى تحسين أنماط استخدام الأرض ، الطعن فى جذور الأصالة التى ابتنيت أو تأسست عليها هذه الأنماط فى المساحة المعنية على صعيد الأرض . وهذا هو عين ما يوفر به الاجتهاد الجغرافى التطبيقى ، الشىء المناسب من التنمية الرأسية ، على صعيد الأرض المستخدمة .

وعلى صعيد **المساحة المعنية غير المأهولة** ، التى تلتمس حركة الحياة غزوها ومباشرة استخدام الأرض فيها ، تكون مهمة التحرى الجغرافى صعبة ، وهى تسأل عن مبلغ استعداد الأرض لاستقبال حركة الحياة ، وتأمين أنماط الاستخدام التى تؤمن حضور حركة الحياة . بمعنى أن يلتمس هذا التحرى الجغرافى الكشف عن خواص الأرض ، ومبلغ استعداداتها لأن تضبط التعامل معها ، ولأن تنضبط بقوة فعل هذا التعامل . كما يلتمس هذا التحرى الكشف عن امكانيات استجابة الأرض لأنماط الاستخدام المرتقبة فى الانتاج ، وفى السكن والاستيطان ، وفى توفير الخدمات . وينبغى أن يفضى هذا التحرى الجغرافى الى رأى مناسب ، فى مجال تجهيز واعداد وحسن

انتشار وتوزيع الخدمات العامة التى تجسد مفهوم البنية الأساسية » المناسبة لحسن استقبال حضور حركة الحياة ، ووضع بداية أصولية لأنماط استخدام الأرض .

وبقدر الحاجة الى هذا التحرى الجغرافى عن الأرض ، تكون الحاجة الى التحرى الجغرافى عن الانسان الذى يلتمس غزو وتعمير واستخدام الأرض فى هذه المساحة المعنية • ويدقق هذا التحرى الجغرافى فى الكم ، ويحسب حساب العدد المناسب من الناس الذى فى وسع الأرض أن تستوعبه • بل قل يبلغ هذا التدقيق حد التماس معدلات التوزيع على المستوى الأفقى فى أنحاء المساحة المعنية ، وحسن استجابة هذا التوزيع لمباشرة أنماط استخدام الأرض فى توازن اقتصادى وتوازن اجتماعى جيد • وفى اطار هذا التحرى عن الكم ، يكون التماس الأنسب عن قدوم هذا الغزو فى مجال هجرة حرة تمارس حق الاختيار ، أو فى مجال تهجير جبرى لا يملك حرية الاختيار •

ويدقق هذا التحرى الجغرافى عن الانسان ، فى الكيف ، ويحسب حساب النوعيات المناسبة ، التى فى وسعها أن تباشر العمل فى أنماط استخدام الأرض المتاحة فى أنحاء المساحة المعنية • بل قل يبلغ هذا التدقيق حد التوصية بتأهيل وتدريب واكساب هذه النوعيات المهارات والخبرات التى تؤهلها للتعامل مع أنماط استخدام الأرض • ويرشد هذا التحرى الجغرافى والتدقيق ، اختيار العناصر الأنسب فى مجال التهجير الجبرى ، وتوطين المهجرين فى أنحاء المساحة المعنية • كما يرشد هذا التحرى الجغرافى والتدقيق ، وضع الضوابط التى تنظم وتضبط تحركات الهجرة التى تتوجه باختيارها الحر الى غزو الأرض فى هذه المساحة المعنية •

والتحرى الجغرافى عن الأرض المطلوب غزوها ، وعن الانسان الذى يبتغى مباشرة هذا الغزو ، هو جزء من مشوار الاجتهاد الجغرافى على صعيد

المساحة المعنية غير المأهولة • ويتم فى هذا المشوار الجغرافى ، التماس كيفية قيام وتوثيق العلاقة بين الانسان وهـــو يسأل الأرض ومبــاشرة التعامل معها ، والأرض وهى تجاوب الانســـان ولا تخـذله أبدا حسب مســتوى الضبط والانضـــباط المتبادل • وفى ظل اســـتعداد الأرض لأن تضبط وتنضبط ، واستعداد الانسان لأن يضبط وينضبط • وفى ظل توثيـــق العلاقة بين الانسان والأرض ، يسعف الاجتهـــاد الجغرافى حسن التنسيق مرة ، وحسن التوزيع مرة أخرى ، بين أنماط استخدام الأرض المتنوعة على صعيد المساحة المعنية • وهذا ، هو عين ما يجسد دور الاجتهـاد الجغـرافى التطبيقى ، في الشيء المنـاسب من التنمية الأفقية ، على صـــعيد الأرض البـكر •

وعلم الجغرافية بفلسفاته المعاصرة وتوجهاته التطبيقية ، وهو فى وضعه البينى الصحيح : بين العلوم الطبيعية فى جانب ، والعلوم الانســـانية فى جانب آخر ، يخوض التجـــربة التطبيقية الهـادفة ، لدراسة موضـــوع استخدام الأرض • وفى مجال العمل التطبيقى ، يتـولى الجغرافى أو يحتل مكان القيـادة لكى يباشر الدراسة والبحث عن أنماط استخدام الأرض • ومن خلال التقويم الجغرافى لأنماط استخدام الأرض ، يحتل الجغرافى وظيفة المستشار ، لكى يباشر ترشـــيد التوجهات التى تلتمس تحســين مستوى استخدام الأرض ، أو التى تلتمس غزو الأرض البكر وبداية مرحلة تنبض بالنشاط وتوطين أنماط مستجدة من استخدام الأرض •

وعلم الجغرافية بفلسفاته المعاصرة ، وتوجهاته التطبيقية ، وهو فى شغله الشاغل فى الدراسة الميـدانية عن أنمـاط استخدام الأرض ، فى أى مساحة معنية ، يعلن عن مسئولية الانسان الكاملة عن تسخير الأرض • وقل أنه يضع فى عنقه الأمانة الغالية ، وهو مسئول عن :

أولا ــ اختيـار الأرض بعـد التعرف على خواصها ، حتى يتسنى له

حسن التمييز بين الأرض التى تبشر بالاستجابة ، والأرض التى لا تبشر بالاستجابة له ٠

ثانيا – اختبار خواص الأرض التى تبشر بالاستجابة ، والتعرف على قوة فعل المتغيرات والضوابط ، حتى يتأهل بقوة الفعل المناسب ، ومباشرة الاجتهاد وصولا الى حد الاتفاق ، فى ظل الضبط والانضباط المتبادل ٠

ثالثا – حسن استثمار حد الاتفاق ، للتمييز الجيد بين الأرض التى تستخدم فى الانتاج ، والأرض التى تستخدم فى السكن واقامة المستوطنات والأرض التى تستخدم فى توطين وتوزيع الخدمات ٠

رابعا – مباشرة التعامل مع الأرض بأسلوب وأداء ومستوى يقدر عليه ، حتى تجاوبه الأرض بالقدر الذى يناسب هذا المستوى ، فى المكان والزمان ٠

خامسا – الاستجابة المتوازنة للمتغيرات الطبيعية والمتغيرات البشرية التى تحرسها وترشدها الضوابط ، حتى يتسنى له أن يغير حد الاتفاق مع الأرض دون خروج عن قواعد الضبط والانضباط المتبادل ، لكى يطور أساليب استخدام الأرض ويحسن مستويات استجابتها ٠

سادسا – المحافظة على التوازن الحميد بين استخدام الأرض وتسخيرها ومباشرة أقصى مستويات الانتفاع بها فى جانب ، وصيانة الأرض وحمايتها من الضغوط التى ترهقها ، ومن عوامل الافساد التى تطعن فى قدراتها فى جانب آخر ٠

واستشعار جسامة المسئولية التى تقع على عاتق الانسان ، يضع علم الجغرافية المعاصرة نفسه فى خدمة حركة الحياة ، وهو يصطنع المرآة التى يرى فيها الانسان نفسه ، وهو يباشر العلاقة مع الأرض ، أو وهو يطور هذه العلاقة مع الأرض حتى تظل تجاوبه أو وهو يسىء ويطعن فى هذه العلاقة مع الأرض حتى تخذله وتكف عن الاستجابة ٠ ويثنى علم الجرافية على ذلك

بالرأى الجغرافى الذى يرشد الانسان لكى يحافظ على العلاقة مع الأرض، أو لكى يطورها تطويرا مناسبا دون تجاوزات تطعن طعنا مفسدا يطعن بشدة ، حتى تتفسخ هذه العلاقة مع الأرض • ولا سيادة للانسان على الأرض ، الا من خلال هذه القدرة التى يباشر بها الانسان ، وهو مسئول تطويع الأرض وتأمين استخدامها • ولا مكان أبدا للانسان على صعيد أى أرض ، ليس فى وسعه أن يباشر معها هذه العلاقة •



ملحق

الجغرافية وعملية التنمية

- طلب المعرفة الجغرافية ، كانت بداية
- علم الجغرافية .. المنهج والهدف
- علم الجغرافية .. المنهج والهدف التطبيقى
- الجغرافية التطبيقية وقضية التنمية
- موقف علم الجغرافية من عمليات التنمية
- الاقدام الجغرافى على عملية التنمية
- التخطيط الاقليمى .. أروع ما يقدمه علم الجغرافية للتنمية
- الوظيفة الجغرافية فى التخطيط الاقليمى

الجغرافية .. وعمـلية التنميـة

يلتمس هـذا العرض ، متابعة توجه الاجتهـاد الجغـرافى والعملى ، توجها مناسبا ، وهو على بصيرة ، الى الاسهام أو المشـاركة التى تشد أزر عمليات التنمية ، فى المكان والزمان لحساب الانسـان . ولا يعنى هـذا الاسهام الجغرافى البديل ، فى عمليـات التنمية شيئا ، أهم من نجـاح الاجتهاد الجغرافى ، نجاحا منهجيا فى التحول الحقيقى ، الذى يخرج الهدف الجغرافى ، من جمود النظرية البحتة ، الى مرونة التطبيق العلمى . بل قل ان هذا التحول ، هو عين ما يعنى ، تطوير الهدف الجغرافى تطويرا مناسبا وموفقا ، لحساب حركة الحياة .

وهذا التطوير فى تصميم الهدف الجغرافى ، هو الـذى يفتح الباب ، ويضع الخبرة الجغرافية ، وما تملكه من مكتسبات ومهارات علمية وعملية ، فى صف واحد ، وهو مسئول مسئولية الشريك مع أعضاء الفريق العامل ، فى حقل العمل التنموى . ومن غير مباشرة هذا التحول الذى طور الهدف الجغرافى ، وأضاف اليه البعد التطبيقى العملى ، لا يـكون فى وسع الخبرة الجغرافية أبدا ، أن تتجاوز بالبحث الجغرافى ، حد تسجيد الرؤية الجغرافية وصولا الى منطق حسن عرض وتقديم الـرأى الجغرافى الرشـيد ، تعقيبـا أو تعليقا ، على ما تعبر عنه هذه الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان .

وسواء كان هذا الرأى الجغرافى ، فى شكل نصيحة ، أو مشورة أو تحفظ ، يعقب على حضور الانسـان وقوة فعله على صعيد الأرض ، فانه يهمس به فى أذن حركة الحياة ويبصرها . ويرشد هذا الهمس ، الذى لا ينشأ من فراغ ، ولا يكون من غير غاية ، تعامل الانسـان مع الأرض فى المـكان والزمان ، وهو يطلب الانتـاج أو وهو يطلب الاستيطان ، أو وهو يطلب الخـدمة .

وما أحوج حركة الحياة ، فى المكان والزمان ، الى حسن الاستماع الى هـــذا الـرأى الجغـرافى والأخـذ بما ينصح به ، أو بما يوصى به ، لـكى يحيط الانســـان الفرد أو المجتمع ، علما بخواص الأرض وضوابطها وقوة فعلهــا من ناحية ، وعلما بمستوى قدراته ومهـارات قوة فعله من ناحية أخرى ، من أجل حسن مباشرة التعامل الايجابى مع الأرض على بصيرة ، وهو يلتمس المضى الرشـــيد به ، على درب التغيـير الى ما هو أفضـل ، اجتماعيا واقتصاديا فى المكان ، من عصر الى عصر آخر ٠

طلب المعرفة الجرافية كانت بداية

هذا ، واذا كان علينـا أن نمعن النظر حتى نتبين الكيفية التى تأتى تأتى بموجبها هذا التحول الحميد ، الذى أخرج الهدف الجغرافى أو قل العمل الجغرافى من جمود النظرية البحتة الى مرونة التطبيق العملى المناسب ، أن نتفق أولا على أن مسـيرة الاجتهـــاد الجغرافى قد قطعت شوطا طويلا من المشوار المستمر ، وهو لا يكاد يلتمس شيئا ، أهم وأجدى من طلب الانسان المعرفة بصــــورة الأرض تحت قدمية ، وأمام عينيه فى المكان والـزمان ٠ ثم كان أول تطور عندما التمس الاجتهـاد الجغرافي فى وقت لاحق التمعن في صورة الأرض ، طلب معرفة صورة حركة الحياة ، وهى تحيـا وتفعل وتفلح فى طلب ما تريد من الأرض ، على صعيد الأرض ، فى المكان والزمان ٠

فى اعتقادى الصريح ، أن الاقدام على طلب المعـرفة بصـورة الأرض قد تأتى مع ميلاد الانسان على الأرض ، لكى يعرف كيف يتعايش مع طبيعة الأرض فى المكان والزمان ٠ ولقد بدأ اجتهـاد الانسـان الجغرافى بالتماس المدركات الجغرافية ومعايتتها ، والاطلاع عليها ومعرفتها ، وكأنه يعجم عودها وهو يقترب منها ، أو وهو يمد يديه اليها ويتعامل معها ٠ وقل أن التماس هذه المعرفة والانسان يحملق فى المنظور الجغرافى على صعيد الأرض ، كانت تستنفر العقل وتستوجب التفكير فى كل هذا المنظور ، أو فى الأجزاء التى

يتألف منها هذا المنظور الجغرافى . بل ان هـذا الوضع ، الذى استوجب على الانسان أن يواجه صورة الأرض ، هو الذى مهد دائما لمباشرة التمعن والتفكير الجغرافى ، وتوظيف العقل فى قضية التعامل بين الانسان والأرض توطئة للتعايش مع الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان على صعيد الارض .

وقضية طلب هذه المعرفة الجرافية ، ومعاينة المنظور الجغرافى ، والتفكير فى كنه وماهية المدركات الجغرافية على صعيد هذا المنظور ، هى التى يسرت للانسان أن يتعامل مع الأرض فى المكان والزمان . كما أتاحت للانســان أن يتعامل بقوة الفعل الايجابى المناسب ، لكى يعرف كيف يتعامل تعاملا مع قوة الطبيعة وهى من وراء خواص الأرض . بل قل ان مسـيرة حركة الحياة فى المكان لم يكن فى وسعها أن تنجح فى التعايش ومباشرة هـذا التعامل الايجابى مع الأرض حتى تطوعها وهى تطلب الانتاج أو وهى تطلب السـكن أو وهى تطلب الخدمة فى غيبة المعـرفة بالأرض . كما لم يكن فى وسع حركة الحياة أن تفلح فى تعديل أو فى تطوير مستوى هذا التعامل مع الأرض من عصر آخر فى المكان ، لكى تتيسر للانســان الحيـاة الأفضل فى غيبة المعرفة الجغرافية ، ودون مباشرة التفكير العقلانى المناسب فى كنه وماهية المدركات الجغرافية ، وهى تتمثل فى صورة الأرض ومنظورها العام الذى شهد حضور الانسان ومباشرة قوة فعله على صعيد الأرض فى المكان والزمان .

ولقد مضى هذا المشوار الجغرافى الطويل ، وحركة الحياة تتأبط ذراع المعـرفة الجغرافية ، وتبـاشر التفـكير الجغرافى وهى لا تعـرف الكتابة ، ولا تدون شيئا من هذا الرصيد الجغرافى . ومع ذلك فانها انتصرت به ، وهو فى صحبتها ، عندما أقدم الانسان على التعامل مع الأرض فى المكان ، وباشرت التعايش بالشكل المناسب فى اطار المنظور الجغـرافى الطبيعى . بل قل انتصرت به حركة الحياة أيضا ، عندما اضطر الانســان الى فسخ

العلاقة بينه وبين الأرض ، وهى تقتر عليه أحيانا ، حتى غادر المكان وطلب الحضور ومباشرة العلاقة مع الأرض من جديد فى مكان آخر ٠ وكانت المعرفة الجغرافية هى التى تبصره فى الحل والترحال ، وهى التى ترشد وتسدد قوة فعل الانسان ، وتطوره النشيط على صعيد الأرض ٠

وفى مرحلة طويلة أخرى تالية ، تأبطت حركة الحياة ذراع المعرفة الجغرافية ، لكى تواصل مسيرة الحضور والانتصار على الأرض ٠ وكانت حركة الحياة فى هذه المرحلة تعرف الكتابة ، وتدون الرصيد الجغرافى ، ولا تكف عن التفكير الجغرافى فى المدركات الجغرافية ، وهى تعاين صورة الأرض فى المكان ، أو فى الأماكن الأخرى ، أو وهى تعاين وتتمعن فى الأرض فى اطار الكون الفسيح ٠ ورشد هذا الرصيد الجغرافى انتشار الانسان من مكان الى مكان آخر ، على صعيد الأرض وبصر اقامة أو توثيق العلاقة بين الانسان والأرض على صعيد أى مساحة من الأرض ، ومهد ويسر تعامل الانسان مع الأرض ، وهو ينتج ، أو وهو يشيد ويبنى ، أو وهو يرسخ الخدمة ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان ٠

وبصرف النظر عما كان من أمر أولئك الذين وجهوا العناية الجغرافية الى صورة الأرض ومطالعة المنظور الجغرافى الطبيعى ، وتمعنوا كثيرا فى المدركات الجغرافية ، فى مرحلة طويلة ، وما كان من أمر الاضافة التى وجهت العناية الى حضور حركة الحياة على صعيد الأرض ، وطالعت المنظور الجغرافى البشرى ، وتمعنوا فى العلاقة بين الانسان والأرض ، فى مرحلة أخرى فقد أحسنوا توجيه مسيرة الاهتمامات الجغرافية ، على درب الصواب فى الاتجاه الصحيح ٠

وانتهى الاجتهاد الجغرافى وفلسفته المتطورة فى نهاية المطاف ، الى ولادة علم الجغرافية فى القرن التاسع عشر الميلادى ٠ وجاءت هذه الولادة بالفعل طبيعية وصحية ، من رحم ، هـذا التفكير الجغرافى العقلى الرزين فى كنه

وماهية المدركات الجغرافية ، وفى التماس ضوابطها ، وفى متابعة متغيراتها ، فى المكان والزمان ٠

* * *

علم الجغرافية ٠٠ المنهج والهدف

كان من الطبيعى أن يتــــولى علم الجغرافيـــــة ، وهــو يملك المنهج ، ويلتمس الهدف ، الاهتمام بدراسة الأرض ٠ وقل تقصى هذا العلم خواص العنــاصر الطبيعية المتداخلة ، فى صلب المنظور الجغــرافى الطبيعى ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان ٠ بل قل تعمد البحث الجغرافى ، التسلل الى ما وراء صورة الأرض ، لكى تتكشف له السنن الحاكمة ، ولكى يفسر أو يعلل ما تحدث به ، أو ما تعبر ، عنه صورة الأرض ٠

كما تحرى علم الجغــرافية ، وهو يملك المنهــج ، ويلتمس الهدف ، الاهتمام بدراسة الانسان ٠ وقل تقصى هــذا العلم خواص ، العنـــاصر البشرية المتداخلة ، فى طلب المنظور الجغرافى البشرى ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان ٠ بل قل تعمد البحث الجغــرافى ، التسلل الى ما وراء حضور حركة الحياة ، لكى تتكشف السنن الحاكمة ، ولكى يفسر أو يعلل ما تحدث به ، أو ما تعبر ، عنه نبضات حركة الحياة على صعيد الأرض ٠

ومن خلال التمعن والتدقيق فى المنظور الجغــرافى الطبيعى والتمعن والتدقيق فى المنظور الجغرافى البشرى ، انطلق الاجتهاد الجغرافى ، انطلاقة من يلتمس حقيقة وكنه وماهية وتوجهــات العـــلاقة الوظيفية ، فى اطار التعامل بين الانسان والأرض ، فى المكان والزمان ٠ بمعنى أن علم الجغرافية قد جبل على :

أولا — دراسة الأرض والتدقيق فى كل المنظور الجغــرافى الطبيعى ، أو فى الأجزاء والعناصر المتداخلة ، فى تركيب هذا الكل لحساب الانسان٠

ثانيا — دراسة الانسان ، والتدقيق فى المنظور الجغرافى البشرى أو فى الأجزاء والعناصر المتداخلة ، فى تركيب هذا الكل على صعيد الأرض ٠

ثالثا — دراسة التعامل بين الانسان والأرض ، والتدقيق فى فحوى العلاقة بينهما ، وجدوى أو محصلة استخدام الانسان للأرض ، فى المكان والزمان ٠

وأجاد الاجتهاد الجغرافى العلمى والعملى دائما ، وهو يملك القدرة على التحليل تارة ، والقدرة على التركيب تارة أخرى ، ثم وهو يجيد الدراسة الميدانية ، ويتقصى الحقيقة الجغرافية ، عن دراسة الأرض ٠ وكان فى وسعه ، أن يلتمس بمهارة ، المنظور الجغرافى الطبيعى ، وأن يتدارس كل عنصر من عناصره ، على صعيد الأرض ٠ كما كان فى وسعه أيضا ، أن يتبين بعناية ، متغيرات تغير فى طبيعة وماهية وكنه هذا المنظور الجغرافى الطبيعى ، تغيرا طفيفا أحيانا ، أو تغيرا مبالغا فيه أحيانا أخرى ، ويتأتى هذا التغير على المدى القصير أو على المدى الطويل ، أو على المدى الجيولوجى ، دون تفريط فى رؤية الأرض ، وهى مسرح لحركة الحياة ٠

وأجاد الاجتهاد الجغرافى العلمى والعملى دائما ، وهو يملك نفس القدرة على التحليل تارة ، والقدرة على التركيب تارة أخرى ، ثم وهو يجيد اجراء الدراسة الميدانية وتقصى الحقيقة الجغرافية ، عن الانسان وحضوره ونبضه على صعيد الأرض ٠ وكان فى وسعه ، أن يلتمس بمهارة المنظور الجغرافى البشرى ، وأن يتدارس كل عنصر من عناصر هذا المنظور ، وأن يتمادى فى التمييز بين دراسة الانسان ذاته ، وهو يحياة على الأرض ، ودراسة الانسان قوة فعل تتعامل مع الأرض ٠ كما كان فى وسعه أيضا ، أن يتبين بعناية أيضا ، متغيرات كثيرة ، تغير فى طبيعة وكنه وماهية هذا المنظور الجغرافى البشرى أو فى عناصره ، تغيرا طفيفا أحيانا ، أو تغيرا مبالغا فيه

أحيانا أخرى ، ويتأتى هذا التغير ، على المدى القصير ، أو على المدى الطويل ، أو على المدى الجيولوجي ، ودون تفريط أو اهمال فى جدوى حضور الانسان ومضى حركة الحياة ، على صعيد الأرض ٠

والتماس المنظور الجغرافى الطبيعى ، وفهم واستيعاب أبعاده وعناصره والوقوف على متغيراته ، من مكان الى مكان آخر ، أو من عصر الى عصر أخرى ، والتماس المنظور الجغرافى البشرى ، وفهم واستيعاب أبعاده وعناصره ، والوقوف على متغيراته من مكان ، الى مكان آخر ، أو من عصر الى عصر آخر ، كان من شأنه أن يمهد بموضوعية وصدق ، للاقدام الجغرافى على تقصى حقيقة وجدوى تعامل الانسان والأرض ، فى المكان والزمان ٠ وهذا هو الموضوع الجغرافى الجوهرى ، الذى أصبح الشغل الشاغل دائما ، للاجتهاد الجغرافى العلمى ٠ وكان هذا الاجتهاد الجغرافى حريصا ، على تحرى أو تقصى المواجهة الايجابية ، بين قوة فعل الطبيعة ، والضوابط الطبيعية فى جانب ، وقوة فعل الانسان ، والمهارة والخبرة والوسائل الحضارية المتاحة له ، والضوابط البشرية فى جانب آخر ٠

وعلى محاور البحث الجغرافى العلمى الثلاثة : وهى تعكف على دراسة الأرض ، وعلى دراسة الانسان ، وعلى دراسة التعامل بين الانسان والأرض ، يتجلى التزام الاجتهاد الجغرافى العلمى ، التزاما حقيقيا ، بانهاء مرحلة العناية بالوصف الجغرافى أو التوصيف ، لكى تباشر العناية الجغرافية بتجسيد الرؤية الجغرافية ، فى مرحلة جديدة ٠ وتحرى الاجتهاد الجغرافى فى هذه المرحلة ، حسن توصيف التوزيع والتعليل والربط ، من أجل تجسيد المنظور الجغرافى ، أو تجسيد الرؤية الجغرافية الطبيعية أو البشرية ٠ وكان هذا التجسيد ، تجسيدا يجمع بين الوصف وتصوير الانتشار ، وتفسير دواعى هذا الانتشار أو التوزيع على المستوى الأفقى ، وتقصى العلاقة بين الجزء والكل ، فى المكان والزمان ٠

وتجسيد الرؤية الجغرافية على أى من الوجهين الطبيعي أو البشرى ، سواء كانت رؤية كلية مركبة ، أو كانت رؤية جزئية بسيطة ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، يكون من شأنه أن يجاوب الهدف الجغرافى وكان هذا الهدف الجغرافى ، هو عين ما تتطلع اليه البحوث الجغرافية العلمية ، حيث يستوجب :

أولا - متابعة الانتشار الأفقى الجغرافى ، أو التوزيع الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، فى ربوع الأرض •

ثانيا - التماس دواعى أو موجبات هذا الانتشار الأفقى الجغرافى على صعيد الأرض ، فى المكان والزمان •

ثالثا - تعقب العلاقة بين العناصر الطبيعية أو العناصر البشرية المتداخلة فى صلب الرؤية الجغرافية الكلية ، فى المكان والزمان ، وحصر وتحرى التأثر المتبادل بينهما ، فى المساحة المعنية على صعيد الأرض •

وصحيح أن الاجتهاد الجغرافى العلمى الجاد ، قد باشر البحث الجغرافى ، وأجرى الدراسة الميدانية المناسبة ، وهو يعالج الموضوع أو الظاهرة الجغرافية الطبيعية أحيانا ، أو وهو يعالج الموضوع أو الظاهرة الجغرافية البشرية أحيانا أخرى ، فى ظل مناهج متنوعة ، وصحيح أيضا أن هذه المناهج قد حافظت بعناية على حسن التوجه الجاد الى الهدف الجغرافى ، الذى يتحرى حسن وصدق بيان أو تعبير الرؤية الجغرافية وتجسيدها • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو تحرى انجاز البحث الجغرافى ، الذى يجسد الرؤية الجغرافية الطبيعية أو البشرية ويتغلغل فيها عمقا ، الى حد التحليل الموضوعي ، الذى يكشف عن كل العوامل أو العناصر التى تتداخل تدخلا سويا أو سليما ، فى تركيب أو فى صياغة

الرؤية الجغرافية ، وتوثق المعرفة بتركيبها فى المكان والزمان ، على صعيد الارض .

واعتبارا من بداية مشوار **علم الجغرافية** ، فى القرن التاسع عشر الميلادى ، كان من شأن الاجتهاد الجغرافى أن يعكف على دراسة صور وأشكال التعامل الايجابى بين الانسان والأرض ، وهو يلتمس بكل الموضوعية والصدق ، تجسيد الرؤية الجغرافية ، التى تتعقب ، توجهات هذا التعامل ، وتتحرى فاعلية هذا التعامل ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية . وكان من الضرورى أن تفضى هذه الدراسة الجغرافية الجادة ، الى شىء مثير من الجدل والحوار واختلاف وجهات النظر الجغرافية ، عن ماهية التعامل بين الانسان وهو يطلب ويعمل لحساب هذا الطلب ، والأرض وهى تجاوبه وتعطيه ، أو وهى لا تجاوبه ولا تعطيه .

وقل ينجلى هذا الجدل الجغرافى الموضوعى عن هدفين متضادين للاجتهاد الجغرافى العلمى ، وهو يباشر تجسيد رؤية أبعاد هذا التعامل بين الانسان والأرض ، وصولا الى طلب الانتاج ، أو وصولا الى طلب السكن ، أو وصولا الى طلب الخدمة من الأرض . بل قل لقد أوقع هذا الجدل الجغرافى ، الاجتهاد الجغرافى فى الخطأ ، لأنه فى كل موقف من هذين الموقفين المتضادين ، أطل على التعامل بين الانسان والأرض ، أو على طرفى العلاقة فى هذا التعامل ، بعين تتحيز ولا تكاد تعرف كيف تكون منصفة .

وفى موقف من هذين الموقفين المتضادين سار الاجتهاد الجغرافى على درب الخطأ . وكان فى نظرته أو فى بحثه عن العلاقة بين الانسان والأرض منحازا الى جانب الطبيعة ، وكأنه يستخف بالانسان . ومن ثم كان من شأنه ، أن يرى التعامل بين الانسان والأرض محكوما بقوة فعل الطبيعة ومتغيراتها ، فى المكان والزمان . بل قل كان من شأنه ، أن يرى الانسان وهو محكوم ، أو وهو غارق ومستسلم ، فى قبضة التبعية لقوة فعل

الطبيعة ، أو وهو ، ملتــــزم بما تمليه الضـــوابط الطبيعية ، فى المــكان والزمان • بمعنى أن تبـــدو الطبيعة على صـــعيد الأرض ، وكأنهـــا تأمر ، والانسان وهو يصدع لما يؤمر به ، وهذا هو عين ما يعنى الاستخفاف به ، وبكل ما يملكه من مهارات ، وخبرات وقوة فعل مباشر ، تباشر التعامل مع الأرض واستخداماتها •

وفى موقف من هذين الموقفين المتضـــادين ، سار الاجتهـــاد الجغـــرافى أيضـــا ، على درب الخطـــأ • وكان فى نظرته أو فى بحثه عن العـــلاقة بين الانسان والأرض ، منحازا الى صف الانسان ، وكأنه يستخف بالطبيعة • ومن ثم كان من شأنه ، أن يرى التعامل بين الانسان والأرض محكوما بقوة فعل الانسان ومتغيراتها فى المكان والزمان • بل قل كان من شـــأنه ، أن يرى الطبيعة وهى محكومة وتستسلم ، للانسان ، أو وهى أسيرة فى قبضة التبعية لقوة فعل الانسان ، أو وهى ملتزمة ، يطوعهـــا الانســـان فتطاوعه الأرض ، ولا تعصى له أمرا ، فى المكان والزمان • بمعنى أن يبدو الانسان ، على صـــعيد الأرض ، وكأنه يأمر والطبيعة تصدع لما تؤمر به • وهـــذا هو عين ما يعنى ، الاستخفاف بالطبيعـــة ، وكل ما يتـــوفر لعنـــاصرها ، المتنوعة من قوة فعل ، تجاوب أو لا تجاوب التعامل مع الانسان •

ولقـــد جمد موقف الاجتهـــاد الجغرافى العلمى ، المنحـــاز الى جانب الطبيعة ، أو المنحـــاز الى صف الانســـــان ، توجهات البحث الجغـــرافى عن التعامل بين الانسان والأرض ، وهو مستغرق فى الخطأ عند حد تجسيد الرؤية الجغرافية فقط • وكان من شأن هذا التجسيد ، أن يصور مبـــلغ انتفاع الانســـــان بالأرض ، وهو محكوم وملتـــزم فى تصـــور فـــريق من الجغرافيين ، أو وهو حاكم ومتحرر فى تصور فريق آخر من الجغرافيين • ويقع كل فـــريق منهما فى الخطـــأ ، سواء تحمس لانتصـــار الانســـــان ، أو تحمس لانتصار الطبيعة • ذلك أن نجاح التعامل بين الانسان والأرض ،

هو انتصار لهما معا لأن لا قيمة للأرض من غير الانسان الـذى يفجر الخير فيها ، ولا قيمة للانسان من غير الأرض التى توفر له هذا الخير • كما أن فشل التعامل وتفسخ العلاقة بين الانسان والأرض ، هو فشل لهما معا •

وقل لم يكن فى وسع الاجتهاد الجغـرافى العلمى ، فى هـذا الوضع المتعنت ، أن يتصـور حقيقة ، التعامل بين الانسـان والأرض ، تصـورا متوازنا • بل قل لم يكن فى وسعه ، أن يرى العلاقة بين الانسان والأرض ، وهى فى شكل من أشـكال المواجهة بين ندين ، هما قوة فعـل الطبيعة ، وهى متغيرة وتتحلى بالمرونة ، وقوة فعل الانســـان وهى متغـيرة وتتحلى بالمرونة • بل قل أيضا ، أنه لم يكن فى وسع الاجتهاد الجغرافى المنحاز ، أن ينظر للعلاقة بين الانسان والأرض نظرة متوازنة أبدا ، ولا يتجاوز بحثه مسالة تجسيد ، الرؤية الجغرافية ، الـــذى من شانه أن يجاوب الهـدف الجغرافى ، وهو لا يعبأ أو لا يكاد يكترث بالتردى فى خطيئة الانحياز — غير المنصف — الى صف الانسان على حساب الأرض ، أو الى جانب الأرض على حساب الانسان •

وفى زحمة هذا التناقض أو التنافس بين هذين الموقفين ، وهما على درب الخطأ ، جاء التكليف الرسمى ، الـــذى أسند للخبـرة الجغـرافية البريطـانية ، مهمة النظر وتقصى حقيقة أوضـاع التعـامل بين الانســان والأرض ، على الصعيد البريطـانى • وكان هـــذا التكليف باجراء البحث الجغرافى ، لحساب الغير ، مسئولية تستوجب الأمانة • بل قل كان هـذا التكليف ، وكانه تسـليم الأمانة ، أو وضع المســئولية فى الأيدى التى فى وسعها ، أن تقضى فى الأمر ، وأن تقدم الرأى الجغرافى المناسب ، عن هذا التعامل بين الانسان والأرض ، وعن مستواه الحقيقى •

وكان المطلوب بشكل تاكيد ، تحسرى دواعى أو موجبـات العجـز الواقعى ، الذى تاتى وبات ملموسا أثناء الحرب العـالمية الأولى ، وأثر على

جدوى التعامل بين الانسان والأرض ، وعلى جدوى استجابة الأرض لحركة الحياة البريطانية • وكان المطلوب ، التماس دواعي انخفاض مستوى استجابة الأرض للانسان ، وهو يستخدمها • بل قل أصبح من شأن الاجتهاد الجغرافى أن يطرح السؤال على الأرض ، لكى يسأل عن أوضاعها ، وعن خواصها وعن ضوابطها ، وهى من وراء انخفاض مستوى الاستجابة • كما كان من شأنه أيضا أن يطرح السؤال على الانسان ، لكى يسأل عن مهارته ، وعن خبرته ، وعن وسيلته ، وهي من وراء انخفاض مستوى الاستجابة •

★ ★ ★

علم الجغرافية ••• المنهج والهدف التطبيقى

وهكذا وضع التكليف الذى بدأ به اهتمام الاجتهاد الجغرافى بدراسة استخدام الأرض ، نقطة التحول الجوهرى ، التى يتوجه بموجبها علم الجغرافية ، الى مشارف الهدف التطبيقى • واستوجب هذا التوجيه الجديد — وهو عين ما يعنى تطوير حيوى فى صياغة الهدف الجغرافى — ضرورة الانتقال الذكى ، من مباشرة الاجتهاد الجغرافى لحساب تجسيد الرؤية الجغرافية ، لموضوع التعامل الحيوى بين الانسان والأرض ، واستخدامها وتوظيفها فى المكان والزمان ، الى مباشرة الاجتهاد الجغرافى ، لحساب هذا التعامل بين الانسان والأرض وتجسيد الرؤية الجغرافية المدققة فى جدوى استخدامات الأرض فى المكان والزمان • ثم يتأتى تأسيسا على هذا التدقيق ، التعقيب المناسب لكى يباشر الاجتهاد الجغرافى التقويم ، واصدار الحكم على جدوى هذه الاستخدامات ، والتعليق ، على مبلغ استجابة الأرض ، وحتى تتفجر بالخير وحسن العطاء ، لمطالب حركة الحياة •

والتصدى الجغرافى ، من خلال بحث مكتبى رزين ، ودراسة ميدانية متأنية ، والتنسيق بينهما ، حتى يتسنى ، اصدار الحكم الجغرافى ، بعد

تحسين تجسيد الرؤية الجغرافية للاستخدامات ، وهى تصور التعامل الحيوى والبناء ، بين الانسان والأرض ، فى ربوع المساحة المعنية ، يعنى بالضرورة بداية مشوار جديد ، للاجتهاد الجغرافى ، على درب من دروب الصواب • ولا يبتغى الاجتهاد الجغرافى ، وهو على هذا الدرب شيئا ، أهم من التماس الرأى الجغرافى الصحيح والصريح • وفى اعتقادى أن الانتقال من جغرافية الرؤية ، الى جغرافية ابداء الرأى ، هو الذى يضع أهم العلامات على الطريق الجغرافى ، وصولا الى الهدف التطبيقى ، والمنهج المناسب الذى يجاوب هذا الهدف الجغرافى الجديد •

واذا كان من شأن الرؤية الجغرافية ، أن تجيد ، أو أن تحسن عرض صور الاستخدام ، وهو محصلة هذا التعامل بين الانسان والأرض ، فان الرأى الجغرافى ، هو الذى يعبر عن موضوعية وصدق وحسن بيان مستوى هذا الاستخدام ، فى المكان والزمان • وليس ثمة أهم من تحديد هذا المستوى ، فى ظل الحساب الجيد للجدوى اقتصاديا واجتماعيا • ولنذكر فى هذه المناسبة ، أن مستويات استخدام الأرض تتراوح بين ، الاستخدام الجائر ، والاستخدام الردىء ، والاستخدام التقليدى ، والاستخدام المتطور •

هذا ، ومن الطبيعى أن يجسد هذا الرأى الجغرافى ، الاجابة الصحيحة أو الصادقة ، عن السؤال الذى يوجهه الاجتهاد الجغرافى الى الأرض ، على صعيد المساحة المعنية • ويسأل هذا السؤال ، عن مبلغ استجابة الأرض للانسان ، وهو يتعامل معها فيجور عليها ، أو وهو يسىء اليها ، أو يثبت بالجمود ويعرض عن التجديد ، أو عن التجويد ، أو وهو يتحلى بكل دواعى تطوير وتجويد ، التعامل المباشر أو غير المباشر مع الأرض ، فى ربوع المساحة المعنية • واستماع الاجتهاد الجغرافى الى الاجابة عن السؤال ، يحقق خطوة موفقة فى الاتجاه الصحيح ، نحو تقويم الاستخدام، تقويما اقتصاديا واجتماعيا •

ومن الطبيعى أيضا ، أن يجسد هذا الرأى الجغرافى ، الاجابة الصحيحة أو الصادقة عن السؤال ، الذى يوجهه الاجتهاد الجغرافى الى الانسان ، على صعيد المساحة المعنية • ويسأل هذا السؤال عن مهارات وقدرات ووسائل الانسان ، وهو يتعامل معها ، فتجاوبه على أكثر من مستوى ، أو وهى لا تواصل الاستجابة له ، أو لا تجاوبه • ويسأل السؤال أيضا الانسان عن الاساءة الى الأرض ، أو عن التشبث بالجمود والاعراض عن التجديد والتغيير ، أو عن التماس التجديد وتحرى وسائل التجويد • واستماع الاجتهاد الجغرافى ، الى الاجابة عن هذا السؤال ، يحقق خطوة موفقة ، أخرى فى الاتجاه الصحيح ، نحو تقويم الاستخدام تقويما متوازنا ، وعينه لا تغفل عن أداء الانسان ، وعينه الأخرى لا تغفل عن مصلحة الانسان •

وتجميع هذه الاجابات يسعف الاجتهاد الجغرافى ، وهو يعلن عن الرأى الجغرافى ، الذى يقوم علاقة الانسان بالأرض ، وأسلوب ومستوى تعامله مع الأرض ، ومبلغ استجابة الأرض لوسيلته • ويقدم الاجتهاد الجغرافى ، فى نهاية المطاف ، الرأى الجغرافى ، وهو توصية أو وهو نصيحة ، أو وهو تحفظ ، تعقيبا على الرؤية الجغرافية ، لأى نمط نمط من أنماط استخدام الأرض • وحسن الوصول الى هذا الرأى الجغرافى ، وهو يوصى ، أو وهو ينصح ، أو وهو يتحفظ ، ووضعه موضع التنفيذ ، هو الذى يبصر أو هو الذى يدعو الى تحسين ، أو تجويد مستوى التعامل بين الانسان والأرض • ومن ثم يتسنى التحول من مستوى الاستخدام الجائر ، أو من مستوى الاستخدام التقليدى الجامد ، الى مستوى الاستخدام الاقتصادى المتطور •

هذا ، واذا كان من شأن الاجتهاد الجغرافى ، أن يعتمد فى البحث الجغرافى على التوزيع والتعليل والربط ، من أجل تجسيد الرؤية الجغرافية ، وتقضى حسن التعبير عما يفضى اليه التعامل الايجابى ، بين الانسان والأرض فى المكان والزمان ، فانه يضيف الى ذلك كله ، شيئا مهما من

التقويم الجغرافى • ويكون هذا ، التقويم الجغرافى ، من أجل حساب جدوى هذا التعامل بين الانسان والأرض ، والحكم على مستواه • كما يكون أيضا ، من وراء التماس السلبيات والايجابيات ، التى يفضى اليها هـذا التعامل ، ومبلغ تأثيرها على هـذه الجدوى • ومبـاشرة التقويم يؤهل الاجتهـاد الجغرافى ، لحسن صياغة الرأى الجغرافى السديد ، وهو نصيحة ، أو وهو توصية ، أو وهو تحفظ ، أو وهو تحذير • ويتأتى الانتفـاع بهذا الـرأى الجغرافى عندما ، يهمس به فى أذن حركة الحيـاة ، لكى يرشـد أو يبصر التعامل مع الأرض واستخدامها • وهذا هو عين ما يعنى ، التحول الجغرافى بمهارة ، الى التماس الهدف الجغرافى التطبيقى •

وتبنى الهدف الجغرافى التطبيقى ، يلزم الاجتهاد الجغرافى ، وهو يباشر البحث الجغرافى ، بالعمل مع الفريق • وهو الذى ينتخب أعضاء الفريق ، ويضم اليه بعض المتخصصين العلميين ، فى العلوم الطبيعية ، وفى العلوم الانسانية • ونزول الجغرافى مع الفريق الجغرافى العامى المشترك الى الميدان على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، يكون مطلوبا لانجاز العمل الـذى تظلله روح الفريق • ومن ثم يكون توزيع تكليفات العمل الميدانى ، ويكون السعى العـلمى العملى ، فى طلب رؤية التعـامل القـائم ، بين الانسـان والأرض • ويكون وكأنه يعجم عود أنمـاط استخدام الأرض ، ويحسب حساب مستوى كل نمط من هذه الأنماط •

ويصور هذا السعى الجغرافى العلمى العملى ، شيئا مهما عن التماس كل العناصر الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، فى اطار هذا التعامل على صعيد الأرض • كما يصور هذا السعى أيضا شيئا أكثر أهمية ، عن المواجهة بين الانسان وفى صفه ، المهارات والخبرات والوسائل فى جانب ، والأرض وفى صفها المتغيرات الطبيعية والضوابط الطبيعية ، فى جانب آخر • ويكفل هذا السعى وضوح الرؤية فى الميدان ، وحسن بيـان التعامل بين الانسان والأرض ، على صعيد المساحة المعنية • ويبتنى على هـذا الوضوح

الميدانى ، الرأى الجغرافى المناسب ، عن هذا التعامل • ويتحدث هذا الرأى الجغرافى ، عن مستوى التعامل وعن قيمته أو جدواه ، إقتصاديا واجتماعيا• كما يتحدث أيضـــا ، عن استعدادات الانســان للتغير ومبـاشرة التعامل الأفضل • كما يتحدث عن مبلغ استجابة الأرض لهذا التغير •

＊ ＊ ＊

الجغرافية التطبيقية وقضية التنمية

تأسيسا على ما كان من أمر ، توجه الاجتهاد الجغرافى التوجه الرشيد ، الذى يجاوب الهدف الجغرافى التطبيقى ، تأتى الاقدام الجغرافى بكل الثقة ، على وضع نتائج العمل الجغرافى فى خدمة حركة الحياة • وقل أصبح الرأى الجغرافى السديد ، فى بؤورة اهتمام حركة الحياة ، وهى تنتفع به • ويبلغ هذا الانتفاع حده الأمثل عندما يباشر الاجتهـاد الجغرافى ، اهتمـامه الجاد بقضية التنمية ومباشرة توشـيد العمل التنموى ، على صـعيد المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وقد استوجب هذا التعامل الجغرافى العـلمى العملى الرشـيد ، مع قضية التنمية ، مطالعة ومراجعة وتقويم التوجهات التنموية المعمول بهـا ، والتى يتولى التخطيط مسئولية صياغة وتجهيز المشاريع الانمائية ، ووضع البرامج الزمنية المناسبة ، لتنفيذها التنفيذ الأنسب ، على صعيد المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان • وقل كان من الضرورى أن يقوم الاجتهـاد الجغرافى بعناية مبلغ نجـاح ، أو مبلغ تخبط التجارب التنموية المخططة ، فى غياب الخبرة الجغرافية ، أو فى غيـاب الرأى الجغـرافى ، عن المسرح التنموى • بل قل كان هذا التقويم أكثر من ضرورى ، سواء كانت هـذه التجارب التنموية ، شمولية أو جزئية ، ويجرى تنفيذها فى أطار التخطيط القطاعى الخاص ، أو فى اطار التخطيط القومى الشامل •

وفى غياب الخبرة الجغرافية ، والرأى الجغـرافى الرشيد ، توضع الخطة المعنية ، وتحتوى المشـــاريع الانمائية ، التى يتسنى تنفيذها بالفعل على صعيد المساحة المعنية ، فى كل أو فى جزء من الدولة ٠ ويعلن الانجـــاز أو التنفيذ ، عن شىء من النجاح الشكلى ، فى المهمة التنموية ٠ ومع ذلـك تتبين حركة الحياة فى نهاية المطاف ، أن هـــذا النجاح محفوف بالخطر ، وسلبيات الآثار الجانبية ، وأن التـوجه التنموى يمضى من غير وعى ، على درب الخطأ اقتصاديا واجتماعيا ٠

وقل أن عملية التخطيط التنموى لحساب حركة الحياة ، وهى تلهث من أجل نجاح الانجاز التنموى على صعيد المساحة المعنية ، تقع فى الخطـأ الحقيقى مرتين ٠ ويكون الخطأ مرة ، لأنها تتجاهل اهمية الرؤية الجغرافية ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية ٠ وتبدو وكأنها تتجاهل ، استطلاع خواص الأرض ، والعناصر التى تتداخل فى صياغة هذه ، الخواص وتتجاهل استطلاع أوضاع وأحوال الناس ، والأبعاد التى تتداخل فى صياغة حضور حركة الحياة ونبضها ٠ ويتأتى الخطـا الفادح مرة أخـرى ، لأنها تتجاهل أو تهمل ، أو لأنها لا تحسن الاستماع الى صوت الـرأى الجغرافى ، وحسن معطياته ، وهو يوصى أو وهو ينصح ، أو ، وهو يحذر العمل التنموى ، فى المكان والزمان ٠

ومن غير معطيات الرؤية الجغرافية ، التى تدقق فى خواص الأرض ، وتدقق فى قدرات ومطالب الناس ، ومن غير مهارة الـرأى الجغرافى الـذى يعقب على هــذه المعطيـات الواقعية ، يفتقد وضع المشــاريع الانمـائية ، وتنسيقها فى اطار الخطة ، الخلفية السليمة والأساس الراسخ ، الذى يرتكز عليه الانجاز أو التنفيذ التنموى ٠ وقل لا يتـأتى المضى السليم بالتنفيـذ التنموى ، على درب الصواب الاجتماعى والاقتصـــادى ٠ بل ان اهمال ، أو تجاهل معطيات الرؤية الجغرافية ، يمثل تفريطا فى الأساس المتين للعمل التنموى ٠ كما أن الاعراض عن نصيحة أو عن تحـذير ، أو عن تحفظات الرأى الجغرافى ، الذى يعقب ، أو الذى يعلق ، على تعامل الانسان مع الأرض ،

وهو يباشر تحسين مستوى استخدامها أو توظيفها ، فى طلب الانتـــاج ، أو طلب السكن ، أو فى طلب الخدمات ، يوقع العمل التنموى أو الانجـــاز التنموى ، فى خسران مبين ٠

* * *

موقف علم الجغرافية من عمليات التنمية

هكذا نفهم ضرورة أن يتخذ علم الجغرافية موقفـا حاسما من عمـلية التنمية ٠ وقد تأسس هذا الموقف الجغرافى ، على أساس أن يكون العمـل الجغـرافى ، شريـكا أصيلا فى العمل التنموى ٠ بمعنى أن يـكون لعـــلم الجغرافية حضورا يقظا ، على مسرح العمل التنموى ، فلا ينبغى أن يغيب ٠ ولا يجب أن يستبعد ، أو أن يحرم ، من أداء دوره الوظيفى ، في هذا المجال التطبيقى الحيوى ٠

ويتعمد الاجتهـــاد الجغرافى الرشيد ، وهو حريص تمـاما ، على أن ينزل الى ميدان العمل التطبيقى ، لحســاب حركة الحيـاة ، الاعتراض على تجاهل ، أو استبعاد الخبـــرة الجغرافية ، من صفوف العمل ، فى الحقل التنموى ٠ ذلك أن التجاهل أو الاستبعاد ، هو تفريط بقصد ، أو من غير قصد ، فى دور الخبير الجغرافى الوظيفى الفعال ، فى صحبة الفريق العلمى المسئول ، الذى يخطط لعملية التنمية ٠ والتفريط بقصد يعنى أن حركة الحيـاة تعـرف قيمة أو أهمية الدور الجغرافى الوظيفى ، وتتعمد اهمـــاله أو تجاهله ٠ والتفريط من غير قصد يعنى أن حركة الحيـاة لا تعرف قيمة أو جدوى ، أو أهمية الدور الجغرافى الوظيفى ٠ ويؤدى الجهل به ، الى هذا التجاهل ٠

وفى صحبة هـــذا الاعتراض ، يطعن الاجتهـاد الجغـرافى فى جدوى التخطيط التنموى ، الـــذى يحرم عمليـات التنمية ، من الدور الجغـرافى

التطبيقى الوظيفى · ولا يعنى هذا الطعن الجغرافى ، شيئا من الهدم ، أو من التجريح ، أو من التشكيك ، ولا يتعمد أبدا اغراق العمـل التنموى ، فى بحور من الاحباط وخيبة الأمل · بل يقـدم الاجتهاد الجغرافى فى معية الاعتراض ، البديل الأفضل ، من أجـل تصحيح مسار عملية التنمية · بل قل انه يعلن كيف يكون فى وسع الخبـرة الجغرافية ، أن تبصر ، وأن تكفل انجـاز النمو ، على صعيد المسـاحة المعنية ، فى اطار أحسن حبكة فى المكان ، وأحسن استجابة لحاجة العصر ، وهو على بصيرة ·

ويوجه هذا الطعن الجغـرافى البنـاء ، أول ما يوجه الى وضع الخطة التنموية ، لتنمية قطـاع معين من بين مجمـوعة القطـاعات الاجتمـاعية والاقتصادية المتنوعة على صعيد الدولة · وما من شك فى أن تنفيذ المشاريع الانمائية ، حسب البرنامج الزمنى ، يحرز نجاحا فى تنمية القطاع المعنى ، ويكفل بالضرورة تغيرا ، الى ما هو أفضل · ولـكن الذى لا شك فيه ، أن نمو قطـاع بعينه ، واهمال القطاعات الأخرى ، يجسد شكلا من أشكال التحيز التنموى · ويفضى هذا التحيز التنموى ، الى شىء من السلبيات ، أو الخلل ، وعدم التوازن فى البنية الاقتصادية ، أو فى البنية الاجتماعية · ومن ثم تتضرر مصالح حركة الحياة ، بعواقب أو بمضاعفات هذا الخلل ·

وسلبيات التنمية القطاعية ، على صعيد الدولة ، تتأتى تأسيسا على انعدام التوافق ، وفقدان شىء مهم من التوازن ، بين نمو قطـاع معين ، وتحديثه وتطويره والاضافة اليه فى جانب ، وجمود قطاعات أخرى ، وعدم تحديثها أو الاضـافة اليها فى ، جانب آخـر · وهـل نشك أو نتشكك فى سلبيات الجمع والتعايش بين النمو والجمود ، أو بين التجديد والتقليد ، أو بين التغيير وعدم التغيير ؟

هذا ، وفى الاعتقاد الجغرافى الراسخ ، على صعيد الانجاز التنموى ، أن الجمود فى صحبة التغيير ، وأن التجديد فى معية التقـليد ، وأن النمو وهو يتأبط ذراع الجمود ، يعرقل مسيرة النمو ، فى الدولة · وقل أن هذا

وضع غير سليم ، أو مناخ غير صحى ، يلقى بظلاله الكثيبة ، على مسيرة ، التغيير والنمو والتجديد ، حتى تتضرر حركة الحياة بسلبيات هذا النمو غير المتوازن . ومن ثم تكون النصيحة الجغرافية ، التى توصى بالشمول التنموى على صعيد الدولة ، الــذى يتحرى النمو المتوازن والمتــوازى والمتزامن ، نصيحة غالية ، لا ينبغى التفريط فيها .

وبنفس القدر من الموضوعية ، يفند الاجتهاد الجغرافى سلبيات التنمية الشاملة ، التى توقع النمو فى نمطية القوالب التنموية . وصحيح أن هذا الشمول التنموى ، يلتمس التغــير والتحديث والاضــافة ، وكأن الخطة التنموية لا تفــرط فى شيء ، وهى غارقة فى نمطية القوالب التنموية . ولكن الصحيح أيضا ، أن هــذا الشمول التنموى ، يتجاهل التبــاين بين أجزاء الدولة ، من حيث خواص الأرض ، ومن حيث حضور ما يخص كل جزء من حركة الحياة . وهل نشك أو نتشكك فى أن هذا التباين الطبيعى والتباين البشرى ، يطعن فى جدوى القوالب التنموية ، لانجــاز الشمول التنموى ، على صعيد الدولة ؟

هذا ، وفى الاعتقاد الجغرافى الراسخ على صعيد الانجــاز التنموى ، أن الجزء من الدولة المتفرد طبيعيا وبشريا ، يستحق من المشاريع الانمائية ما يناسب هذا التفرد ، دون انقطاع الصلات التنموية ، بل الجزء والكل ، على صعيد الدولة . ومن ثم تكون النصيحة الجغرافيــة ، التى توصى بالشمول التنموى ، فى المساحة المتميزة الأنسب على صــعيد الدولة ، التى تتحرى النمـــو المتوازى والمتوازن ، والمتزامن ، نصــيحة غالية أخرى ، لا ينبغى التفريط فيها .

* * *

الاقدام الجغرافى على عملية التنمية

هذا ، وما أن أمسك الاجتهاد الجغرافى ، بزمام الموقف الجغــرافى من قضية التنمية ، حتى تأتى الاقدام دون ابطاء . وتأهلت الخبرة الجغرافية ،

للاسهام فى عملية التنمية · وفى مغبة هـــذا الاقدام ، تتمادى النصيحة الجغرافية فى عطائها الحسن ، لحساب الانجــاز التنموى · وتوصى الخبــرة الجغرافية ، أول ما توصى ، بترتيب وتنسيق والتماس أولويات التـــوجه التنموى ، فى مجال الاعداد والتجهيز والتمهيد ، ووضع الخطة الأنسب ، وبرمجة المشاريع الانمائية ، على المدى الزمنى المناسب ، لمبـــاشرة العمل التنموى الشامل ·

وتعطى هذه النصيحة الجغرافية ، الأولوية قبل كل شيء آخر للاهتمام بالانسان · ويكون هذا الاهتمام بالانســان ، ايمانا راسخا بأن عمـــلية التنمية ، التى تكون لحساب الانســان الفـــرد والمجتمع ، لا يتسنى تنفيذ برامجها ، التنفيذ الناجح بالفعل ، الا من خلال الانسان · بمعنى أن يكون الاهتمام بالانســـــان ، وهو قوة فعل من أجل التنفيــذ التنموى السليم ، أسبق من الاهتمام بالانسان ، وهو صــاحب مصــلحة وحقوق فى ثمرات التنفيذ التنموى السليم · وهل فى وسع الانســـــان ، الغارق فى بحور الاحبــاط والاحساس بخيبة الأمل ، أن يتحمس لانجاز العمــل التنموى ؟ وهل فى وسع الانسان ، الغارق فى غياهب اللاوعى ، والفــاقد للمهارة ، أن يحسن أداء وتنفيذ العمل التنموى ؟

ويكون الاهتمام بالانســان ، على النحو المناسب ، الذى يبث فيه ، ويحفز الاستعداد المعنوى · وقد تستوجب هذه العناية انتشاله من حضيض الاحباط ، واخراجه من بين دواعى الاحساس بخيبة الأمل · وقد تستوجب هذه العناية بمعنويات الانســان ، نقله من انغلاق اللاوعى ، الى انفتـــاح الوعى · والأهم من ذلــك كله ، أن تــكون شحنات الحماس والاحساس بالمسئولية ، من أجل تفجير طاقاته ، وحسن الاقبال على مباشرة التكليفات ، لحساب الانجـــاز التنموى · كما ينبغى أن يحسن الاستماع الى صيحات توقظ منه الهمة ، وتجرده من دواعى الجمود والاستغراق فيه · ومن بعــد

هذه العناية بمعنويات هذا الانسان ، يتأهل نفسيا لمباشرة التغيير ، الذى يستوجبه التنفيذ التنموى . بل قل انه يكون فى وسعه ، استيعاب قوة فعل التغيير والمتغيرات وهزاتها ، التى تستجد فى صحبة التغيير والتنمية ، على صعيد المساحة المعنية .

ويكون الاهتمام بالانسان ، على النحو المناسب مرة أخرى ، لكى يغرس فيه ، ويطور الاستعداد المادى . ويزود هذا الاهتمام الرشيد الانسان ، بشيء مناسب ومفيد من الخبرات والمهارات والمكتسبات ، التى تسعف اشتراكه بشكل أو بآخر ، فى انجاز التكليفات العملية ، التى تجارى تكنولوجيا العصر ، وتشد أزر التنفيذ التنموى للمشاريع الانمائية ، فى المكان والزمان . وكم يكون الانسان ، فى حاجة الى التدريب واكتساب المهارات فى اطار دورات التدريب ، التى يمكن أن تتكرر على مستويات صاعدة . وكم يكون الابداع مطلوبا ، لكى يصل الانسان بمهارته ووسائله الى صياغة التكنولوجية المتطورة ، وحتى تصبح بديلا أفضل عن استيراد التكنولوجيا الأجنبية .

وقل ينبغى بعد ذلك كله ، أن يحسب العمل التنموى ، فى زحمة الاهتمام بالانسان واعداده ماديا ومعنويا ، حساب ذلك الفريق المتمرد من الناس . وهو يتمرد – فى الغالب – لأنه جامد . ولا نظنه يكاد يملك الاستعداد لقبول أو استيعاب التغيير . بل قل أنه ربما يكون هذا الانسان غارق فى حضيض الجبن ، والتخوف من التغيير ، ايجابياته وسلبياته ، وقد يعترض هذا الانسان الخائف مسيرة التغيير ، حتى يتمرد . ويدفعه التمرد أحيانا ، الى نسف وتدمير وتخريب هذا ، التغيير . ومن ثم يستحق هذا الانسان عناية خاصة ، تترفق به وهى تطوعه ، أو وهى تنتشله من حضن الخوف(١) . وفى وسع من يترفق بهذا الانسان ، أن يؤمنه فى البداية .

(١) يخاف هذا الفريق على القيم والتقاليد أكثر من أى شيء آخر .

بل وأن يحوله من موقف الاعتراض والرفض ، الى موقف الديدبان اليقظ الأمين ، الـذى يحرس مسـيرة التغيير والتحديث والنمو ، والاضـافة والتجديد والتجويد ، على درب الصواب الاجتماعى والاقتصادى .

وفى الاعتقاد الجغرافى الصريح ، أن حسن العناية بالانسان ، وهو قوة فعل ، ومسئول عن العمل التنموى ، واعداده وتزويده ، بالشىء المناسب من الوعى ، وبالشىء المناسب من الخبرة ، وبالشىء المناسب من القدرة على استيعاب التغيير ، وبالشىء المناسب من حسن التجاوب مع قوة فعل وتأثير المتغيـرات ، دون التخوف من عواقب التغيير ، هو خير ما يضع الانسـان ، فى وضع الاستعداد ، ويؤهله التأهيل المناسب ، لانجـاز العمـل التنموى الشامل ، فى المكان والزمان . بل قل ان هذا هو التأهيل الموفق ، الذى يقدم به الانسان الاقدام الواثق ، أو المطمئن والفعـال ، على أداء الواجب لانجاز ، وانجاح عملية التنمية . ومن ثم يكون الانسان المؤهل على يقين بأنه صاحب الحق ، أو بأنه صـاحب المصـلحة ، وهو مسئول عن ثمرات الانجاز التنموى ، من أجل حياة أفضل .

* * *

التخطيط الاقليمى أروع ما يقدمه علم الجغرافية للتنمية

من بعد تقديم هذه التوصية الجغرافية ، التى تبث فى الانسان حب العمل التنموى ، وتفجر طاقاته المبدعة الخلاقة ، لحساب الانجاز التنموى ، يكون الاقدام الجغرافى الرشـيد ، على الترويج لفـكرة التخطيط الاقليمى . وقل أن الاجتهـاد الجغرافى ، يزكى التخطيط الاقليمى ، وهو الأنسب من اى نوع آخر ، من حيث انجاز النمو ، أو الشمول التنموى ، على صـعيد الدولة لحساب حركة الحياة .

ويبتنى هذا الترويج أو التفضيل ، على اعتبار أن التخطيط الاقليمى ، هو الذى يكفل الحيكة فى ترسيخ النمو ، بكل ما يعنية الشمول من معانى

دون الاخلال ، بالتوازى والتوازن والتزامن ، على صعيد المساحة ، التى يغطيها الاقليم التخطيطى ، وكأنه الوعاء الأنسب لعملية التنمية . ويستوجب وضع المشاريع الانمائية ، وبرمجتها لحساب التنمية ، فى اطار التخطيط الاقليمى :

اولا ــ تأكيد الشمول التنموى ، من غير افراط فى العمل ، أو فى الانجاز التنموى ، لحساب قطاع بعينه ، ودون تفريط فى نصيبه أو فى حصة أى قطاع من القطاعات المتنوعة ، على صعيد الاقليم التخطيطى . وقل ينبغى أن تمضى عمليات التنمية ، وتنفيذ المشاريع الانمائية وهى متوازنة ومتوازية ومتزامنة ، حتى يتحقق النمو أو الاضافة ، أو التغيير الى ما هو أفضل ، دون تعثر أو اختناق ، أو دون تخبط وتردد ، بين ومضات التجديد والتجويد ، واضافة الجديد من ناحية ، وعتمة الجمود والتخلف ، والاستغراق فى التقليد من ناحية أخرى .

ثانيا ــ تجريد الشمول التنموى ، فى اطار التخطيط الاقليمى ، من خطيئة الانغلاق ، الذى يقيم من حول النمو الشامل ، فى الاقليم التخطيطى سدا ، لا يجوز اختراقه أو تجاوزه . بل ينبغى أن يلتمس الشمول التنموى فى الاقليم التخطيطى ، مهارة الانفتاح والمرونة والتفتح الحميد ، الذى ينبسق فى شىء من تكامل تنموى بديع ، بين مجموعة الخطط الاقليمية ، فى كل الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة .

وعلى صعيد الاقليم التخطيطى ــ وهو يشغل مساحة متميزة من الأرض ــ يتأتى شيئا مهما من التجانس ، الذى يكشف عنه الواقع الطبيعى القائم ، وينبىء به الواقع البشرى السائد ، فى وقت واحد . ومن شأن خواص الأرض ، التى يفضى اليها تداخل عناصر الموقع والبنية والتضاريس والتربة والمناخ والنبات ونبض الحياة ، على صعيد المساحة المعنية ، أن تتميز الأرض فى الاقليم التخطيطى ، عن الأرض فى سائر الأقاليم

التخطيطية الأخرى . ومن شأن حضور الناس الذى يفضى الى حركة حياة ، تتداخل فيها عوامل اجتماعية وعوامل اقتصادية ، وعوامل حضارية ، أن تتميز حركة الحياة ، وتوجهاتها العملية ، فى الاقليم التخطيطى ، عن حركة الحياة وتوجهاتها العملية ، فى الأقاليم التخطيطية الأخرى .

هذا وليس أنسب من أن يكون هـذا الوضع ، الـذى يميز الأرض طبيعيا ، ويميز حركة الحياة على صعيد هذه الأرض بشريا ، فى اطار الاقليم التخطيطى ، قاعدة لها صفة الخصوصية والتفرد ، الذى يبتنى عليها وضع المشاريع التنموية المناسبة ، فى أفضل حبكة . وقل أن ارتكاز الشمول التنموى ، الى هذه القاعدة المناسبة ، يعنى تأمين الحبكة فى المكان ، وتأمين الحد الأنسب من استجابة النمو والتغيير لقـدرات وامكانيات وتطلعـات حركة الحياة ، فى المكان والزمان . بل قل ان هـذا هو أساس الارتكاز السوى الأنسب ، الذى يجنب المشاريع الانمائية ، والاقدام على تنفيذها ، عواقب التعـارض أو سلبيـات التناقض ، مع ما يمليه الواقع الطبيعى ومتغيراته على المدى القصـير ، أو مع ما يـكون فى وسع الواقع البشرى ومتغيراته على المدى القصير ، فى ربوع الأرض فى الاقليم التخطيطى .

وفى جميع الأوضاع والأحوال ، التى يتولى فيها ، الجغرافى مع الفـريق العلمى مسئولية التخطيط ، لحساب العمل التنموى الشامل ، فى الاقليم التخطيطى ، بداية من وضع واعداد المشاريع الانمائية ، ووصولا الى تجهيز البرامج الزمنية ، للتنفيذ التنموى فى المكان والـزمان ، تتجلى الحاجة الى المسح الجغرافى الطبيعى ، والمسح الجغرافى البشرى . ويصبح هـذا المسح الجغرافى ، وهو مسئولية جغرافية ، خالصة ، وكأنه المقـدمة الضرورية ، حتى يتـأتى الاعـداد السليم ، ويـكون التجهيز للشمول التنموى فى اطار مجموعة الأقاليم التخطيطية على بصيرة ، فلا يتخبط .

وحسن بيان خواص الأرض ، ومتغيراتها فى المكان والزمان على صعيد

الاقليم التخطيطي ، يحدد قوة فعل هذه الخواص وضوابطها وضغوطها ، وهي تواجه قوة فعل الانسان ومهارة وسيلته ، عندما يتعامل معها ، ويطوعها حتى تتجاوبه .

وحسن بيان أوضاع وأحوال حركة الحياة ومتغيراتها في المكان والزمان ، يكشف عن امكانيات الانسان ، وتطلعاته وتوجهات قدراته الفاعلة ومتغيراتها ، وهي تدعمه ، أو وهي تغل يديه ، في مجالات تعامله مع الأرض ، وتطويعها في طلب الانتاج ، أو في طلب السكن أو في طلب الخدمات .

وقل ينبغي أن نفطن الى أن حسن بيان خواص الأرض ، ومبلغ استعدادها للاستجابة ، وحسن بيان أوضاع حركة الحياة واستعداداتها ، للتعامل مع الأرض ، على صعيد المساحة المعنية ، هو الذي يرشد وضع واعداد وتنفيذ البرامج التنموية . بمعنى أن تكون هذه البرامج التنموية ، هي الأنسب على الأرض ، وهي تطاوع حركة الحياة ، بكل ما في وسعها أن تعمل ، وتنجز المشاريع التنموية ، وبكل ما في وسعها من استعدادات ، لمباشرة التغيير اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا . ومن ثم يتأتى الوصول بالانجاز التنموي الشامل ، الى التوازن الحقيقي ، على صعيد المساحة المعنية ، بين الطلب التنموي من ناحية ، والانجاز التنموي من ناحية أخرى .

هذا وليس في وسع من يخطط ، ويعد المشاريع التنموية ، أن يفعل وينجز هذه المهمة ، وهو يتجاهل حركة الحياة . وقل ينبغي أن يعرف جيدا ماذا تريد حركة الحياة من عملية التنمية . كما ينبغي أن يعرف أيضا ، ماذا في وسع حركة الحياة أن تعمل ، من أجل ما تريد من الانجاز التنموي في كل اقليم من الأقاليم التخطيطية .

وليس فى وسع من يخطط ويعد المشاريع الانمائية أن يفعل وينجز هذه المهمة ، وهو يتجاهل الأرض ، طبيعتها وخواصها وضوابطها . وقل ينبغى أن يعرف جيدا شيئا واضحا ، ومناسبا ، عن مبلغ استعداد هذه الأرض ، للاستجابة الفورية لقوة فعل حركة الحياة . كما ينبغى أن يعرف أيضا ، الحد الأقصى لتطويع الأرض ، التطويع المناسب لمباشرة العمل التنموى فى كل اقليم من الأقاليم التخطيطية .

هكذا نفهم قيمة أو جدوى المسح الجغرافى الطبيعى والبشرى على صعيد المساحة المعنية . وينبغى أن يسبق هذا المسح الجغرافى ، وأن يجهز قبل أى بداية أو أى مبادرة ، لوضع المشاريع الانمائية ، وبرمجتها فى صلب الخطة التنموية . ومثل هذا التجهيز ، هو الذى يصطنع القاعدة السليمة ، ويوفر الأساس المتين للعمل أو للانجاز التنموى الشامل . بمعنى أن المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، يقدم الرؤية الجغرافية فى الشكل الأنسب ، ثم يضيف الرأى الجغرافى فى الصيغة المفيدة ، التى تبصر وترشد ، حتى لا يضل فريق المخططين ، ولا يبدأ عملهم التنموى المخطط ، من فراغ .

ومن الجائز أحيانا أن يغيب الجغرافى ، ويرفض مشاركة الفريق وهو يباشر التخطيط ، لحساب العمل التنموى الجزئى ، لتنمية قطاع معين ، لأنه يعترض على هذا التوجه التنموى . ومن الجائز أيضا أن يغيب الجغرافى ، لأنه يرفض تحمل مسئولية ، الخطأ ، الذى يفضى اليه مباشرة العمل التنموى الشمولى ، فى اطار خطة قومية ، لا تحسب حساب التباين بين اقاليم الدولة . ولكن ليس من الجائز أبدا ، أن يغيب الجغرافى ، ويغيب معه المسح الجغرافى المناسب ، عن أعين فريق المخططين ، بأى حال من الأحوال . وكيف يغيب هذا المسح الجغرافى ، وهو يجسد ما هو كائن بالفعل ، على صعيد المساحة المعنية ، وينبغى معرفته جيدا ، قبل الشروع

فى تطويره وتنميته ، حتى يتأتى ما ينبغى أن يتغير ، ويكون ما تتطلع اليه الخطة ، ويكون التغيير بالفعل ٠

* * *

الوظيفة الجغرافية فى التخطيط الاقليمى

فى الوضع الذى تلتمس فيه حركة الحياة ، مضى العمل التنموى الشامل ، على درب الصواب ، تصبح عملية التنمية أمانة فى عنق التخطيط الاقليمى ٠ ويكون ذلك كله على اعتبار أن الاقليم التخطيطى ، هو الوعاء ، أو هو الذى يكفل الحبكة المثلى ، فى المكان والزمان ٠ ويقبل الجغرافى عن طيب خاطر على الاسهام فى انجاز هذه المهمة التنموية ، ولا يمتنع عن الاشتراك الفعلى ، فى مباشرة العمل التنموى مع فريق المخططين ٠

واشتراك الخبرة الجغرافية مع فريق المخططين ، معناه أن تهيمن عليهم جميعا روح الفريق ٠ ويؤدى كل واحد من أعضاء الفريق دوره الوظيفى المناسب ، لحساب العمل التنموى الشمولى ٠ ويكون الجغرافى مسئولا عن الاعداد والتجهيز ، ومباشرة المسح الجغرافى ، على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية ٠ بل قل ان هذه المسئولية تبدأ ، بتحديد الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة ٠ ويبقى الباحث الجغرافى مسئولا ، ولا شىء يعفيه من هذه المسئولية ، عندما يبصر ويقدم النصيحة أو التوصية أو التحذير ، لترشيد الانجاز التنموى والتنسيق الشمولى ، على صعيد الاقليم التخطيطى ومجموعة الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة ٠

ويبادر الجغرافى ، وهو شريك مع فريق المخططين ، لكى يبدأ العمل الجغرافى المكتبى والميدانى ، لحساب التجهيز والاعداد الضرورى لعملية التنمية ٠ وقل أنه يسبق غيره من أعضاء الفريق ، حيث يبدأ دوره الوظيفى ، قبل أن يبدأ دور أى من الشركاء معه فى الفريق ٠ وتتجه هذه المبادرة الجغرافية ، فى الاتجاه العلمى والعملى الصحيح ٠ ويكون الجغرافى ،

بناء على هذه المبادرة ، مسئولا عن تحديد ووضع الاطار الصحيح ، الذى يحتوى الاقليم التخطيطى ، ومجموعة الأقاليم التخطيطية الرئيسية ، على صعيد الدولة •

ويجيد الجغرافى ، التماس التجانس على الوجه الطبيعى ، والتماس التجانس على الوجه البشرى ، وهو يلملم شمل المساحات والأجزاء ، التى يتألف منها الاقليم التخطيطى ، وكل اقليم من الأقاليم التخطيطية • كما يجيد الجغرافى أيضا ، التماس عدم التجانس على الوجه الطبيعى ، وعدم التجانس على الوجه البشرى وهو يضع الحدود ، ويثبت الفواصل التى تفصل ، بين الاقليم التخطيطى والأقاليم التخطيطية الأخرى • وتستوجب هذه المهمة الجغرافية التى تتحرى وضع كل اقليم تخطيطى ، فى اطاره الصحيح ، عملا جغرافيا مكتبيا ، وعملا جغرافيا ميدانيا • ويلتمس العمل الجغرافى الميدانى ، الزيارة التفقدية ، ثم مباشرة الدراسة الميدانية وتقصى الحقائق الجغرافية الطبيعية والبشرية ، التى يجريها فريق العمل الجغرافى ، على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية •

والانتهاء من هذه المهمة الأولية ، التى تحدد بوضوح جغرافى شديد ، الأقاليم التخطيطية على صعيد الدولة ، لا ينهى المبادرة الجغرافية • ويظل الاجتهاد الجغرافى مسئولا ، عن انجاز مهمة جغرافية أخرى • وتجسد هذه المهمة الجغرافية ، مسئولية الاجتهاد الجغرافى ، وهو يباشر المسح الجغرافى الطبيعى والبشرى ، على صعيد كل اقليم من مجموعة الأقاليم التخطبطية • كما تجسد مسئوليته أيضا ، وهو يلتمس الرأى الجغرافى السديد ، تعقيبا على ما تكشف عنه الرؤية الجغرافية ، فى كل اقليم من الأقاليم التخطيطية•

وصحيح أن هذا المسح الجغرافى ، يغطى المنظور الجغرافى الطبيعى على صعيد الأرض ، ويغطى المنظور الجغرافى البشرى على صعيد حركة الحياة ،

وهو يلتمس وضوح وتجسيد الرؤية الجغرافية فى الاقليم التخطيطى .
وصحيح أيضا ، أنه يتنقل من اقليم تخطيطى الى سائر الأقاليم التخطيطية
الأخرى ، لكى يجرى المسح الجغرافى ويلملم أوصال الرؤية الجغرافية ، على
صعيد كل اقليم تخطيطى . ولكن الصحيح أيضـــا ، أن الجغرافى لا ينفرد
بانجاز هذا العمل الجغرافى ، لأنه يثق فى جدوى الانفتاح ويلتمس التفتح .
ومن ثم يعمل الجغرافى ، وينجز مهمة المسح الجغرافى ، فى صحبة فريق عمل
موسع . ويتحرى الجغرافى انضمام بعض المتخصصين العلميين فى العلوم
الطبيعية ، وبعض المتخصصين فى العـلوم الانسانية ، الى هـذا الفـريق
الجغرافى العلمى المتعاون .

وتوسيع الفريق الجغرافى العلمى المتعاون ، والعمل بروح الفـريق ،
ومراعاة حسن توزيع تكليفات العمل الميدانى ، على أعضاء الفريق ، يكفل
حسن انجاز المهمة الجغرافية . وقل انه يعنى حسن انجاز العمل الجغرافى ،
على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية ، فى الدولة ، من خلال تنسيق
بديع ، وتعاون علمى موضوعى ، بين الدراسة الميدانية والدراسة التجريبية .
وفى وسع الخبـــرة الجغرافية ، أن تحسن التنسيق المناسب ، بين محصلة
الدراسة المكتبية ، وحصـاد الدراسـة الميـدانية ، والدراسة التجريبية ،
وصولا الى العرض الجيد ، الذى تتحقق به أهداف المسح الجغرافى ، وتحديد
ملامح الشخصية الجغـرافية المتفـردة ، على صـعيد كل اقليم من الأقاليم
التخطيطية .

وتلتمس الخبرة الجغرافية ، مع المسح الجغـرافى ، على صـعيد الاقليم
التخطيطى ، أن تتحـرى حسن الصحبة ، بين الرؤية الجغرافية وتجسـيد
أبعادها الجغرافية الطبيعية والبشرية ، وهى تعبر عن أو وهى تصور الواقع
الجغرافى ، ونبض حركة الحيـــاة فى ربوعه ، على صعيد المكان والزمان .
ويشد هذا الوضوح الجغرافى ، أزر الباحث الجغرافى ، وهو يلتمس الرأى

الجغرافى . ويكون هذا الرأى الجغرافى سديدا ، وهو يعقب ، أو وهو يعلق ، أو وهو يحكم ، على فرص التغيير وتوجهاتها الصحية ، الى أهداف التنمية . كما يكون هـذا الرأى الجغرافى مفيدا ، وهو يرسخ القـاعدة أو الخلفية المناسبة ، التى يبتنى عليها التنفيذ التنموى الأنسب ، وحتى يتحقق النمو الشمولى ، فى الاقليم التخطيطى ، وفى كل الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة .

وانجاز هذه المهام الجغرافية ، سواء والجغرافى يلتمس تحديد الأقاليم التخطيطية ، أو والجغرافى يبـاشر فى صحبة الفريق الجغرافى المتعـاون ، المسح الجغـرافى ، وينتقل من جغرافية الرؤية الى جغرافية الـرأى ، يعنى بالضرورة حسن الاعـداد والتجهيز المناسب ، لمبـاشرة العمـل التنموى الشمولى . ويفضى هذا الانجـاز الجغرافى ، على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية ، الى :

أولا ـ كشف وتجسـيد وتعـليق مناسب ، عن الضـوابط التى يفرضها الواقع الطبيعى وعناصره ، وقوة فعلها ، أو تأثيرها المباشر أو غير المباشر ، وعن الضوابط التى يفرضها الواقع البشرى وأبعاده وقوة فعلها ، أو تأثيرها المباشر أو غير المبـاشر ، وهى تواجه الانسان ، على أوضـاع وأحوال وأداء حركة الحيـاة ، وتعاملها مع الأرض ، على صعيد المسـاحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى .

ثانيا ـ كشف وتجسـيد وتعـليق منـاسب ، عن قدرات وخبرات ومهارات الانسـان ، التى يتعـامل بهـا مع هـذه الضـوابط الطبيعية أو الضوابط البشرية ، فى الاقليم التخطيطى ، على مستوى الالتزام بهـا والاستجابة لقوة فعلها ، أو على مستوى التحايل عليها وتطويعها وتخفيض معدلات ضغوطها ، أو على مستوى ابطـال مفعولها وتجمـيد ضغوطها ،

والتحرر من حتمية الاستجابة لها ، فى المكان والزمان على صعيد الاقليم التخطيطى •

ثالثا ـ كشف وتجسيد وتعليق مناسب ، عن مبلغ الحاح الانسان فى طلب النمو والتغيير الى ما هو أفضل ، ومبلغ استيعاب الانسان ، وهو يطلب ، أو وهو يعمل ، أو وهو يجنى ثمرات المشاريع الانمائية ، فى صحبة فعل وتأثير وضغوط المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية والسياسية ، والتصدى للانجاز أو للتنفيذ التنموى المنضبط ، وصولا الى أهداف الشمول التنموى الطموح ، فى الاقليم التخطيطى •

بهذا المنطق الموضوعى الرشيد ، يكون دور الخبرة الجغرافية المدربة ، وهى تعمل لحساب التخطيط الاقليمى ، قبل أن تبدأ أعمال فريق المخططين ، دورا فعالا لا ينبغى التفريط فيه ، أو تجاهله أبدا • وقل انها الخبرة ، التى تضع الأساس ، وترسخ القاعدة لمباشرة العمل التنموى • وأنها هى التى تبصر وترشد وتكفل حسن صياغة البرامج والمشاريع الانمائية ، فى اطار الخطة الاقليمية • بل قل انها هى الخبرة ، التى تؤمن الشمول التنموى ، دون تفريط ، فى المضى التنموى ، المتوازى والمتوازن والمتزامن ، على درب الصواب الاقتصادى والاجتماعى • والتنوع البين لما يعنيه الشمول التنموى ، من اقليم تخطيطى الى اقليم تخطيطى آخر ، يكون أحوج ما يكون الى حسن الانتفاع بدور الخبرة الجغرافية ، وهى تعمل على درب الصواب • ويمهد هذا الدور الجغرافى تمهيدا جيدا ، لمضى فريق المخططين وهو فى صحبتهم ، لكى يكون العمل التنموى الشامل فى مرحلة التخطيط ، وفى مرحلة التنفيذ ، على بصيرة •

ومن أجل انتفاع حركة الحياة ، بالرأى الجغرافى ، فى حسن توجيه الشمول التنموى ، على صعيد الاقليم التخطيطى ، يكون انضمام الجغرافى الى فريق المخططين ، انضماما ضروريا ، لا ينبغى التفريط فيه • ويهمس

الجغرافى بكل الصدق والموضوعية ، فى أذن فريق المخططين ، وهو معهم ، أو وهو شريك فى المسئولية ، بالرأى الجغرافى السليم ، الذى يبتنى على حسن العناية الجغرافية ، بالتقويم الجغرافى للواقع ، على الوجهين الطبيعى والبشرى فى المكان والزمان • وهذا الرأى الجغرافى هو الذى ينصح ، وهو الذى يوصى ، أو هو الذى يتحفظ ، أو هو الذى يبصر ، وضع وتصميم المشاريع الانمائية ، حتى لا تقع العملية التنموية الشاملة ، فى خطايا المبالغة ، أو فى عواقب التقصير •

هذا ومن شأن من يكون فى وسعه ، أن يوصى أو ينصح أو أن يحذر ، أو أن يرشد ، يفلح فى تسديد خطوات المضى الموفق ، على درب الصواب التنموى • وقل يكون ذلك ، من وراء الابداع المفيد الذى يسعف التحايل على الضوابط الطبيعية أو على الضوابط البشرية ، فى بعض الأحيان أو ابطال مفعولها المؤثر على أداء الانسان ، فيكفل التغيير الى ما هو أفضل ، وهو غاية ما تصبو اليه ، عملية التنمية الشاملة ، فى المكان والزمان •

وليس من قبيل المبالغة ، أن يكون من شأن من يملك القدرة على ترشيد العمل التنموى ، فى اطار التخطيط الاقليمى ، أن يصبح مسئولا مسئولية مشتركة ، مع فريق المخططين • وقل ليس من قبيل المبالغة أيضا ، أن تستوجب هذه المسئولية فى المجال التطبيقى وضع الجغرافى فى المكان المناسب ، ضمن تشكيل الريق • ومن هذا الموقع ، يقود الجغرافى ويوجه ويرشد ويقدم التوجهات التنموية ، حتى يغطى أهداف الشمول التنموى ، على صعيد الأرض ، فى اطار التخطيط الاقليمى •

ودون أن نهتم بعرض تكنيك العمل الجغرافى ، الذى يضع الجغرافى فى هذا المكان ، لكى يرشد العمل التنموى ، نود أن نبين معنى ومغزى الترشيد الجغرافى للتنمية على صعيد الاقليم التخطيطى • والترشيد

الجغرافى يستوجب أن يتأبط الجغرافى ، وهو خبير بالرأى الجغرافى السديد ، ذراع العمل التنموى الشامل ، فيبصره بدواعى التنمية ، لماذا وكيف تكون ؟ وبمسارات وتوجهات الانجاز التنموى ، ولماذا وكيف تمضى ؟ فى الاتجاه الصحيح ، فى الاقليم التخطيطى ٠

ويكون الجغرافى مع فريق المخططين مسئولا ، وهو ينصح بما يجب أن يتأتى ، وينبغى الأخذ به ، لتغيير قوة فعل الانسان ، وشحذ وتطوير وسيلته ، التى تسعف مواجهته وتعامله مع الأرض ، لتحسين مستوى استجابة الأرض ٠ كما يكون الجغرافى مع فريق المخططين ، مسئولا ، وهو يوصى بما يجب أن يتأتى ، من عمل فنى ، لتطويع قوة فعل السنن الحاكمة لطبيعة الأرض ، وتنشيط وتنمية معدلات استجابتها ، وهى تمتثل لوسيلة الانسان وخبراته ، وهو يوظفها ، أو وهو يسخرها ، لحساب حركة الحياة ٠

وفى وسع الخبرة الجغرافية ، وهى تباشر الترشيد ، أن تدرس التعامل الايجابى ، بين الانسان والأرض ٠ ويكون ذلك على النحو الذى تبتغيه المشاريع الانمائية ، حتى تتجنب عملية التنمية الشاملة ، الوقوع من غير قصد أحيانا ، فى خطيئة التعامل الجائر الذى يجهد الأرض أو يستنزف الخدمات ، أو يفشل فى تطويعها وتأمين استجابتها المثلى ٠ بل قل فى وسع الخبرة الجغرافية ، فى صحبة فريق المخططين ، أن تحرس النمو الأفقى ، والنمو الرأسى ، أو أى توجه تنموى آخر ٠ وتعرف كيف تحرس وتسيطر على دواعى التنسيق ، بين هذه الاتجاهات التنموية المتعددة ، فى المكان والزمان ، على صعيد الأرض ، فى الاقليم التخطيطى ٠

وفى نهاية المطاف أقول ان غياب الترشيد الجغرافى عن صف فريق المخططين ، أو عن عملية التنمية الشاملة فى اطار التخطيط الاقليمى . قد لا يعنى وقف ، أو تجميد مسيرة النمو ، ولكنه يعنى بكل تأكيد ، أن

تمضى هذه المسيرة التنموية ، على غير بصيرة • وقد تتخبط هذه المسيرة التنموية ، وهى تخرج عن درب الصواب ، أو هى تسير عى درب الخطأ اقتصاديا واجتماعيا ، أو وهى لا تغطى كل أبعاد الهدف التنموى الشمولى ، فى الاقليم التخطيطى •

وفى وسع فريق المخططين والجغرافى غائب عن صفة ، أن يجد ، أو أن يلتمس هذا الترشيد الجغرافى ، فى بحوث ودراسات جيدة ، فتبصرهم وينتفعوا بها ، فى الانجاز التنموى • ومع ذلك ، فان انضمام الخبرة الجغرافية ، الى صف الفريق ، وفى صحبته كل المهارات والخبرات ونتائج المسح الجغرافى ، التى يتأتى بموجبها الترشيد الجغرافى ، يكون هو الأفضل• بل قل يكون حضور الجغرافى واشتراكه فى المسئولية التنموية ، مع فريق المخططين ، هو الأجدى لكى لا تضل ، ولا تتخبط ، مسيرة التنمية الشاملة ، أو لكى تلتزم بالتوازن والتوازى والتزامن ، فى التنفيذ التنموى ، فى اطار التخطيط الاقليمى •

هذا ويحسن هذا الجغرافى - من غير شك - القيادة والتوجيه والترشيد ، فتمضى مسيرة التنمية الشاملة فى الاقليم التخططى ، وهى تلتمس القدر الأنسب ، من التوازى والتوازن والتزامن ، بين المشاريع الانمائية من ناحية ، أو وهى تلتمس القدر الأنسب من التنسيق ، بين التنفيذ التنموى فى الاقليم التخطيطى المعين ، والتنفيذ التنموى على سائر الأقاليم التخطيطية من ناحية أخرى • وغياب الخبرة الجغرافية ، وهى التى تتحلى بالمهارة فى التحليل والتركيب والمرونة والتقويم ، وحسن العمل لحساب الهدف الجغرافى التطبيقى ، عن صف فريق المخططين ، لا يقل خطورة عن غياب المايسترو عن آداء دوره الوظيفى ، وهو يلوح بعصاه ، أمام الفريق الموسيقى ، وينسق انسياب ايقاع النغمات الحلوة ، فى المعزوفة الجميلة •

المرجع العربية

١ ـ حمدان ، جمال : جغرافية المدن ـ القاهرة

٢ ـ الشامى صلاح الدين : الموارد ، دراسة فى الجغرافية الاقتصادية ـ الاسكندرية بصنة ١٩٨٦

٣ ـ الشامى صلاح الدين : الجغرافية دعامة التخطيط ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٠

٤ ـ الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى سيرة ومسيرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٦

٥ ـ الشامى ، صلاح الدين : الدراسة الميدانية فى العمل الجغرافى ـ الاسندرية ١٩٧٨

٦ ـ الشامى صلاح الدين : التقويم الجغرافى ، انطلاق التجديد والتجويد فى الفكر الجغرافى المعاصر (مجلة كلية الآداب) ـ صنعاء ١٩٨٣

٧ ـ الشامى صلاح الدين : الندية بين الطبيعة والانسان ، منشورات قسم الجغرافية جامعة الكويت بسنة ١٩٨٥ .

٨ ـ الشامى صلاح الدين : الجغرافية المعاصرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٧

٩ ـ بشارة عايدة : المدخل فى التخطيط الاقليمى ـ القاهرة سنة ١٩٦٦

١٠ ـ الصقار فؤاد : التخطيط الاقليمى ـ الاسكندرية سنة ١٩٧٠

١١ ـ غلاب محمد السيد : الأرض والتطور البشرى (ترجمة ـ الألف كتاب رقم ١٤٦)

١٢ ـ عبدالحكيم ، محمد صبحى : دراسات فى الجغرافية العامة ـ القاهرة سنة ١٩٧١

١٣ ـ نصر ، السيد نصر : قواعد الجغرافية الاقتصادية ـ القاهرة ١٩٥٧

١٤ ـ أبوالحجاج ، يوسف : الجغرافية مغزاها ومرماها ـ (ترجمة ـ الألف كتاب رقم ١٨٧)

المراجع الأجنبية

1. Abercombie, P. : Town and Country Plann:ng. London 1951.

2. Chapin, F.S. : Urban Landuse Planning. London 1957.

3. Chisholm, M : Rural Settlement and hand use. London 1962.

4. Collins, B.J. : Development Plans Explained. London 1952.

5. Freeman, T.W. : Geography and Planning. London 1958.

6. Burton, I. and Kates R.W. : Reading in Resource Management and Conservation 1965.

7. Highsmith, R.M. : World Economic Chicago Activities, New York. 1963.

8. Hoyt, L.B. : Man and the Earth. New Gersey 1962.

9. Skinner, B.I. : Earth Resources New Jersey 1969.

10. Stamp L.D. : Applied Geography. London 1960.

فهـــرس

صفحة

صفحة

صفحة

ملحـــق

الجغرافية وعملية التنمية

رقم الايداع ١٩٩٠/٧٠٠١

I.S.B.N. 977 - 03 - 0022 - 5

مطبعـــة أطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ — القـاهرة